جامعة أم درمان الإسلامية
كلية اللغة العربية . الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

أثر التصوف على النثر العربى فى السودان
من أوائل دولة الفونج إلى أواخر دولة المهدية

دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فى اللغة العربية
تخصص الدراسات الأدبية و النقدية

إعداد الطالب:
الأمين عبد القادر محمد إسماعيل

إشراف :
الإستاذ الدكتور / بابكر الجزولى

كلية اللغة العربية . جامعة أم درمان الإسلامية
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

جاء فى الحديث النبوى :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله (ص)

((طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة)

رواه البخارى و مسلم

(قال رب أشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري)

صدق الله العظيم

سورة طه ـ الآية (١٢٦)

إهداء

إلى التى حملتنى جنيناً و أرضعتنى صغيراً و رعتنى صبياً
أمى رحمها الله

❀❀❀

إلى الذى يحنو على و يشقى و يأتى بأكلى و شربى والذي فتح أمامى
أبواب العلم

الفقير الى الله والدي الفقيه عبد القادر محمد

❀❀❀

إلى الدرر الخمسة الصاعدة فى ليالىِ متقاربة و إلى مناراتـــــــــــهمِ و
خلفائهم و حيرانهم فى الطرَق الصوفية آبائنا الشيوخ
الشيخ عبد الرحيم البرعى ــ الشيخ د. عبد العال الإدريسى الشيخ
الشريف الناجى ـ الشيخ البروفسير حسن الفاتح قريب الله الشيخ
مصطفى البكرى تاج الأصفياء
تقبلهم الله فى دار النعيم

❀❀❀

إلى منارات الهدى وخزائن العلم و المعرفة آبائنا الشيخ عبد الله ود العجوز
و الشيخ أبو عزة

شـكر وتقدير

الشـكر و التقـدير لكـل مـن لـه بصـمة عطـاء فـى هـذه الرسـالة و العرفـان محمول لإستازى الأكرم الأستاذ/الدكتور بابكر الجزولـى ـ المشـرف علـى هـذه الرسـالة و الـذى ظـل دومـاً يرشـدنى و ينصـحنى ويشـد مـن أزرى و يبصرنى حتى رأى هـذا البحـث النـور . ومسـاهماً فـى ذلـك بفكـرة الثاقـب بقسط وافر مـن زمنـه الخـاص و الشـكر مبعـوث للصـرح الشـامخ جامعـة أم درمان الإسلامية و الـى كليـة اللغـة العربيـة و كـل الآبـاء الإسـاتذة والإخـوة الموظفين و العمال و كل الذين يسدون ثغرة العلم الهامة فى وطننا الحبيب من داخل أسوار جامعة أم درمان الإسلامية .

و أخص بالشكر مكتبة جامعـة أم درمـان الإسـلامية و مكتبـة جامعـة الأحفاد و مكتبة الدراسات السودانية بجامعـة الخرطـوم . وجميـع سـجادات الطرق الصوفية بالعاصمة القومية و الولايات المختلفة .

وباقة من الشكر و الإمتنان لأساتذتى الأجلاء و أعضاء لجنة المناقشة و الحكم لتكرمهم بقبول مناقشة هذه الرسالة .

و رسالة الشكر و التقدير إلى كل من سـاعدنى ووقـف معـى بفكـره ناصحاً و موجهاً .

و أسأل الله أن يجزيهم جميعاً عنى خير الجـــزاء إنه ولى ذلـــــــك و القادر عليه .

الفهرست

الرقم	المادة	الصفحة
١	الإستهلال	٣
٢	إهداء	٥
٣	شكر وتقدير	٦
٤	الفصل الأول ❖ دور الدول و الأمارات السودانية فى نشر الثقافة العربية و الإسلامية	١٠ـ ٢٠
٥	الفصل الثانى ❖ الطرق الصوفية ودورها فى نشأة النثر العربى فى السودان من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية	٢١ـ ٣٨
٦	الفصل الثالث ❖ مصادر النثر العربى فى السودان من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية	٣٩ـ١٠٧
٧	الفصل الرابع ❖ أنواع النثر العربى فى السودان من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية	١٠٩ـ ١٤٣
٨	الصل الخامس ❖ الخصائص الصوفية و أثرها الفنى على النثر العربى فى السودان	١٤٥ـ٢٠٠
٩	مناهج البحث	٢١
١٠	توصيات الباحث٠.	٢٠٣
١١	الخاتمة	٢٠٤ـ٢٠٦

المقدمة

قسم نقاد الأداب العربي القديم والحديث الادب الي قسمين الشعر والنثر وأهتم النقاد بدراسة الشعر اكثر من النثر وبعد الإطلاع علي الدراسات التي تمت في جانب النثر داخل المكتبات السودانية العامة الكبيرة ومكتبات الجامعات المختلفة والمكتبات والخاصة اتضح ان هنالك عدد هائل من النصوص النثرية التي تمت كتابتها في السودان منذ دخول اللغة العربية والإسلام وفي العصر الحديث وهنالك انماط مختلفة من الادب النثري التي تمثلت في الاحاجي والامثال والحواديت والقصص الذي يحكي عن الخرافة والتطير والدجل والشعوذة.

وتم نقل هذه الانواع من النثر عبر الاجيال بواسط النقل الشفاهي عن طريق الحكي من الاجداد في وقت السحر وفي حلقات الانس والسمر . وهناك نوع اخر من النثر العربي نشأ بعد رسوخ الدعوة الاسلامية واكتمال معرفة قواعد اللغة العربية في السودان . وتمثل هذه الانواع في الخطب والرسائل والمواعظ والصكوك وشروح المتون والكتب التي تم تأليفها في مجال الدعوات والماثر والاحزاب والصلوات والمولد النبوي الشريف وتم رصد معظم هذه الموضوعات في كتيبات صغيرة متناثرة تكاد تكون كل دعوة او حزب في مخطوطة صغيرة وهذا ما تسبب في صعوبة جمعها ودراستها والوقوف علي مواقع الجمال الادبي فيها وتسبب التناقل الشفاهي لهذه الكتبيات في تساقط بعض المعلومات منها ومعظمها لا يوجد في المكتاب العامة ودور العلم المختلفة ومنها ما تم حفظه في سجادات الطرق الصوفية وعند بعض الاسر الكبير في السودان وهذا ما تسبب في العناء الكبير الذي وجده الباحث خاصة ان هنالك بعض المعلومات في اماكن نائية تتطلب السفر والوقوف علي حقيقتها وتلاحظ قلة المراجع والمصادر التي تحوي الادب النثري في السودان . ومعظم المصادر الموجودة تناولت نقد الشعر في الفترة التي ازدهر فيها الادب في السودان وهي الفترة التي تلت الثورة المهدية

وتنبع اهمية هذا البحث من الوقوف علي النثر الادبي في السودان ودراسة تأثره بالصوفية ومعرفة مدي اهتمام اهل السودان بالكتابة في جانب السعر والنثر معا والملاحظ ان المحاولات النثرية المبكرة التي ظهرت في هذه الفترة اصبحت اساسا متينا ارتكز عليه الادب السوداني في مراحله المختلفة فمعظم الروايات والقصص والمسرحيات التي تم تأليفها في السودان قديما وحدثا منذ نشأة دولة النفوج والي الان لا تخلوا من النفس الصوفي في كل مراحلها فالبطل في معظم الروايات يتمثل في شخصية شيخ الطريقة الصوفية وتدور محاور شخوص القصة او الرواية حول المريدين والاتباع والدراويش وتتعمق معظم القصص في الخيال حتي تبلغ مرحلة الجزب

الالهي والفناء الروحي . واقتبس الادباء من القران الكريم قصة سيدنا سليمان وسيدنا يوسف ونبي الله الخضر ووقفوا عند قصة الاسراء والمعراج كثيرا .

وبما ان مرحلة نشأة النثر العربي في السودان اندمجت تماما في مرحلة نشأة الصوفية وصارت الصوفية ملازمة للادب وحاضرة في كل انواعه واقسامه وخصائصة راى الباحث ضرورة الوقوف علي نشأة الصوفية وافرد بابا كاملا تحدث فيه عن نشأة الصوفية واقسامها واورد نبزة عن كل طريقة والشيخ الذي اسسها وموقعها والملك الذي رعاها . وحتي تسهل مهمة دراسة هذه الفترة افرد الباحث دراسة مفصلة عن مصادر النثر المتمثلة في القصص والاحاجي والامثال والقران الكريم والحديث البنوي وخطب النبي عليه الصلاة والسلام واصحابيه رضوان الله عليهم .
وبما ان المناسبات التي قيل فيها النثر العربي في هذه الفترة مختلفة فقد تطرق البحث الي اقسامها المتمثلة في الخطب والمواعظ والموافد والهبات والنثر السياسي والاجتماعي والنثر الديني المتمثل في الرواتب والدعوات والصلوات والوظائف ووقف البحث علي بعض الكتب والمخطوطات التي تم نشرها في هذه الفترة مثل صكوك الارض والوثائق التاريخية والمكاتبات الخاصة بشراء وبيع واهداء الاراضي في هذه الفترة .
وبعد رسوخ الدعوة الاسلامية واللغة العربية في السودان ونقل سمات الحضارة من الجزيرة العربية عن طريق البحر الاحمر ومن شمال افريقيا عن طريق مصر ومن غرب افريقيا عبر المغرب العربي والاندلس ادي كل هذا الي تطور النثر العربي تطورا ملحوظا وانتشرت الكتب التي تم تأليفها بواسطة اقطاب الطرق الصوفية وهذا ما اوحي للباحث ضرورة دراستها دراسة فنية والوقوف علي بعض نصوصها ومن هذه الكتب مخطوطات الشيخ احمد التجاني والشيخ احمد ابن ادريس والسيد علي المريغني والشيخ اسماعيل الولي والامام المهدي علي السلام وتمت كتابة هذا البحث وترتيب ابوابه وفقا لاهمية كل باب .

الفصل الأول

دور الدول و الأمارات السودانية فى نشر الثقافة العربيةو الإسلامية

الفصل الأول

دور الدول و الأمارات السودانية فى نشر الثقافة العربيةو الإسلامية

ظل السودان موطناً لأمارات عديدة و ديانات مختلفة لفترة طويلة من الزمان و تمثلت هذه الديانات في ديانات مختلفة ، وظل الناس يرمزون للقوة الإلهية بعبادة الأوثان و تقديس بعض البقاع و الأشياء كالشمس و القمر و تخذوابعض الأفراد و اسطة بين الله و البشر و آمنوا بالقوى السحرية لقضاء الحاجات و الكيد بها للخصوم . و تشابه هذه المعتقدات المعتقدا ت التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية .

و مازالت هذه المعتقدات و الممارسات موجودة عند بعض القبائل السودانية حتى الآن . و تتمركز فى الأماكن النائية وتمتد أحياناً حتى مداخل الأماكن الحضرية

و تأثر السودان ببعض الديانات والمعتقدات السائدة في دول الجوار فإمتدت الديانة الفرعونية في شمال السودان ، وامتدت حتى سواحل البحر الأحمرو بعض علماء اللغة و جدوا أن هنالك علاقة لصيقة بين اللغة الفرعونية و بعض اللغات السائدة في شرق السودان.

و في القرن السادس عشر الميلادي دخلت المسيحية شمال السودان ودانت لها الممالك التى كانت سائدة فى بلاد النوبة ـ دولت نوباتيا و علوة و المغرة ـ و انتشرت المسيحية و تم بناء الكتاتيب و تمددالقساوسة والرهبان نحو وسط السودان في بمحازات مجرى نهر النيل.

و فى عهد خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل المسلمون أرض النوبة بقيادة عبد الله بن أبي السرح سنة (٣١هـ ـ ٦٥٢م). و بعد خوضهم معارك طاحنة تم عقد تحالف بينهم و بين ملوك النوبة سمي بإتفاقية البقط . و تم التعايش بعد الاتفاقية بين المسلمين و المسيحيين .

و كان لهذا التعايش دور أساسي فى نشر الثقافة و اللغة العربية فى شمال السودان و امتدت هذه الثقافة على طول مجرى نهر النيل و هنالك أسباب كثيرة أدت إلى تدفق الهجرات العربية بأعداد كبيرة و امتدت هذه الهجرات الى أبواب النوبة فى

شمال السودان و البجة فى شرقه . و تعايش العرب مع أهل السودان القدامى وعقدوا معهم الاتفاقيات و المعهدات. و تم تدوين هذه الاتفاقيات فى نصوص كثيرة وطويلة ، عدها مؤرخوا النثر العربي من أوائل النصوص النثرية في السودان ، و تمكنت القبائل العربية من نشر الثقافة العربية و الإسلام فى تلك الأماكن التي تغلبت عليها عنصرياً(١) و هذا ما حصل من انتصار للثقافة العربية بعد غزو الثورة الفرنسية و في بعض المناطق الطرفية البعيدة مثل دارفور و جبال النوبة واحتفظت بعض قبائل النوبة بالوثنية و الإعتقاد فى الكجور و السبر و التطيير لوقت قريب . و ظل بعضهم الآخر معتنقاً المسيحية خاصة في الجبال الأكثر بعداً عن الحزام العربي وتدفقت المؤثرات العربية و الإسلامية للجزء الشمالي و الشرقي ووسط السودان عن طرق رئيسية ثلاثة (٢) أولها و أهمها عن طريق وادى النيل الرابط بين السودان و مصر حيث تم التأثير و التأثر بالسلالات العربية التى سكنت مصر من فجر الدعوة الإسلامية و نشرت الدين الإسلامي و الثقافة العربية حينها .

و عن طريق البحر الأحمر للربط بين غرب الجزيرة العربية و شرق السودان حيث أتى بعض التجار و الفارين من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر و ساهموا في الدين الإسلامي و الثقافة العربية وهذا ما نجده في الفصول القادمة خاصة عند الوقوف على أثر الصوفية علي النشر العربي في السودان و هجرات المتصوفة الأوائل للسودان من بلاد الحجاز و تواجدهم في شرق السودان . و ثالث الطرق هو طريق المغرب العربي حيث قامت هنالك دولة الأندلس و الهجرات العربية بقيادة عبد الرحمن الداخل ، و بعض الهجرات العربية دخلت غرب السودان من بلاد الأندلس و تونس و المغرب . و أشهر هذه الهجرات هجرة أبي زيد الهلالي التي صارت من ضمن المأثورات السودانية فى الأدب العربي .

---

(١) بحوث في تاريخ السودان ط دار الجيل ١٩٩٢م ص٢٠ د. محمد إبراهيم أبو سليم

(٢) مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ــ ١٨٢١م أ . د . يوسف فضل حسن

و بلغت الهجرات العربية زروتها عندما شاركت بعض القبائل العربية فى الغزو العسكرى المملوكي ضد بلاد النوبة المسيحية ، و تبعتها هجرات أخرى بعد اضمحلال نفوذ ملوك النوبة السياسي و الإجتماعي فى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي و تزايد العنصر العربي حتى صارت الأسرة المالكة مسلمة تجري فى عروقها الدماء العربية بعد أن كانت مسيحية نوبية (١) و بالتالى تحولت الثقافة الزنجية الوثنية الى ثقافة عربية إسلامية حيث أصبحت الدولة في أيدي عربية مسلمة

بعد هذا المد الإسلامي و العربي في السودان تكونت ثلاث بيئات (٢)

أولاً : ـ

البيئة التي خضعت كلياً للعنصر العربي و تتمثل هذه البيئة في أواسط السودان و جنوب دار فور و شمال كردفان . و يتطابق في هذه البيئة الاسلام مع اللغة العربية تماماً ـ إذ يدين كل الناس بالدين الإسلام

ثانياً : ـ

بيئة خضعت للنفوذ الإسلامي العربي و هنا يقل الأثر الإسلامي في اللغة مثل البجة . في شرق السودان الذين الذين إحتفظوا بلهجاتهم المحلية و النوبة في شمال السودان و أحتفظوا بلهجات المحس و الدناقلة و الفور في غرب السودان أحتفظوا بلهجة الفور . و يتكلمون اللغة العربية و إنتشرت في هذه البيئة ضروب من النثر تشابه تماماً النثر العربي فى صدر الإسلام . و ظهر ذلك في المكاتبات و الوثائق و الخطابات المدونة .

---

(١) المرجع السابق ص ١١ـ١٢ يوسف فضل

(٢) المرجع السابق ص٢٠ محمد إبراهيم أبو سليم

واحتفظت هذه القبائل والمجموعات بلهجاتها المحلية اثر تاثيراً سلبياً على تطور اللغة العربية ووحد الإسلام طريق لهذه الجماعات عبر لهجاتها احياناً وبالتالي صنف تاثير النثر العربي بخصائص الادب الاسلامي . وبعض القطع النثرية التي جمعت من هذه الاماكن لاتخلو من الحوشية والركاكة .

اذن كانت الهجرة التي تمت عبر البوابة الشرقية والشمالية والغربية للسودان ـ والرحلات التجارية التي تمت عبر البحر ورطبت بين ساحل البحر الاحمر الشرقي والغربي وكذلك الرحلات التي كانت تسير موازية للسبل وبعض الرحلات التجارية التي توقلت في اواسط السودان في مناطق الجزيرة وكردفان .

وهذ الوسائل التي انتشر بها الاسلام واللغة العربية في السودان تعد من وسائل القدوة الحسنة خلاف الاجهزة المتمثلة في الجيش والفاتحين .

وإن الاسلام انتشر في هذه البقاع المذكورة عن طريق الحُجة ، والاقناع ، والمنطق ، عن طريق التجار وزعماء الطرق الصوفية والعلماء ودعاة الإصلاح (١)

وهذا ماجعل أرنولد تونبي يقول:ـ (إن الاسلام لم يتعامل مع الاسود فقط على إنه من طبقة منحطة كما كان الحال لسوء الحظ في كثير من الاحيان في العالم المسيحي(١)

وهذا ماجعل كل القبائل والاجناس في السودان تتعامل مع الاسلام والمسلمين وأداة إلى إنتشار اللغة العربية والنثر العربي في السودان في منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي والسابع عشر الميلادي ، شهد السودان قيام العديد من الممالك والدويلات الاسلامية ومنها مملكة العبدلاب التي إمتدت حتى تاخمة الخرطوم ، ومملكة الفونج التي قامت في منطقة سنار ، ومملكة الفور التي قامت في

---

(١) العوة الإسلامية فى غرب أفريقيا قديماً وحديثاً ـ المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية ١٩٨١م عمر جاه

(٢) الفكر الصوفى فى السودان ١٩٦٨ـ١٩٦٩ـ عبد القادر محمود ـــ عبد المجيد عابدين

دارفور في غرب السودان ، ومملكة تقلي التي قامت في منطقة جبال النوبة الشرقية في منطقة كردفان ، مملكة المسبعات التي نشأت في غرب السودان

اولآ: سلطنة الفونج :-

ادت الهجرات المتتالية للعرب إلى كثرت اعدادهم وأسسو مملكة العبدلاب الضخمة وضقطو بها على مملكة سوبا حتى تمكنوا من إسقاطها على أيديهم بقيادة قائدهم عبدالله جماع (١) إلا أن مدة العبدلاب في الحكم لم تدم طويلاً، إذ نازعتهم فيه جماعة من البدو السود إشتهروا بتربية البقر وعُرفة بإسم الفونج ولم يظهروا على مسرح الاحداث بعد ان تشتت العبدلاب بقيادة عبدالله جماع .(١) وقدم الفونج من بني أمية في شبه الجزيرة العربية او من بني هلال الذين ينتسبون إلى ابي زيد الهلالي القادم من شمال افريقيا عبر الممالك غرب السودان .

وتتضح علاقة الفونج بالإسلام من الخطاب الذي وجهه عماره دنقس للسلطان سليم حين مادخل أثيوبيا من مصر قاصداَ الزحف على سنار قائلاَ ((إني أعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي ، فان كان لأجل تاييد دين الاسلام فإني أنا و أهل مملكتي عرب مسلمون ، و إن كان لغرض مادي فأعلم أن أكثر أهل مملكتي عرب بادية وقد هاجروا الى هذه البلاد لطلب الرزق و لا شيء عندهم يجمع كجزية سنوية)) (١)

ولما قرأ السلطان سليم الخطاب عدل عن حرب سنار و أدى قيام دولة الفونج الي تنشيط التعليم و بدأت طلائع العلماء و الصوفية تتوافد علي مملكة سنار من الحجاز و المغرب و أرض مصر ـ و العراق ـ و أزدهر افتتاح الخلاوي منذ مملكة

---

(١) العوة المهدية مشروع رؤية جديدة الفارابى للنشر ـ ص ١٩ ـ الخرطوم ١٩٨٧ عبد العزيز عمر الصاوى

(٢) مصدر سابق ـ ص ١٢ـ يوسف فضل آدم

المغرة و علوة و قامت خلاوي جديدة ـ وبرزت حلقات العلم في المساجد لتدريس ـ الفقه و التفسير و اللغة ووجدت قبولاً كبيراً من المستمعين و الدارسين . وتمت المصالحات الدينية و التباري من أجل الإقناع بالفتاوى و الإجتهاد في توضيح بعض القضاية الفقهية .

وفد بعض العلماء الي السودان وفقاً لهذه الهجرات و أول العلماء القادمين للسودان غلام الله بن عائد التميمي في القرن الرابع عشر الميلادي ، وقدم من علماء الصوفية الشيخ حمـــد أبو دنانة في القرن الخامس عشر الميلادي . و جهود هذين الشيخين ذادت من فرص الدعوة للإسلام و كسبوا مريدين و طلاب قاموا بنشر دعوتهم و تمددها في معظم أنحاء السودان ويؤرخ ود ضيف لمقدمها يقول ((إنه قبل قيام دولة الفنج في أول القرن العاشر ـ إذ لم يشتهر في تلك البلاد مدرسة لعلم القرآن و يقال أن الرجل يطلق المرأة و يتزوجها غيره في نهار واحد بغير عدة متى قدم الشيخ محمود العركي من مصر . و علم العدة . و سكن بحر أبيض و بني قصر يعرف اللآن بقصر محمود)) (٢)

و عرف هذا الرأي صاحب كتاب ((تاريخ ملوك سنار و أقاليمها)) و إحتج و قال إن هذا الكلام مقصر علي على جهة النيل الابيض من الجهة الشرقية قد كان بها اولاد عون الله الذي عاصروا عهد الفونج والعنج ، وإن الشيخ ود الارباب ولد في سنة ٩١٣ هـ وكان يدرس عند ولد بندار وإن قدوم محمود المذكور كان بعد ذلك . واشارت بعد ذلك إلى بعثة بندار إلى بلاد النوبة ايام هارون الرشيد ، ثم قدوم حمد ولد رزق والبنداري وإنشائهما المدارس (١)

---

(١) جقرافيا و تاريخ السودان ـص ٩٧ـ٩٨ نعوم شقير

(٢) جغرافيا و تاريخ السودان تحقيق و تقديم محمد أبراهيم

والواقع ان من دلائل ما يوكد ان البلاد شهدت مدارس علم وقران قبل قدوم محمود العركي من مصر وان حالة الجهل التي اشار إليها ود ضيف الله كانت قاصرة على جه واحده غير الاخرى .

واسهمت مملكلة القنج إسهاماَ حضارياَ واسعاَ في تكيف حياة السكان ـ ملوك الفونج إشتهروا بالنزعة الدينية القوية ، وإهتموا بعلوم الفقة والشريعة ، ولذلك قاموا بتجشيع الذين توافدوا بعد على السلطنة بعد ان اغدقوا علية الهبات واجزلوا لهم بالعطاء ـ

فاخذ رجال الدين يشرحون للناس اصول دينهم مبينين لهم مايتعارض مع مورثاتهم من عادات وثنية وتقاليد مسيحية (٢) ولازدياد عدد رجال الدين بدأوا المرحلة الثانية نشر العقيدة الاسلامية وتعميق مفاهيمها وبالتالي إستخدم هؤلا العلماء خصائص اللغة العربية المهذبة بالقران الكريم والحديث النبوي الشريف ولقد هذبوا لغة الناس وارهفوا سمعهم بلغة خطابة مشابهة للغة صدر الاسلام في الجزيرة العربية واعتنق معظم اهل السودان الإسلام على المذهب المالكي وقليل على المذهب الشافعي ـ ونشأت لهذه المذاهب مدارس دافعت عن ثوابتها ونشأت مدارس اخرى متخصصة في تعليم القران الكريم واول هذه المدارس مدرسة ولاد جابر في دنقلا وقام شيوخ هذه المدارس بتدريس القران الكريم بطريقة تشابه طريقة التدريس الحالية مستخدمين بعض الوسائل التربوية المنهجية في التدريس ، واشارت معظم الدراسات إلى دور أولاد جابر في إنشاء المداريس الخاصة في تعليم القران الكريم وعلومه في شمال السودان .

---

(١) الطبقات ص٤٠ـ ود ضيف الله

(٢) تاريخ التعليم الدينى فى السودان ص ٢٧ ط دار الجيل ـ بيروت ١٩٨٧م يحيى محمد إبراهيم

وقامت مدرسة إسلانج وكترانج ومدرسة الشيخ سوار الدهب ومدارس بربر والدامر ونشأت مدارس لتعليم القران في كلٍ من الجزيرة و سنار

ومعظم هذه المدارس ادخلت نظام دراسة علوم القران والحديث بجانب تحفيظ القران الكريم وهذا ما أدى لظهور العلماء الكبار الذين تخرجوا من هذه المدارس وتنقلوا للتدريس في مدارس اخرى وأسسوا مدارس اخرى .

وبجانب هذه المدارس ادت المساجد دوراً اساسياً في نشر اللغة العربية وتهذيب نثرها في هذه الحقبة في السودان . حتى يستطيع إمام المسجد توصيل رسالته للمستمع والحاضر لخطبته لابد ان يجيد لغة نثره وان يوصل معانيه للسامعين بلغة ساهلة وسلسة ومهذبة .

وادت رسالة المسجد لتطوير النثر والخطابة في السودان فطالب الخلوة هو قارئ القرأن في الحلقة صباحاً ومساءً وهو المجتهد لتنسيق وزخرفة اللوح وعرضه على الشيخ وبذلك ساهم طالب الخلوة في إسراء فن الكتابة والخط وإن هذين الفنين هما من الوسائل المهمة جداً لعرض النثر . ويرجع إهتمام سلاطين سنار لنشر تعاليم الاسلام إلا أنهم كانوا في الاصل علماء دين وطلاب خلاوي وحفظة قران وعمل عمارة دنقس قبل تقلده السلطة معلماً للقران وعلومه ، وكانت خلوته عند مصب نهر العلكو بجهة النيل الازرق بسنار ، وكان عبد الله جماع معلماً ، وخلوته تقع في إتجاه سواكن ، وكذالك الشيخ عجيب المانجلك ويذكر أنه اول من رتب لرجال الدين الرواتب وإقتطع لهم الارض واصدر لها عقوداً عرفت في ما بعد بصكوك الارض(١)

وإهتم القضاة بهذه الصكوك التي توضح موقع الارض والمالك السابق والممنوحة له تم ذلك في قطع نثرية ذات نسق متشابه حتى صار نظمها معروفاً عند كل ملوك سنار في تلك الحقبة .

---

(١) الطبقات ص ٣-٤ ود ضيف الله

واهتم الملك عجيب بن عبدالله جماع بالصوفية واغدقهم بالعطاء ومنحهم الارض والحواكير واصدر في ذلك العديد من والوسائق الخاصة بتمليك الارض وإشتهر الملك نول بالعدل والمساواه والملك اسماعيل بالتدين والعدل وكان الشيخ دفع الله العركي من رجال الدين الصالحين وهو تلميذ الشيخ ود الارباب الذي علم وارشد الكثير (١)

ثانياً سلطنة الفور :-

نشأت سلطنة الفور في القرن السابع عشر في غرب السودان وقبلها قامت دولة الداجو ومن بعدها التنجر ونشر الاسلام لهذه الممالك عبر الجماعات العربية المستعربة من الشرق والغرب وصارت الديانة الرسمية في عهد دولة التنجور . واتخذوا اللغة العربية لغة رسمية لهم في عام(١٥١٠م)(٢) ويرجع معظم المؤرخين إلى أن اول دعاة بني هلال ويسمى احمد المعقور ووجده وبعض الناس جريحاً وملقياً في العراء فأخذه السلطان شاور واستضافة في بلاطة واتخذه مستشاراً له وزوجه ابنته ، وولدت له السلطان ابراهيم صولنج ، والعادة المعمول بها في ذلك الزمن أن يورث المك عن طريق الام صار سليمان صولنج ملكاً .

وآول ما فعله جعل المملكة مملكة اسلامية ، واستضاف علماء الدين وفتح خلاوي ونشر الاسلام في مملكته التي يرجع تاريخ تاسيسها للعام(١٦٣٧م)(٣) وضع المؤرخ كارلفان قائمة من خمسة وعشرين ملكاً لسلطنة الفور تبدأمن السلطان سليمان صولنج ، وتنتهي بالسلطان محمد الفضل (١) ــ واهتم السلطان سليمان بتوحيد المسلمين في صلاة الجمعة ولها أسسها ونظمها ـ فيخرج السلطان في موكب ضخم إلى المسجد الذي يتوسط المدينة ويخطب الخُطبة المتعارف عليها حتى الآن

---

(١) المسيد ص ٧٥ـ ٧٦ الطيب محمد الطيب

(٢) مصدر سابق ص ١٠٧ـ ١١٠ نعوم شقير

(٣) تاريخ التعليم الدينى فى السودان

يبدآ بالتعويز والتحية ويقف امام المصلين في المسجد ويحتوي النص الاول على المواعظ والعبر والترقيب والترهيب - ويجلس في منتصف الخطبة ويبدآ عجز الخطبة بعد ان يكمل صدرها ونظام خطبة السلطان معمول به حتى الان في شكل اخراج الخطبة في معظم مساجد دارفور ووسط السودان . مع علمنا التام بان معنى الخطبة تغير تماماً.

وخلف السلطان سليمان ابنه عمر و الذي لقب بالملك العادل في الفترة من ١١٧إلى ١٧٧هـ وبسط العدل في ربوع مملكته واهتم بعلماء الحديث وحفظة القرآن

واهتم السلطان تيراب بإنشاء المساجد وبنا مسجداً ضخماً من الطوب الاحمر في بلدة ستوبا غرب كبكابية واهتم بالادب والقانون فجمع القوانين في كتاب اطلق عليه أسم ((قانون دالي)) .

ومثلت جهود سلاطين الفور في نشر الاسلام ظاهرة فريدة في ذلك الزمن . وإذا قارناهم بالحكام العرب في القاهرة بغداد في هذه الفترة لم نجد إهتماماً كافياً بالاسلام والغة مثل الاهتمام الذي كان سائداً بدارفور. بل ادت السياسات السائده في الجزيرة العربية ومصر والشام إلى هجرات الكثير من العلماء إلى ارض السودان عامة ومملكة الفور خاصة . وادى ذلك إلى نشر اللغة العربية والدين . وهذا ما ادى إلى قيام دولة إسلامية قوية لم تشهد بلاد العالم مثلها منذ سقوط دولة الاندلس في العام ١٤٩٢م . ولم تقم للإسلام دولة إلا في العام(١٩١٠ إلى ١٥٠٥م) وهي دولة الفور

مملكة تقلي والمسبعات :-

نشأت مملكة تقلي في القرن السادس عشر الميلادي في منطقة معظم سكانها من النوبة وانتشر الاسلام في هذه المملكة بفعل هجرات العرب التي يلغت سهول

---

(١) يسألونك عن المهدية ص ١٢٦ الصادق المهدى

كردفان الوسطى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ـ وحدث عن طريق هذه الهجرات تزاوج وإنصهارمع السكان المحليين . (١)

ومن اشهر ملوك تقلي الملك قيلي ابو جريدة الذي تم تنصيبه ملكاً في العام (٥٧٠م) وسيطرت هذه المملكة على المنطقة حتى اخر القرن التاسع عشر الميلادي(٢) واهتم ملوك تقلي بنشر الاسلام إلا أن اللغة العربية لم تجد حظها من النشر وتمسك السكان بلهجاتهم المحلية واستمرت هذه المملكة إلى أن جاءت الثورة المهدية وورد في مناشير الامام المهدي انه سيعلن الدعوة من منطقة تسمى {بطن امك } في داخل بلاد تقلي . ونشأت فكرة لانشاء دولة المسبعات في مناطق كردفان إلا انها لم تجد حظها من الانتشار . وهنالك محاولات فردية لبعض المهاجرين المتقلقلين في داخل اراضي النوبة واراضي الجنوب بغرض تجارة الرقيق يمثل هؤلاء الزبير باشا .وبجانب إشتهار الزبير باشا بانه اكبر تجار الرقيق إلا انه كان مسلماً وفقيهاً واثر عنه الكثير من الرسائل والمكاتبات والخطابات المتبادلة بينه وبين اصدقائه ورصفائه ، وكان له ولامثاله اثر في نقل العربية والاسلام في السودان إلا انه اثر طفيف لان الاماكن التي توغلوا فيها تمسكت بلهجاتها المحلية .

---

(١) مصدر سابق ص٧٧ يوسف فضل آدم

(٢) الدعوة الإسلامية فى أفريقيا ـ المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية ١٩٨١م ـ عون الشريف قاسم

الفصل الثاني

الطرق الصوفية ودورها في نشأة النثر العربي في السودان

من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية

الفصل الثاني

الطرق الصوفية ودورها فى نشأة النثر العربى في السودان

من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية

دخلت الطرق الصوفية الي السودان في أوقات متفرقة و ينسب الي البهارى أنه أول من أدخل الطرق الصوفيى الي السودان و لكنها سلكت الطريق الذي دخل عبره العرب و المسلمون السودان .

و إتخذت الطريقة الصوفية شكلاً و مضموناً و صار الأدب المتأثر بالتصوف واضح المعالم إذ تتمثل فيه معظم خصائص التصوف ـ فشيخ الطريقة دائماً يعاونه الخليفة و المريدون ويتوج الشيخ عن طريق البيعة ذات الأسس المعلومة و المعروفة و المتمثلة في الجلوس أمام الشيخ الكبير و ترديد بعض الأدعية و المأثورات و تذبح الذبائح . و يتم صرف الأوراد و الأدعية للتعبد بها .

و الطرق الصوفية التى دخلت السودان كثيرة و تفرعت هذه الطرق أيضاً لطرق أخرى وصار أمر التصوف أمرا معلوماً في كثير من أنحاء السودان المختلفة و يظهر النثر في أجزاء كثيرة من الأدب الصوفي و يتمثل في الأدعية و المأثورات و القصص و الأمثال و الشرح و المتون و الفتاوي و خطب صلاة الجمعة و المؤلفات العلمية المتمثلة في الكتب الدينية المشهورة و المميزة لكل طريقة صوفية عن الأخرى .

و أول الطرق الصوفية التي دخلت السودان كانت لصيقة بالبلاط و الملوك و تم إهداء شيوخها الأراضي و الأطيان و تمت مساجلات نثرية مشهورة في ذلك.

الطريقة الشاذلية :ـ

تنسب الطريقة الشاذلية الي مؤسسها أبو الحسن الشاذلي {٥٩٣ ـ ٦٥٦}هـ الذي ولد بقرية مدسنة قرب تونس في قلب أفريقيا و إنتقل الى تونس و حج عدة

مرات وتنقل بين العراق و مصر و مات في صحراء عيزاب في طريقة الي الحج . (١) و يقول ود ضيف الله (أنها دخلت السودان قبل قبل مملكةالفنج و أول من أدخلها السودان الشيخ حمد أبو دنانة الذي أستقر في منطقة السقاى غرب المحمية في سنة (٨٤٩ هـ ـ ١٤٤٥م) و مات بها و دفن في منطقة أبو دليف و يعرف موقع قبرة حتي الآن و له خليف بها . (٢)

و يرجع البعض دخول الشاذلية السودان علي يد الشيخ عبد الله بن الشريف الفاسى تلميذ الشيخ أحمد بن ناصر الشاذلي و من هتدى بطريقة الشاذلية في السودان الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم ، و الشيخ حمد المجذوب .

و جمع الشيخ خوجلي بين الفقه و التصوف و تابع الصوفية في أقوالهم و أفعالهم من لبس الثياب الفاخرة ، و أستعمال العطور ، و الأكل الجيد وقال معلقاً علي لبس القادرية المرقع (٣) (ثيابي تقول للخلق أنا غنيٌ عنكم و ثيابهم تقول أنا مفتقر إليكم))

و لازم الشيخ خوجلي الأذكار و الرواتب عقب كل صلاة و تبعة مريدوه في أمره ونهيه ، و من أشهر الذين سلكوا الطريق عليه الفقيه ضوينا من أهل الصعيد ، و الفقيه عبد القادر بن مصطفي و الفقيه محمد ولد المايدى و الفقيه أرباب الخشن ، و الفقيه ضيف الله (٤) و الشيخ حمد المجذوب ((١٦٩٣ـ ١٧٧٦)) م و مركزه الدامر و أصبحت تعرف طريقتة بالمجزوبية ولم تمتتد المجزوبية في الشرق إذ أصبح الشرق ميداناً خاصاً للختمية .

و أشهر شيوخ الطريقة الشاذلية الشيخ الطاهر المجذوب الذي إنضم للثورة المهدية بعد ظهورها .

---

(١) بحوث فى تاريخ السودان ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٩٢م ص٢ محمد إبراهيم أبو سليم

(٢) مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى ـ١٤٥٠ـ ١٨٢١ الخرطوم بروفيسر/يوسف فضل

(٣) المصدر السابق ص ١ـ٢ يوسف فضل آدم

(٤) المصدر السابق ص ٢ محمد إبراهيم أبو سليم

و الشاذليه يمتلكون تراثاً كبيراً من الأدب النثري المتمثل في أورادهم وخطبهم و اقوالهم و أمثالهم و إهتموا بدراسة القرآن الكريم و تدريسه و دراسة الفقهه وخصائص اللغة و صارت المدرسة المجذوبية من أهم المدارس في السودان .

و للشيخ الطاهر آخر مشايخ الشاذلية مكاتبات نثرية قيمه تمت بينه وبين الإمام المهدي في شكل منشورات و خطابات يتم التعرض لها و دراستها في باب الدراسة الفنية في النثر العربي في هذه الفترة .

و تمكن شيوخ الطريقة الشاذلية أن يضيفوا اللغة الأولي للدراسات الأسلامية في السودان و حافظوا علي تعاليم الصوفية و طبقوها في حياتهم اليومية و صارت الكتابة النثرية في عهدهم مهذبه و متأثرة بالقرآن و تميل للعمق الروحاني و الإسلامي.

الطريقة القادرية :

يرجع تأسيس هذه الطرية للشيخ عبدالقادر الجيلاني ((٤٧٠ـــ ٥٦١))هـ المتوفي والمدفون في بغداد حيث يزور قبرة كل عام أعداد هائلة من أتباعه ومريديه في كآفة أنحاء العالم الاسلامي . وذلك بغرض التبرك ـ وله سبعة وأربعون ولداً حمل إحد عشر منهم تعاليمه ونشرها في العالم الاسلامي .(١)

ودخلت الطريقة القادرية السودان عن طريق الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي الذي أتى من بغداد عن طريق الحجاز بدعوة من داؤود عبد الجليل التاجر السوداني في النصف الثاني من القرن العاشر نحو عام ((٩٨٥هـ ــ ١٥٧٧م)) وبلغت إقامته سبع أعوام وكان ذلك في عهد الملك الشيخ عجيب وسكن مع داؤود في وادي شعير في أم عضال ـ وأهم من سلكوا الطريقة على يد تاج الدين البهاري في فترة إقامته بالسودان خمسة هم ــ الشيخ محمد الهميم والشيخ بنقا الضرير والشيخ حجازي باني أربجي ومسجدها وشاع الدين ((ولد التويم)) جد الشكرية والشيـــخ

(١) الدعوة الإسلامية فى غرب أفريقيا قديماً وحديثاً ـ المؤتمر العالى للدعوة الإسلامية ـ عمر جاه

عجيب الكبير وقيل أنه قد سلك الطريق على يده أربعون أخرون منهم الفقيه حمد النجفي صاحب مسجد إسلانج .(١)

وطلب من الشيخ عبدالله بن دفع الله العركي تلميذ الشيخ عبدالرحمن بن جابر أان يسلك طريق القوم ، فرفض عبدالله ذلك الطلب معللاً بأنه لم يخلط مع الفقيه شيخاً آخر ، ولحق بهم أخيراً في الحجاز وسلك طريقته بعده الخليفه حبيب الله العجمي (٢)

وهنالك شيوخ لهم أهميتهم في القادرية كالشيخ إدريس ود الأرباب ((١٥٧٧ـــ١٦٥١)) والشيخ حسن ود حسونة الذي سلك على يده الشيخ العجمي والكوفي والحاج عبدالسلام (٣)وعندما أراد البهاري العودة للحجاز خلفة الشيخ محمد الهميم وأورد في ذلك صاحب الطبقات (انا جيت من بغداد لاجل هذا الصبي وخلفته في مكاني ومثل ما تعاينوا إلي عاينوا إليه)) واعطاه الاسماء والصفات ومعرفة دخول الخلوات والرياضة .(٤)

وبعض خلفاء الشيخ تاج الدين البهاري أصبحوا رؤساء لأسر مشهورة مثل الشيخ محمد الأمين جد الصادقاب في منطقة السوكي ، والشيج عجيب والكبير المانجلك القائد العظيم للعبدلاب .

وبعض الخلفاء إعتنقوا طرق أخرى مثل خليفة الشيخ إدريس وأولاد الترابي اصبحوا ختمية واليعقوباب والعركية النضموا للسمانية (٥)

وهذا ما يدل على أن الفواصل بين هذه الطرق لست بكبيرة خاصة وأن تعاليم الصوفية متشابهة في كل الطرق الصوفية وقواعدها شبه موحدة .

---

(١) الفكر الصوفى فى السودان العربى ـ ص٣١ ـ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩م عبد القادر محمود

(٢) الدعوة غلى الإسلام ـ حسن إبراهيم حسن ـ عبد المجيد عابدين

(٣) الدعوة المهدية مشروع رؤية جديدة ص ١٧ ـط الفاربى للنشر ـ الخرطوم ـ ١٩٦٧عبد العزيزحسن

(٤) جقرافيا و تاريخ السودان ص ٩٧ـ ٩٨ ـ نعوم شقير

(٥) تاريخ السودان تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم ص ٩٧ ـ ٩٨ ـ دار الجيل ـ بيروت ـ نعوم شقير

والإختلاف يتم دائماً في طريقة التعبد وعدد الأوراد . وكذلك في الدعوات المأثورات إذ تحفظ كل طريقة مخطوطات معينة عن ظهر قلب وترددها آناء الليل واطراف النهار وغالباً مايكون مؤلفها الشيخ الاول للطريقة .

وبذل الشيخ بدوي ابو دليق مساعيه من أجل توحيد القيادات والمشيخات المتعددة للطريقة القادرية مثل مجموعة الهميم والصادقاب وإدريس ود الأرباب ، وروى قصة الحضرة التي قابل فيها الشيخ عبدالقادر الجيلاني ويجلس فيها الشيخ بدوي ابودليق ، فأمر الشيخ عبدالقادر الشيخ إدريس إن يعطي الشيخ بدوي ناره وأمر حسن أن يعطيه سيف ولايته ثم أشار بعد ذلك للحاضرين .

وتمثل الحضرة نوع من الأدب الصوفي الرفيع الذي يخالط فيه الخيال الحقيقة فما يزال المريد يتخيل تصوره حتى تتكشف له الامور حول الرؤية وهي مايسمى بالحضرة ، غالباً مايصدق المريدون مايرد في الحضرة خاصة وإن تحدث بها أحد الخلفاء الكبار ، وغالباً ماتكون نتيجة الحضرة غير ذات منفعة مباشرة للشخص الذي رآها ــ فتؤمر اوتخلف غيره .

وجدت الطريقة القادرية قبولاً واسعاً وأصبح لها أتباع في أماكن كثيرة في السودان ، تمثل الجزيرة مركز الثقل لها ، إنتشرت خلاوي الشيخ عبدالقادر الجيلاني على طول النيل الأبيض والازرق وهذا الإنتشار يعبر عن ما قاله الشيخ عبدالقادر الجيلاني ووجدت القادرية منافسة من بعض الطرق خاصة الختمية والسمانية .

وجذبت السمانية بعض البيوتات القادرية مثل آل الترابي وآل عيسى الخزرجي وللقادرية مؤلفات نثرية ضخمة تم تأليفها بواسطة الخلفاء المتعاقبين وأهمها تلك المؤلفات التي ألفها الشيخ عبد القادر الجيلاني ومازال أتباع الطريقة والمريدين يرددونها حتى الآن .

الطريقة السمانية :ـ

أسس هذه الطريقة الشيخ محمد بن عبدالكريم السماني (١٧١٨ـــ١٧٧٥) المتوفي في المدينة المنورة ، وكان يتبع للطريقة الخلوتية. وإنتشرت هذه الطريقة في تركيا والحجاز والهند وكان ذلك لوقت قصير في عهد أحد أتباعها مصطفى كمال البكري ((١٢١١هـ ـــ١٧٥٩م)) وبعد موت البكري إنتشرت على يد ثلاثة خلفاء .

الهناوية ، وإنتشرت على يد محمد بن سالم الهنوسي والشرقوية إنتشرت على يد عبدالله الشرقاوي والسمانية على يد الشيخ محمد الحسن السمان الذي كان بالمدينة ، وسجل ثلاثة زيارات للسودان (١)

ويرجع الفضل للشيخ أحمد الطيب البشير في إدخال الطريقة السمانية للسودان عام ١٨٠٠ م وهو من الجموعية ولد بام مرح(١١٥٥هـ) شمال أم درمان وقبل إعتناقه السمانية ، إعتنق الطريقة النقشبندية .

وساح الشيخ أحمد الطيب البشير في داخل السودان فساح في مناطق الجزيرة ووجدت قبولاً عند قبائل الكواهلة ، والحلاوين واليعقوباب وعين الشيخ التوم ود بنقا خليفةً له في سنار ومازالت خلافته موجوده وله حولية ضخمة تقام سنوياً يجتمع فيها كآفة الصوفية في أنحاء السودان المختلفة .

وسلكت هذه الطريقة مجموعة من القبائل مثل قبيلة الجوامعة في وسط وشرق كردفان .والجموعية في غرب النيل الأبيض في منطقتهم الممتدة حتي حدود كردفان وزار سنار الشيخ أحمد الطيب البشير بدعوة من الشيخ ناصر بن محمد أبي لكيلك لعلاج أخيه، وأهدوا إليه أطياناً، وكتبوا له وثيقة تحدد معالمها ـ وإعتنق على يده الطريقة في تلك الفترة التي قضاها بسنار الشيخ يعقوب بن على الدوحي ، والمصري ولد قنديل ، والشيخ أحمد بن عيسى .

---

(١) الطبقات ـ ص ٤٠ ـ ود ضيف الله

وجاءه في سنار وفد السادة العركيين ، وكان ذلك في عهد خليفته الشيخ يوسف بن الشيخ محمد عبدالله الطريفي ، وقام بزيارة العركين في مكانهم ، وبعد زيارة العركين ذهب الى ام مرح وقضى بسنار سبعة سنـــــوات وبعدها طلب من أبناء أبو لكيلك الرحيل وسمحوا له (١)

وأخذ هذه الطريقة في الإنتشار في ديار الحمر في غرب السودان وديار الفادنية وبعض فروع الجعلين وسليم . وإستطاع الشيخ أحمد البشير بهذه الجولات أن ينشر هذه الطريقة في الكثير من بقاع السودان المختلفة ووجدت طريقته قبولاً منقطع النظير .

وأضافت هذه الطريقة أدباً جديداً للنثر العربي تمثل في الكتابة والأليف . المتمثله في مؤلفات الشيخ ، وتم حفظ الوثائق التي أهدوا له بموجبها الأراضي .

وتميز الشيخ أحمد البشير بالكرامات والخوارق و يختلف مشايخ الطرق الصوفية في هذه الكرامات وتعد هذه الكرامات والخوارق نوع من الأدب الصوفي ذو الخيال الواسع ، ولابد ان تعرض هذه الكرامات في قالب أدبي ذو خيال واسع .

وردت عن الشيخ أحمد الطيب البشير نصوص نثرية طويلة و أهمها صلاة الذكر و صلاة النقطة التي ورد في مطلعها ((اللهم صلي علي سيدنا محمد نقطة دائرة الوجود و حيطة أفلاك مراقي الشهود)) و الصلاة النووية و التى ورد فيهـــا ((اللهم صلي علي سيدنا محمد النور و آله)) وصلاة الجوهرة التى ألفها الشيخ عبد المحمود نور الدائم و جاء فيها ((اللهم صلي علي سيدنا محمد جوهرة بعد لفظة الأقوال ـ و نفحة طيب روض طيب الأنس و الأنفس بدر جمالك المتلألىء في سماء صعودك . و لهذه الصلوات أوراد معينة ووزع علي حيرانه و مريدية طريقة تكرارها في اليوم و لكل عدد مهمة معينة معيشية حسب ماذكره فمثلاً من قرأ صلاة

(١) تاريخ التعليم الدينى فى السودان ـ ص ٢٧ـ ٢٨ ط دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٧ ـ يحيى محمد إبراهيم

الجوهرة خمسة و أربعين مرة خرج همه . و هذه الوعود التى إنتظرها القارئ تشجعة علي تكرار القراءة و هذا مايؤدي الي حفظ هذه الصلوات عن ظهر القلب .

و ألف الشيخ أحمد البشير الطيب الكثير من الكتيبات الخاصة بالدعاء و أطلق عليها أسم الحزب فألف حزب السعادة و حزب الأمان .

و تتلمذ علي يد الشيخ أحمد البشير الشيخ نور المتن بن الشيخ الياقوت ، وولده الشيخ شعيب و الشيخ حسيب بن الإمام الكوباوى الذي تتلمذ علي يده السيد الحسن بن الختم السيد محمد عثمان الميرغني و من أخذ علي السيد الحسن الطريقة السمانية القاضي محمد حتيك ، و الفقيه الحسن ولد إبراهيم الزهراء(١) و من أشهر تلاميذ الشيخ أحمد الطيب ، الشيخ القرشي ود الزين الذى قال عنه الشـــيخ إبراهيم الرشيد (هو قطب الشمال ، و كثيراً ما كنت أسمع منه كلاماً تفهم منه سلطنته علي أهل زمانه) .(٢)

و أشهر مؤلفات الشيخ أحمد الطيب البشير كتاب الحكم المسمي بالنفس الرحمانية في الطور الإنساني و شرحه المسمي ((بالجوهرة الفريدة في علم الوحدة و التوحيد)). و الشيخ أحمد الطيب البشير هو الصوفي الوحيد الذي كتب فلسفة التصوف وورد في كتابه الحكم .

((أول المقامات في طرق أهل الله التوبة لله ، و إلتزام طاعة الله بخـــــوف الله ، و الصبر علي مراد الله ، و الزهد فيما سوى الله)) . (٣)

وهذه حكمة مقتبسة من الحديث الشريف ((ليس الزهد بتحريم الحـــــلال و لابإضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما فيدك)) (٤) س

---

(١) الطبقات ص ٣-٤ ود ضيف الله

(٢) المسيد ص ٧٥ـ ٧٦ الطيب محمد الطيب

(٣) مصدر سابق ص ١٠٧ـ ٢٣٦ ـ نعوم شقير

(٤) مصدر سابق ـ ص ٢٣٥ـ ٢٣٦ يحيى محمد إبراهيم

و قال عن التوحيد ((التوحيد ظاهرة التنزيه عما لا يليق بالذات المقدسة وباطنية تنفي الحول و القوة منك عنك بالكلية))

و قال عن الشرك : ((من الشرك المبعد عن المعراج و قوفك بين يدي الملك القدوس للصلاة و قلبك مشرك مع قدسه ، معرض عن وجهه مائل فيما سواه))

هذه المخطوطات الأدبية ذات اللغة السلسة و التعبير الرصين و التي تمتاز بالأدب الصوفي الرفيع و المؤلفة تأليفاً متناسقاً تعد نموذجاً للأدب الصوفي و تأثيره في النثر .

توفي الشيخ أحمد الطيب البشير في ٢٧ رجب ١٢٣٩هـ و بعد و فاته إنقسم أبناؤه لطائفتين طائفة إختارت الدسوقي و طائفة إختارت نور الدائم ، و سعي الشيخ أحمد البشير بين الطائفتين في عام ١٢٤٥هـ ووحد بينهما .

و لعب الشيخ البصير دوراً هاماً في المهدية أما الشيخ محمد شريف فقد ناصب المهدي العداء ـ و أورد الإمام المهدى الشيخ أحمد الطيب البشير في الحضرة .

الطريقة الإدريسية :

أسس هذه الطريق الشيخ أحمد بن إدريس الذي يرجع نسبه للحسن بن علي (١) إتصل في المغرب بمحمد بن سورة ، و الشيخ عبد القادر بن أحمد العربـــي و هناك إنتظم في الطريقة الصوفية و إنضم الى الحضرية و التامرية ، و هما فرعان من الطريقة الشاذلية .

و التقي في مكة بالوهابيين حيث أصدر الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير قائد الجيش الوهابي أمراً لكافة أتباعه بعدم التعرض له ، و في عام(١٨١٣)م توجه أحمد بن إدريس الي مصر يرافقه السيد محمد عثمان الميرغني الذي أرسل للسودان في عام (١٨١٥م) و في عام(١٨٢٩م) هاجر لليمن بعد تعين الأسرة الزيدية في

(١) يسألونك عن المهدية ـ ص١٢٦ ـ الصادق المهدى

الحجاز و ترك تلميذه السيد محمد بن علي السنوسي خليفة له في مكة .قال الشيخ أحمد بحر الدنيا ((سأضرب لكم مثلاً إذا إجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل الدواب أو لذة كل فرد ، ولذة كل مشموماتها فرداً و نوعاً نوعاً و طعم كل مطعوم كذلك و لذة كل مالك مال كذلك في ذات مرة فكيف يكون لذة النكاح و قد صارت لذة كل فرد مجتمعه فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء ، و كيف طعم جميع المطعومات و قد صارت لذة كل فرد آدمى و غيره مجتمعه عنده ، و قس عليها سائرها ، ثم أذا إنتقلت منها إلي أدني نعيم الجنة فهو كما تنتقل من طعم الحنظل الي طعم السكر ، ثم لو إجتمعت لذات الجنة أى كل فرد منها في ذات واحدة من منكوح و مطعوم و مشروب و ملبوس و غير ذلك لتجمع لك لذات جميع مافى الجنة ثم إنتقلت من ذلك الي نظر الحق سبحانه و تعالي فهو كما تنتقل من طعم الحنظل الي طعم السكر ، و أهل الله لا يفارقونه في الجنة طرفة عين كما لايفلرقونه في الدنيا طرفة عين)) .

و تجلت في هذا النص بعض فنون الأدب النثري و إستخدم فيها الكثير من الأمثال و التشبيهات المختلفة لتقريب المعني للقارىء و السامع ، و أيضاً إحتوت علي معانى روحيه عميقة و قوية . و تعد كتابات الشيخ أحمد بن إدريس من الكتابات النثرية التي توضح مدى تأثير النثر العربي بالأدب الصوفي و المتصوفة في السودان .

و إجتهد الشيخ أحمد بن إدريس في نشر الطريقة الإدريسية في أنحاء و اسعة في البلاد حيث إنتشرت في شمال السودان ،و شرق السودان في منطقة البحر الأحمر و أيضاً تسربت الى سهول كردفان . و سميت هذه الطريقة بالطريقة الإدريسية و لها سجادة الآن ـ و يحفظ أتباعها الكتب المؤلفة من مؤسسها الأول .

توفي الشيخ أحمد بن إدريس سنة(١٢٥٣هـ ــ ١٨٣٧م) دون أن يشير الى مسألة الخلافة أو يؤمر علي زعامة المدرسة الإدريسية من بعده ، ووقع خلاف بين

أبنائه السيد/ محمد عثمان الميرغني و محمد بن علي السنوسي و إبراهيم الرشيد بالإضافة الي أبناء السيد أحمد بن إدريس أنفسهم و إستمر الخلاف بين محمد عثمان الميرغني و السيد السنوسي في غرب الجزيرة العربية حيث أسس كل واحد منهم زاوية في مكة كمقر لأتباعة و كان ذلك لكسب المزيد من الأتباع . (١)

أسس السيد محمد السنوسى الطريقة السنوسية ، و السيد محمد عثملن الميرغنى الطريقة الختمية ، و السيد حسن ظاهر المدنى الطريقة المدنية (٢)

الطريقة الختمية :

أسس هذه الطريقة السيد محمد عثمان الميرغني (١٧٩٢م ــ١٨٥٣م)و لد بالطائف و تعلم بمكة و جاء الي السودان عن طريق مصر عام ١٧١٧م و هو من أشهر تلاميذ السيد أحمد بن إدريس وهو من سليل أسرة تنتمى الي الأشراف سكنت تركستان ، و كان جده السيد عبد الله الميرغني المجذوب (ت ١٧٩٢ م -١٧٩٣م) من كبار المتصوفة و له العديد من الكرامات وهو مؤسس الطريقة الميرغنية .

إنضم محمد عثمان الميرغني لعدة طرق منها النقشبندية علي الشيخ أحمد محمد البنـــا و القادرية علي الشيخ القدومي و النقشبندية الهندية و الميرغنية علي يد جده ثم الشاذلية و ذكر أنه أسس طريقته إستجابة لحضرة نبوية . و تم إبتعاثة عام(١٨١٥م)الي السودان لنشر تعاليم الطريقة الإدريسية و جاء لوسط السودان ووصل حتي بارا في كردفان و من بارا ذهب لسنار في عام (١٢٣٢هـ ــ ١٨١٧م) و هناك دعي الناس لاتباع طريقته ، و لكنه تعرض لبعض المضايقات مع مرافقيه من أهلها . و تجول ما بين شندي و الدامر و المتمه و الأبيض الي أن إنتهي به المطاف في سواكن - و توفي بالطائف عام ١٨٥٣م و خلفه إبنه الأكبر السيد محمد سر الختم علي مشيخة الطريقة و إنتشرت الطريقة لأن بعض الذين إنضمـــوا إليها

---

(١) يسألونك عن المهدية - ص ١٢٦- الصادق المهدى

(٢) الدعوة الإسلامية فى أفريقيا - عون الشريف قاسم

كانوا نشطاء و مؤثرين في المجتمـــــــع ، و خصوصاً الشعراء و المداحون لأنهم تمكنوا من تجنيد معلمي الخلاوي و المادحين في القرى وركزوا علي الدعوة بالطواف مستندين علي كرامات الختم ، و أدبياتهم الكثيرة ، و نمت الطريقة لنفوذ قوي لدي حكام السودان في عام ١٨٩٨م إستعاد علي الميرغنى قوة الختمية .

و للختمية الكثير من الكتيبات و المخطوطات و ألف السيد/ محمد عثمان الميرغني كتباً كثيرة منها المولد العثماني المشهور الذي يحفظه السادة الختمية و يرددونه في موسم المولد النبوى سنوياً. و نتعرف علي هذه المخطوطات في باب الدراســـــة النقديـــــة لـــــبعض المؤلفـــــات الصـــــوفية فـــــي الســـــودان .

الطريقة السنوسية :-

أسسها السيد محمد بن علي السنوسي (١٧٩١ــ١٨٥٩م) و لد ونشأ بالجزائر و يتصل نسبه بنسب النبي صلي الله عليه و سلم ، و هاجر الي فاس و تلقي العلم علي يد علمائها سنة (١٨٢٢م ـ ١٨٢٩م) .

و دخلت السنوسية للسودان في عهد محمد المهدي السنوسي (١٨٤٤م - ١٩٠٢م) في عهد السلطان علي دينار في دار فور ، و طلب تأسيس دار بدار فور ووافق له السلطان علي دينار و بناها . في عام (١٩١١م) جاء الطوارق للفاشر و تحالف علي دينار مع السنوسي و تمددت السنوسية الي جبال ميدوب بشمال دار فور

الطريقة الرشيدية :-

لعب الشيخ أبراهيم الرشيد دوراً هاماً في نشر الإدريسية في السودان . ولم يؤسس السيد/ إبراهيم الرشيد طريقة مستقله كما فعل كبار تلاميذ أحمد بن إدريس و إنما كرس جهده لاإستمرار تعاليم أحمد بن إدريس . ولد إبراهيم الرشيد في منطقـــة ود الحاج في بلاد الشايقية و أعطي هنالك الخلافة للحاج الماحي (١٧٩٤م -١٨٦٩م) أحد شعراء المدائح المشهورين في السودان و السيد / محمد الأمين الهندى .

و توفي إبراهيم الرشيد عام (١٨٧٤م) و خلفه إبن أخيه محمد صالح الذي نزح من شمال السودان الي مكة و توفي هناك سنة (١٩١٩م) و خلفه إبنه الرشيد الذي تولي إدارة الفرع الرشيدي بمعاونة عدد من الخلفاء ، و إنتقلت الخلافة بين أبناء الشيخ محمد صالح و و آخرهم السيد / إبراهيم الذي توفي في أواخر عام (١٩٧٦م) و بعد ذلك إنتقلت الخلافة الي أبناء عمهم الرشيد و إرتحل الشيخ عبد الرحمن الرشيد لحلفاية الملوك .

الطريقة المجزوبية :ـ

أسس هذه الطريقة الشيخ محمد بن المجذوب الذي سلك الطريقة الشاذلية في الحجاز علي يد الشيخ الدراوى تلميذ الشيخ أحمد بن ناصر الشاذلي ، و كان ذلك أول إرتباط لأسرة المجاذيب بالطرق الصوفية ، و قد تم تأسيس الطريقة عام (١٦٩٣م ـ ١٧٧٦م) بعد عودة الشيخ حمد المجذوب من الحج حيث قام فى الدامر .

وواضح أن الطريقة المجذوبية كانت شاذلية إلا أن البروفسير عبد الله الطيب يقول ((أن طريقة أهل الدامر كانت قادرية و سمعنا من أهلنا أن الشيخ عبد الله النقير بن جلال الدين سئل عن الدامر هل عمرت بالدراويش و التصوف منذ أيام الفتح فقال : من قبل ذلك طريقة أهل الدامر كانت القادرية قبل أن ينخرطوا في سلك الشاذلية)) (١)

و جاءت الطريقة المجذوبية المجردة علي يد السيد / محمد المجذوب قمر الدين (١٧٩٦م ـ١٨٣٢م) الذى يشار إليه عادة بالصغير وولد بالمتمة ثم رحل للدامر موطن أجداده و حفظ القرآن و أخذ الطريقة الشاذلية علي يد الشيخ الفقيه قمر الدين ثم عاد الي المتمة و عقد بها حلقات الدروس و الإرشاد و دمرت حملات الدفتردار الإنتقامية قاعدة المجاذيب .

(١) مصدر سابق ص٩٤ ـ يوسف فضل آدم

الطريقة الإسماعليه : -

مؤسس الطريقة الشيخ إسماعيل الولي ـ و إسمه إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحيم (١٧٩٣م ـ ١٨٦٣م) و ينتمي الي قبيلة البديرية الدهمشية و نزحت أسرة من منطقة منصوركتي بشمال السودان الي مدينة الأبيض حاضرة كردفان . و لد إسماعيل و نشأ في بيت علم ودين و حفظ القرآن في زمن مبكر من حياته (١) و الطريقة الإسماعيلية أول فرع للمدرسة الإدريسية في السودان .

إلتقي الشيخ إسماعيل الولي بالسيد محمد عثمان الميرغني بالأبيض ـ و إستقل الشيخ إسماعيل الولي بطريقته الإسماعيليه عام (١٨٢٥م) و نشر الطريقة في الأبيض بين البديرية و قبائل كردفان العربية في جبال النوبة ـ وعند قيام المهدية وقفت أسرة الإسماعيل الولي في صف الإمام المهدي إلا أن إبنه أحمد الأزهرى وقف موقفاً معارضاً للمهدية و كتب الشيخ إسماعيل الولي خمسة وأربعين كتاباً و المعروف منها سبعة فقط . (٢)

وتعد كتب الشيخ إسماعيل الولي من أهم الكتب المنشورة و ذات أسلوب رصين و لغة سلسة و مازال أتباعه يقرأون هذه الكتب و خاصة المولد الإسماعيلي الذي تقرأه عدة طرق أخري في أيام المولد النبوي الشريف .

الطريقة الإدريسية :ـ

أسسها السيد/ محمد و السيد / عبد المتعال أبناء السيد أحمد بن إدريس و تعرف الإدريسية بالأحمدية نسبة الي السيد / أحمد بن إدريس ، و قام السيد محمد بنشرها في اليمن و العالم الإسلامي بينما قام عبد المتعال بنشرها في السودان (٣)

---

(١) مصدر سابق ـ ص ٩٤ ـ يوسف فضل آدم

(٢) مصدر سابق ص٢٤ ـ محمد إبراهيم أبو سليم

(٣) النقذ من الضلال و كميا السعادة و القواعد العشرة و لآداب فى الدين ـ بيروت ـ ص٢٤أبو حامد الغزالى

و يوجد مسجد الإدريسية بمدينة أم درمان و تقام به أورادهم و أذكارهم اليومية و أم الطريقة الكثير من الشباب و الشيوخ و تعد من الطرق الصوفية ذات الوجود في الدعوة القائمة في السودان .

الطريقة التجانية :ـ

أسسها الشيخ أحمد التجاني و يسمي أبو عباب أحمد و لد بالمغرب عام (١١٥٠م) و أدعي نسبه الي محمد النفس الذكية بن الحسن المثني السبط بن علي رضي الله عنهم ،و اسم التجاني مشتق من اسم قبيلة بربرية تسمي تجانا .

و سلك الشيخ أحمد التجاني التصوف في عام (١١٧١هـ) و أسس الطريقة عام (١٧٨١م) و جاء ذلك في حضرة نبوية إذ قال له الرسول ((أنا قدوتك وثق في كلامي و أترك كل شيء أخذته من قبل)) و خلفاؤه غير مسموح لهم بمزاولة أي أوراد بخلاف أوراد الطريقة التجانية و ضمت أوراد هذه الطريقة ((صلاة الفاتح))

والتي ورد فيها((اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لماسبق وناصر الحق بالحق والهادي بصراطك المستقيم)) وذكر الشيخ أحمد التجاني أن الرسول أمر بالمداومه عليها في الحضرة ولها فضل كبير (١) واذا تاملنا فضل هذه الصلاة في كتاب جواهر المعاني لتلميذه على حزام لتوقفنا على مدى ماوصل إليه بعض الشيخ في نقاء العقول .

دخلت التجانية السودان على يد محمد المختار بن عبدالرحمن الشنقيطي وعمل كرسول بين سلطان دارفور محمد سعيد باشا خديوى مصر الذي اعتنق الطريقة وأعطاها للعديد من الناس ـ أشهرهم السلطان حسين سلطان دارفور والشيخ محمد البدوي وتوفي الشيخ محمد بن المختار عام ١٨٨٢م وله العديد من المؤلفات منها ديوان العربية الفصحة وآخر بالهجة العامية السودانية وكتاب الأورد ومولد اللسان الكامل ، ولهذه الطريقة أذكار ومدائح .

(١) الموسوعة الميسرة للأديان المعصرة ـ ص ٣٤٨ ـ الرياض ـ ١٩٩٢م الندوة العالمية للشباب الإسلامى

وأثرت هذه الطريقة تاثيراً مباشراً في النثر العربي فحفظت هذه الاذكار والمدائح كمخطوطات متداوله حتى الآن وحفظت على ظهر القلب .

وافرد البحث دراسة خاصة للادب النثري وتطوره وعلاقة بهذه المدرسة الصوفية ذات العطاء المتفرد . وهذه الطرق المختلفة تلتقي جميعها في خصائص مشتركة يقف البحث عندها في دراسته للنثر في هذه الفترة دراسة فنية .

ونجد أن اللغة أخذت في التهذيب والرقي ـ وطابقت الالفاظ المعاني وتاثرت كثيراً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والخطب والمؤثورات الاسلامية التي دخلت السودان من الجزيرة العربية عن طريق البحر الاحمر وعن وادي النيل من مصر وكذلك من غرب أفريقيا عبر دارفور وغرب السودان خاصة في عهد الدولة الاندلوسية ورحلة أبي زيد الهلالي المشهورة والتي صارت قصة متداوله في الأدب العربي داخل وخارج السودان وتمثل مرحلة هامه من مراحل إنتقال الأدب العربي وتأثره بالتصوف في السودان . والسبب في ذلك يرجع إلى العلماء الذين أسسوا هذه الطرق الصوفية معظمهم يرجع نسبه إلى الأسر العربية المشهورة في الجزيرة العربية ، أو إلى العرب الذين إنتقلوا إلى شمال أفريقيا وأستقروا في الاندلس وتونس والمغرب.

وحتى يرجع مؤسسوا الطرق الصوفية لنسبهم للنبي صلى الله علية وسلم قاموا بتاليف كتاب اسموه كتاب النسب أو شجرة النسب وبعضهم نظم هذا النسب في قطعة نثرية أو في قالب شعري وشكلت الأوراد والادعية المأثورات عند مؤسسي الطرق الصوفية جانباً هاماً من جوانب الحياة الأدبية في السودان وهنالك الشروح والمتون التي درست في المدارس القرانية كما اشرنا لذلك في ذكرنا لمدرسة اولاد جابر في الولاية الشمالية .

الفصل الثالث

مصادر النثر العربي في السودان من

أوائل الفونج إلى اواخر المهدية

الفصل الثالث

مصادرالنثر العربي في السودان من آوائل الفونج إلى أواخر المهدية

سلك النثر العربي طريقة للسودان بطريقه تشابة الطريقة التي دخل بها الشعر العربي السودان وبدأ النثر بالعاميه في لغة التخاطب اليومية وإنتقل للقصص القصيرة والامثال والأحاجي والحواديت . وإنتقل في المرحلة الثانية الى خطب و أدعية و إبتهالات و ترانيم و تنبوءات، وحضرات .

وتوجد طائفة كبيرة من الأمثال في النثر السوداني والسودان كواحد من الدول العربية التي تأثرت بالقصص العربي القديم أيضاً بها الكثير من الأحاجي والقصص الخرافية القديمة فعرف الناس في السودان جحا وأشعب الأكول وعلى بابا واللصوص . ومن أشهر القصص العربي الذي إشتهر به السودان قصة أبي زيد الهلالي القادم من شمال أفريقيا والذي إستقر في منطقة دار فور في غرب السودان وتنقل حتى وصل سهول كردفان وحفظ هذه القصة العديد من السودانين وصارت من القصص المسلية التي يستريح عندها سكان البادية والحضر مع أحفادهم .

وعرف السودانيون قصة سيف بن ذي يزن الفتي اليمني المشهور الذي أشرف على بناء سد مأرب والتي تحكي عنه بقولهم ((إنه حارب السودان والحبشة ، بعد أن فرغ من محاربة الحجاز ، وتشير حوادث هذه القصة للجاهلية ، وتحكي عن الطريقة التي إستطاع أن يضع بها اليمن تحت قبضة ملكه ، واتخذ له وزيراً عاقلاً اسمه يثرب وكان مطلعاً على الكثير من القصص القديمه والملاحم العظيمة بما فيها الثوراة والإنجيل وصحف إبراهيم الخليل . وعلم يثرب أن نبياً اسمه محمد يظهر ويبطل سائر الأديان لأهل الكفر والطقيان ، ويعد سيف بن ذي يزن العدة لمحاربة

البلاد العربية في الشمال للتبشير بمحمد (ص) ونشر دين إبراهيم الخليل ، فحارب الحجاز وبعلبك .

ثم إنتقل إلى الحبشة والسودان وكان سيف بن ذي يزن يمثل العرب المسلمين وأعد جيشاً قوياً ، وتظهر الدعاية العربية في هذه القصة قوية جداً ، وحمل معهم قبائل جهينة هذه القصة للسودان بعد القرن الرابع عشر ونتسبت بعض القبائل لسيف بن ذي يزن . وزاد بعض الناس خوارق خياليه لهذا البطل وتحدثوا عن قوته الهائلة ومقدرته على صرع الأعداء عن قوة جيشه وضخامة أحجامهم ، ومقدرتهم على النزال .

وصارت تحكى هذه القصة في قالب من الخيال ومعظم أهل السودان صاروا يحكونها في نواديهم ويتسامرون بها حتى حفظت احداثها وزينت بالخوارق وعرف أيضاً آهل السودان قصة ابي زيد الهلالي ، وذكرنا في الباب السابق الطريق الذي دخل به ابي زيد الهلالي للسودان ، إلا أن السودانيون كان لهم الدور الكبير في تأليف هذه القصة ، وأبرز ماورد فيها أن دياب ممثل القبائل اليمنية حارب أبا زيد ممثل القبائل القيسية ، وتسبت له بعض القبائل مثل الرزيقات الذين ينتسبون إلى رزق والد ابي زيد الهلالي وقبيلة سليم في النيل الابيض أيضاً تنسب إلى أبي زيد الهلالي .

وتؤيد السيرة أبحاث المؤرخين إذ أن رجال اللغات السامية مجمعون على أن لهجة صعيد مصر وعرب أولاد على غرب الاسكندرية ومالطة وشمال أفريقيا وأعالي النوبة ووسط كردفان وجنوب الخرطوم وشمال دارفور لهجة واحدة لها مميزاتها الخاصة التي تميزها عن سائر اللهجات العربية .

تعرضت قصة أبي زيد للزيادة ، ودخلتها الخرافة في بعض الاحوال ،فمضت في تصوير البطولات ومغامرات الحب العنيفة وتداخلات الحيل العجيبة . وتم ذلك من أجل تعزيز قوة القبيلة والعمل على ربط نسبها بنسب ابي زيد الهلالي وتبارت

القبائل في إظهار فوارق هذه القصة وكل قبيلة تضيف فيها لتصبح هي الرواية الاولى لها ـ وبإتقان هذه القصة تصبح القبيلة ذات نسب اقرب لمؤسس السيرة ابي زيد الهلالي بالتالي دخلت شمال افريقيا بعد انهيار دولة بني امية وآسس دولة الآندلس ودخلت غرب السودان و تسريت حتى وسط السودان ولذلك نجد اكبر القبائل تفاخراً لهذه القصة ـ قبائل الرزيقات في غرب السودان .

وتم حصر هذه القصة في كتيبات نثرية وتمت طباعتها ونالت حظها من التحليل بواسطة المهتمين بدراسة القصص العربية ومصادر النثر العربي . وإضافةً للقصص عرف السودان الأيام الخالدة ولكل قبيلة أيامها التي تمجدها وإنتصاراتها في حروبها مع جيرانها من القبائل .

عرف الكبابيش يوم نصرهم وكذلك الحمر في غرب السودان وعرف الرزيقات أيام نصرهم على قبائل حمر ـ وعرف حمر ايام نصرهم على قبائل دار حامد ـ وصارت هذه الايام ايام خالدة تحكي فيها بطولات الابطال الخارقة وعظمة الحروب وشجاعة الاعداء الذين لايمكن هذيمتهم إلا بواسطة قائد شجاع وبطل ذو قوة خارقة .

وامتدت هذه الايام حتى بلغت العصور الحديثة فسجلوا ايام التعايشة وبني هلبة والكبابيش وبني جرار ، والكبابيش وحمر والجعلين والفونج ، والشكرية والبطاحيب والحلاوين والدباسين والشايقية والدناقلة والمرياب وبعضهم مع بعض والسعداب بعضهم مع بعض .

ولبعض العرب الذين دخلوا السودان قصص وبطولات تحكي حتى الآن ((فيحكي ان احمد سفيان المعقور أحد بني العباس الذين هربوا بعد إنقراض دولتهم في بغداد (عام ٨٢٣هـ ١٢٢١م) وذهب هو وشقيقه إلى تونس الغرب ومعهما نفر من الأعراب وكان على أخو احمد سفيان متزوج إمرأة ذات جمال واحمد سفيان كان عازباً (١٢٢١م) ولكنه كان أية في الجمال فأجبته إمرأة أخيه حباً لم يسعها معه

الكتمان فكاشفته بحبها فانكر عليها ذلك ثم تستمر القصة . وتشى باحمد لدى زوجها وتتهمه بأنه راودها عن نفسها ـ وتردد على وإرتاب في الأمر وأصبح موقف على حرجاً بين الرجل وزوجته ولم تطاوع علياً نفسه أن يقتل اخاه فضربه في عرقوب رجله اليمنى وتركه ينزف ويسيل منه الدم ، وجلس ينتظر الموت والدم ينزف من عرقوبه ـ ولهذا سمي احمد سفيان بالمعقور ، ثم علـــــــم به عبيده وخاصته فإجتمعوا حوله ، و عالجوه حتى برىء جرحه فسار وسط الصحراء مهاجراً من بلاد تونس حتي أتي جبل مرة في دارفور ، و كان في ذلك الجبل أمه من شبه السود الحاميين يقال لهم الفور عليهم ملك منهم يسمي شاو دور شيد ، فكان هذا الملك عريقاً في الهمجية ولكنه كان كريم الطبع ، حسن النقد . فلما علم بقدوم أحمد أحضره إليه فأعجبه عقله و أدبه فعهد إليه في تدبير منزله و سياسة مملكته .

و فى هذه القصه يظهر النفس الإسلامي إذ يتم تكذيب الرزيلة ورفض المعقور مراودة زوجة أخيه و تسير القصه علي نسق قصة سيدنا يوسف عليه السلام وتشبه إمرأة أخيه زوجة العزيز و يشبه شاو العزيز ملك مصر .

وجد المعقور حظه من الضيافة عند شاو أعطاه ثقته و هذا ما شابه الثقة التي أعطاها العزيز ملك مصر لسيدنا يوسف و جعله علي خزائن الأرض . و هذا مايدل علي تأثير الدين الإسلامي علي القصة في السودان منذ نشأتها الأولي و إضافة للقصص العربي الذي أنتشر في كآفة أنحاء الوطن العربي ـ أنتشرت الخرافات في السودان و كانت تمثل نوع من النثر العربي المتعارف عليه في السودان .

قالوا أن الحمار يتحدث أثناء السير و يقول ((حملة حملة ولا مشى القملة)) و ذكروا أن الكلب أخذ لسان التمساح فإذا شرب في النهر يخاف صاحـــب اللسان و يسرع ، و إذا سمع شخص قال له صاحب اللسان جاك يهرب من النهر .

إضافة الي هذه القصص التى مثلت الجوانب الخرافية و جوانب قصص الحب و الهجرات و الحروب و البطولات وقف الصوفية علي دراسة القصص القرآني

المعروف . وعرف السودان القصص القرآن في أول عهد الدولة الاسلامية في السودان ومع دخول الصوفية والمتصوفة للسودان وأشرنا إلى أن المدارس الصوفية تحولت إلى مدارس قرآنية معروفة وأوردنا مدرسة أولاد جابر مثالاً حياً لذلك .

وقفوا عند قصة سيدنا نوح في سورة الاعراف قال تعالى ((لقد ارسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين))

وصار العلماء يقرأون هذه الصورة ويقصون على أتباعهم نبأ نوح وكيف تسببت دعوته في الطوفان وكيفية الطرق ، وقصة السفينة التي حملت من كل زوجين إثنين وذكروا بعض الخرافات التي حكت في هذا المجال والكيفية التي ركب بها الحمار آخر المخلوقات وبعد أن كانت قصص الانبياء تحكى في المدارس القرانية صارت تحكى عند العامه الذين يسمعونها في الحلقات .

وإهتم السودانيون بقصته وقال تعالى في صورة يونس ((وأتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامة وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا الي ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله و أمرت أن أكون من المسلمين)).

وقال تعالى في سورة هود ((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم غذاب يوم اليم)).

وقال صاحب قصص الانبياء إن مضمون ماجرى لنوح مع قومه مأخوذ من الكتاب والسنة (٦) والآثار . وقال أبن عباس عند تفسيره لقوله تعالى في سورة نوح الآية (٢٣) ((**وقالوا لاتزرن آلهتكم ولاتزرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونثرا**)) .

قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحي الشيطان إلى قومه أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، سموها بأسمائهم التي كانوا يجلسون فيها حتى هلك . وقال إبن عباس وصارت هذه الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب .

تناول سيد قطب في ظلال القرآن قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي قارن بينها وبين قصة المعقور في دار فور وقال في ذلك :ـ

((ان قصة سيدنا يوسف كما جاءت في هذه السورة تمثل النموذج الكامل لمنهج الاسلام في اللآداء الفني للقصة بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الآداء النفسي ، والعقدي ، والتربوي والحركي أيضاً... ومع ان المنهج القرآني واحد في موضوعه وأداءه إلا ان قصة يوسف وكانها المعرفين والمختصين في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية بالانفعالات والمشاعر البشرية إتجاه شتى المواقف وشتى الشخصيات ـ وتخرج العبد الصالح ـ من هذه الابتلاءات والفتن كلها نقياً خالصاً متجرداً في وقفته الأخيرة ، متجهاً لربه بذلك الدعاء المبين و تعرض الشخصيات المحيطة بالبطل في مساحات متناسبة من رقعة العرض .

تأثر النثر العربي في السودان في هذه الفترة بالقصص القرآني إذ أن معظم الصوفية يحفظون كتاب الله ويقفون على ماورد فيه من قصص يهدف إلى الترقيب والترهيب . وحتى المريدين والاتباع اقتبسوا من أحداث قصص القرآن للتزين قصصهم وأحاجيهم وأخذها لامثالهم . وتهذبت لغة القصة عندهم والتزموا بمعاني وألفاظ القرآن الكريم في سردهم للقصص . وإستوحى علماء الصوفية هذه القصص

و إقتبسوا منها وجعلوا لها نظائر لقريب المعاني وللترغيب في الجنة و الترهيب من النار . وتم ذلك بواسطة الفقهاء الذين يتاوجدون في بلاط الحكم ، أو بواسطة الحكام أنفسهم بعد إلمامهم بعلوم الفقه ونشأة المدارس القرآنية .

أثر الحديث النبوي الشريف تأثيراً واضحاً في النثر العربي عند المتصوفة في السودان ووقف العلماء والملوك وخطباء المساجد على الحديث النبوي الشريف ودرسوه ووضعوا لدراسته وشرحه المتون والحواشي . وصلت أحاديث نبوية كثيرة للسودان خاصة بعد أنتشار المذاهب ويستدل معظم العلماء والملوك في قولهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى جوامع الكلم ولم ينطق عن الهوى وأن قوله وحى يوحى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الإغراب في اللفظ والتقشف والتكلف ، ويكفي في بيان روعة تعبيره وبلاغة كلامه ، وتراكيبه .

وقال الجاحظ في كتاب البيان ((لم يتكلم إلا كلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأكيد ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبه وغشاه القبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب بل يبذون الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يحتج إلا بالصدق . ولايطلب الفلاح إلا بالحق ولايستعين بالخلابة ... ولم يسمع الناس لكلام قط أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موجهاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معناً ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم)).

وتمثلت هذه المعاني التي وصف بها الجاحظ كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الادب الصوفي في السودان فهم يختارون اللغة السهله البسيطة لأنهم يخاطبون ناس بسطاء وتمثلت خطبهم بخطب الصحابة في صدر الاسلام .

ويعد نظام الخطبة في المحافل والوفود و المواسم والحروب إمتداداً طبيعياً للنثر العربي في صدر الاسلام ومشابهاً له في الشكل والمعنى واظب الناس على صلاة

الجماعة وعرفوا خطب الحرب . وعرف فقهاء السودان أهم الخطب النبوية الطويلة وسادت خطبه وكان النبي صلى الله عيه وسلم يطيل الخطب ويقصرها فخطب بعشرة فقرات كما ورد في البيان والتبين ((أيها الناس ان لكم معالم فنتبهوا إلى معالمكم وأن لكم نهايه فنتبهوا إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لايدري ما الله صانع به ، وآجل قد يقي لا يدري ما الله قاضى فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لاخرته ، ومن الشبيبه قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مستقلب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار))

أورد النبي صلي الله عليه وسلم في هذه الخطبة القصيرة المختصرة ، معني إستمرار الحيـــاة و نهياتها و أوضح أن الدنيا معبر للآخرة ، وهذا مايتخذه معظم علماء الصوفية مثلاً ينتهجون نهج النفور من الدنيا و عدم الركون إليها ووقفوا عند هذه المعاني و أوضحوها في نثرهم الذى نقف عليه في الأبواب القادمة.

وأيضاً نهج النبي صلي الله عليه و سلم نهج القصص الطويلة كما ورد في حجة الوداع في قوله :

((الحمد لله نحمده و نستعينه ، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــــه ، و أن محمد عبده ورسوله و أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله و أحثكم علي طاعته و أستفتح بالذي هو خير))

هذه المقدمات الإستفتاحية و الأدعيه المأثورة نجدها تميز معظم النثر الصوفي في السودان و بعد هذا الإستفتاح يبدأ بكلمة أما بعد أي بعد الدعاء و يدخل فى موضوعه بقوله :((أيها الناس أسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، في موقفى هذا أيها الناس دماءكم و أموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت الله ؟ أشهد .

فمن كانت عنده أمانه فليؤدها الي الذى إئتمنه عليها و إن ربا الجاهلية موضوع و أن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب و إن دماء الجاهلية معروضة ، ،اول دم أبدأ بهدم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد الطلب ،و إن مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السدانة و السقاية و العمد قود و شبه العمد ماقتل بالعصا و الحجر وفيه مائة بعير فمن ذاد فهو أهل الجاهلية .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حق ، و لكم عليهن حق ، لكم عليهن ألا يوطين فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن فعليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف و إنما النساء عندكم عوان ولا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله و إستحللتم فروجهن بكلمة الله فإتقوا الله في النساء و إستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم فأشهد)) .

و كأنما النبي صلي الله عليه و سلم يريد أن يضع قواعد الإنسانية و أن يضع قوانين لحق المرأه المسلمة من فجر الرسالة و كذلك يركز معظم الوعاظ في وعظهم عن المرأة و مكانتها فى الإسلام و يستدلون بحديث النبى (ص) :

((من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك)) .

وينبه النبي صلي الله عليه و سلم الي ضرورة حفظ رباط الأخوة بين المسلمين قاطبة فيقول في خطبته :

((أيها الناس إنما المؤمنون أخوة ولا يحل لإمرىء مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ، فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإننى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله . ألا هل بلغت اللهم فأشهد أيها الناس إن ربكم و احد و إن أباكم واحد ، كلكم لآدم و آدم

من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير و ليس لعربي علي عجمي فضل إلا بالتقوى ـ ألا هل بلغت اللهم أشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب))

ووضع النبي صلي اله عليه و سلم للميراث حدود و قال :

((أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا تجوز و صية لوارث في أكثر من الثلث و الولد للفراش و للعاهر الحجر و من أدعي إلي غير أبيه أو تولي غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفاً و لاعدل والسلام عليكم وحمة الله))

درس المتصوفة في السودان كل الخطب الواردة من النبي صـــــلي الله عليه و سلم في كتب السيرة و إهتموا بها ورددوها في مواعظهم المختلفة و إقتبسوا منها الكثير و تمسكوا بشكلها في خطبهم العادية و خطب الصـــــــــلاة فيبدأون بالدعاء و الإستعاذه من الشيطان ، و يسلمون علي الحاضرين ، و يرغبونهم في الجنة و ماقرب إليها من قولٍ و عمل و يخوفونهم و يرهبونهم بالنار و ما قرب لها من قول أو عمل . ويكثرون من التشويق بإستخدام الآيات و الأحاديث النبوية و كلامه المأثور .

و إتخذ الملوك محدثين و خطباء يشرحون هذه الخطب للناس ـ و أحياناً يقوم الملوك أنفسهم بهذا الدور دور الخطابه و شرحـــــــها خاصة في عهد دولة الفونج و المهدية .

مثل قولهم : ـ

- عندي ثلاثة بقرات واحدة أكلت ماشبعت وواحدة رقدت ماقامت وواحدة سرحت و ماسدرت ماهى الإجابة ـ النار و الرماد و الدخان ـ
- دخل القش و ما قل كش و هو الظل
- كان شالو مابنشال و كان خلوا سكن الدار وهو الهبود ((الرماد))
- وقولهم هو في البيت و رحيته ما بتنشم و هو الملح

- ترن ترن عند البحر حرن وهو الحذاء

وجدت كل هذه الأنواع النثرية عند المتصوفة فهي تعنى خفة الظل و الطرفة و الملحة . و رجال الطـــرق الصوفية معظمهم يعرف هـــــذه النكات و الظرف . و تتم كتابة هذه الأمثال و الأحاجي بلغة تشابه العامية .

والأدب في المهدية أخذ في التطور فتطور الشعر و ظهر شعراء المهدية و كذلك النثر العربي في المهديه لقى حظه من الإنتشار و الإمام المهدي على الرغم من حفظه كتاب الله تعالي و إدراكه لفنون اللغة و إلمامه على الدروس الإســـــلامية والحديث النبوى الشريف إلا أنه خاطب بعض العقول التي لا تتقن اللغة العربية الفصحى و ذلك لغرض توصيل المعاني التى يريد نشرها .

و خاطب أحد الأمراء في جنوب السودان و كان يسمي في ذلك الزمان أحد أمراء الجانقي بقوله :

((كتبنا الورقه إليك تمشي تجيب جانقي ووليداتك ، و تجي قوام لي مكان المهدي السمح)) فهذه دعوة لرجل أمير يطلبه فيها بالحضور الى مدينة أم درمـــان و تم تحريرها بالغة الدارجية اليومية

أثر التصوف على النثر الشعبى فى السودان :-

و يعد النثر الشعبي أحد انواع النثر في عهد انتشار دولة الصوفية في السودان . واهم كتاب النثر العربي في ذلك الزمان هو الشيخ فرح ود تكتوك . واستوحى بعض الناس شخصية الشيخ فرح ودتكتوك من الصورة المعروفة هي صورة نبي الله الخضر ، وكذلك حكوا على لسانه بعض النوادر والقصص والحكايات كما حكوا عن سيف بن زي يزن وابي زيد الهلالي وغيرهم .

واختص الادب المنقول عن ابي زيد الهلالي بالحكمة والطرفة والاهتمام بوسائل توصيل المعلومة من خلال الواقع المعيش وتظهر في قصصه الدعوة للصدق وقول الحق ويرغب القارئ اوالسامع في تحري الصدق دائماً وان الاخلاق

الحسنة تكون سبباً في تجنب الكثير من المشاكل عنده ويظهر ذلك في القصة المنقولة عنه والتي تقول :

((قام رجل بقتل رجل اخر واتى الشيخ فرح ود تكتوك جارياً وهو ينظف مزرعته وحكى الرجل للشيخ فرح ان هنالك رجالٌ يلاحقونه لغرض قتله وذلك لسببه في قتل آخيهم ، وانه خائف ويريد من الشيخ فرح الحماية فقال له الشيخ فرح وتكتوك ادخل في هذا القش ، ودخل الرجل في القش ، وواصل الشيخ فرح في تنظيف المزرعة وحينما وصل اقارب المقتول سألوا الشيخ هل اتاك رجل تسبب في قتل اخينا ، فقال لهم الشيخ فرح انه هنا تحت هذا القش فلم يصدق الناس كلام الشيخ وقالوا له لاتمزح كيف يدخل رجل في هذا القش وذهبوا وحينما خرج الرجل قال له كيف تدخلني كوم القش وتصف محلي ـ فأجابه بقوله أخي إذا لم ينجيك الصدق فلن ينجيك الكذب))

وهنا يريد الشيخ ان يوضح اهمية الصدق لاتباعة ومريديه وأنه تسبب في انقاذ حياة هذا الرجل . والشيخ فرح ودتكتوك الذي إشتهر أدبه في مناطق الفونج في هذه الحقبة وذاع صيته فقد ولد في سنار في عهد الفونج وعاش فيها حوالي (١١٥٥هـ) من العام الهجري وينتمي لقبيلة البطاحين وألفت قصص كثيرة بعضها مروي عنه وبعضلها تنسب إليه . ومن اشهر ماروى عنه قصته التي شاور فيها العيش في العام الذي عاش الناس فيه شظف وسمي عام ام لحم اي ان الناس اعتمدوا على اكل اللحم ـ فقال ((جاءه الجلابه لشرائه فقال لهم إني ذاهب لمشاورة العيش ، فوقف منحنياًعلى العيش في مطمورته وقال (الخمرى الداخرك لي عمري القش بيك واصبح . مشتهبك) ويعد فترة التفت إليهم وقال شاورت العيش فرفض)) .

وهذه القصص على بساطتها إلا أنها قيلت في قالب مسجوع ذو لغة سلسة ومفهومة . ومن ذلك قوله في تكهناته التي قال فيها ((أنا البطحاني ، العارف باطن الزمان ، أسمعوا من لساني ، ولاتقبلوا الهوان)).

وفسر بعض الكتاب باطني الزمان بالخيره المكتسبة من الزمان وليس بعلم الغيب . وروا عنه قوله ((اخر الزمان يحكموكم الآنكليسا ، وعساكرهم البوليسا ، ويمسحوا الأرض ديسا ديسا)). يتنبأ هنا الحضور الانجليز للسودان غازين وان يتمدد حكمهم في كل المناطق وان يحضروا معهم رجال بوليس الذين يمسحوا البلد عشية ، عشية .

ومن قوله ((اخر الزمان شوف البقت ، النوق من الشيل دبرت ، المحنه راحت ماقبلت ، الجني للوالدين جفت ، العاني لسيده ما اتلفت الحرة كالخادم مشت، راحو الرجال تلت الجتت ، راحت النساء فضلوا النكت كل اليعرف الحق سكت ، والصاح دروبه انسدت كيف يلحقوك فقراء البخت)).

تحدث الشيخ فرح عن آخر الزمان ويذكر بعض الافعال المشينه والبدع ظهرت ، ويصف النوق بانها انهكت ودبرت وفي هذا إشارة لشيئين إما ان يكون لعدم الرفق بالحيوان ، او لكثرة الترحال والحمل عليها حتى دبرت ظهورها . والمحنة راحت ماقيلت أي انقطاع صلة الرحم والتي ورد فيها ان الرحم من الرحمن وان قطع صلة الرحِمة تورث الفقر ، وأن الأولاد اضاعوا حقوق الوالدين ، ولم يحسنوا صحبتهما ، وأن الحرائر تركن وقارهن وسرن كاسيات عاريات لا وقار ولا خجل لهن .

وتحدث عن الرجال الذين راحوا واتت من بعدهم رجال جثث ، لا روح لا مروءة فيهم ، وان النساء اللاتي يتخلقن بخلق القران ويحفظن انفسهن ذهبت مع الزمان والنساء اللاتي حضرن زمانه لاخير فيهن . وان الناس يعامل الطمع والخوف سكتوا ن الحق والساكت على الخوف شيطان اخرص وان الحق دروبه قفلت تماماً.

ويتساءل بعد كل الذي حصل عن كيفية استدراكه بواسطة فقراء الحظ اي ان السيل قد بلغ الذبى ولايمكن ان يلعب الحظ مع هذا الطوفان الذي عم الحياة من كل جانب .

ركز الشيخ فرح على الجوانب المختلفة في الحياة الدينية ودعاء للتمسك بالاخلاق الفاضلة لكنة اورد ذلك في قالب قصص سياجه الحياة اليومية ، او ما يمكن ان يصبر إليه حال الناس . وقف الشيخ فرح ودتكتوك كثيراً عند النساء وتمسك بدعوتهن للتمسك بالدين والعادات والخلق وقال فيهن . ((النساء فيهن حريم وفيهن رميم فيهن ذهب مخزون قديم وفيهن عقارب ساكنات الهشيم)).

وهذا القول يستوحى معانيه من القرآن والسنة ويورد الجوانب السالبة والموجبة للمرأة ويصف المرأة المتزنة الخلوقه بأنها إمرأة والمرأة الغير ذلك بانها ليست مرأة بل تعد من قبل الرميم البالي . وفيهن دهب مخزون قديم ، يعني ان المرأة الصالحة كالذهب الذي قال عنها النبي (ص) ((خير مايكتنزة الرجل المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وفي ماله)) . وايضاً يوضح ان في النساء عقارب ساكنة تحت الشجر الهشيم البالي ويكثر مكرهن .

ويمتدح المشائخ والقائمين على امر الدين في عهده ويقول في اولاد جابر الذين اشرنا إليهم بانهم اسسوا مدرسة قرآنية في عهدهم يقول فيهم ((وين اولاد جابر ، الاربعة الاكابر ، جالسين على المنابر علموني الماني خابر)) اي ان اولاد جابر الاربعة عدهم من اكابر القوم لآنهم يجلسون على منابر العلم ويدرسون الناس اشياء لم يكونوا يعلموها .

وتلاحظ ان الجانب الشكلي في النثر الشعبي عند الشيخ فرح يمتاز بالسجع والطباق وهذا مايشبه النثر في صدر الاسلام . إضافة الى النثر الشعبي الذي انتشر عند الفقهاء والذي مثلنا له بالنثر عند الشيخ فرح ودتكتوك اشهر النثر الشعبي عند

المشائخ وزعماء العشائر والنظار . واتخذ كل ناظر محدثين ليفصحوا عن مايدور للقبيلة وانبرى بعص الشيوخ للحديث بانفسهم .

ورد في رسالة الشيخ مكي ابو المليح شيخ دار حمر إلى الشيخ فضل الله ود سالم شيخ الكبابيش في زمن السلطان حسين ابو زكريا سلطان دارفور عام ١٨٦٠ وبوفاة الشيخ فضل الله ودسالم الذي خلفه ابنه الشيخ سالم وخلفه ابنه فضل الله من بعده واخذوا يعتدون على دار حمر ، فغضب الشيخ مكي ابو المليح وكتب هذه الرسالة .

((يا سالم ياود سالمنيا ، انت ولدنا وابوك اخينا ، ياشايب الكلاب الطالت سنينا، ولاتسمع قول المخربينا ، فرخ الحرام المفسدينا لاعاشوا فيك لاربيوا فينا جليدات وهبابين ، ومجانين غدارين لكتب مكة والمدينة ، قضيبانهم كضويلات العقارب ، هذا عامر وهذا خارب)).

التزم الشيخ بالسجع والوزن وخاطب سالم بانه تسبب في حربهم وغدر لهم وان اباه كان صديقاً لهم ـ ووصفه بانه كالكلب والعرب تصف الكلب باللؤم وهو مبالغ في القدر واللؤم إذ أن سنونه طالت وكبرت ووصاه بعدم سماع الوشاة الزين يسعوا بينهم بالخراب وانهم ابناء سفاح اي ان تربيتهم ناقصة وهم فاقدوا تربية ـ ولم ينشأوا تحت رعايته ولاتحت رعاية خصمه .

وعدد القبائل التي وقفت ضدهم وحرضت عليهم الكبابيش بانها قبائل دار حامد والهبابين والحليدات ، ومايمتزهم والشعر الناعم ذو المؤخر التي تشبه ذنب العقرب . ولابد ان تقف على هذه القطعة النثرية الشعبية التي خاطب شيخ عمر من خلالها شيخ شيخ قبيلة الكبابيش .

فالجو العام للقطعة هو جو حرب وهجاء وتهكم ، والملاحظ انه لم يقلل من شأن الكبابيش قط بل يقلل من شأن من يحاربهم وهذا موجود في الادب العربي في معلقة عمر بن كلثوم حيث قال .

إذا بلغ الفطام لنا صبياً ** تخر له الجبابر ساجدينا

وصف اعدائه بانهم جبابرة اقوياء .

وسر ذكره لقبائل الجليدات ودار حامد والمجانين لمحاربتهم لديار الكبابيش وبعضهم قبائل رعوية تحمل خصائص الكبابيش ، وصفه لهم بانهم لم يعيشوا في قبائل الكبابيش ولافي قبائل حمر اي انهم إذا عاشوا في احدى القبلتين لكانوا اكثر خلقاً . ويرجع لكاتب القطعة لم يجد طريقاً لمناصرته من قبل هذه القبائل وخاف من مناصرتهم لحصمه واراد ان يقلل من شأنهم .

وتمسك الكاتب بالشكل النثري المتعارف علية في الجزيرة العربية إن جرى الكلام على السليقة والسلاسة ،و تخلله الكثير من المجمع . وهذه القطعة النثرية حفظت و تناقلت بالمشافهة إلا أنها لم تتغير كثيراً وحافظ عليها بعض امراء قبيلة حمر لليوم وإعتبروها جزءاً أصيلاً من تاريخهم وانها كانت مقدمة لحرب اهلية طاحنة انتصرت فيها قبيلة حمر على قبيلة الكبابيش وسمت يوم الانتصار كأسماء ايام العرب وصارت تحتفل به وتحفظ ادابه من نثر وشعر .

الخطابة السياسية :ـ

إستقر هذا النوع من النثر في عهد صدر الإسلام . وكان سيدنا عمر عليه السلام يجمع جيشه و يخطب فيه و يخبره بفنون الحرب و القتال و يحذر سيدنا علي جيشه من القتل و التنكيل و معاملة الأسير . ظهر هذا النوع من النثر في عهد الدويلات الإسلاميه في السودان وأثر فيه الأدب الصوفي تأثيراً كبيراً خاصة و أن الملوك و الرؤساء ينتمون الي مريدين لفقهاء الصوفية .

نشأ هذا النوع من الأدب بنشأة هذه الدويلات الإسلامية و إتخذت كل دولة شكلاً أدبياً سياسياً معيناً و مميزاً لها و القاسم المشترك بين نثر جميع الدول التأثر بالأدب الصوفي .

الخطابة السيياسية في عهد دولة الفنج : -

خاطب الملوك في عهد دولة الفنج الأمراء و الملوك في الدول الأخري خطابات متعددة و جهوها داخل و خارج السودان و أشهر هذه الخطابات خطاب عمارة دنقس الذى خاطب فيه السلطان سليم و كان سبباً في أقناعه بعدم شن حرب علي الفنج و جاء فيه :

(إنى أعلم ما الذى يحملك علي حربي ، و أمتلاك بلادي ، فإن كان لأجل تأيد دين الإسلام ، فإننى و أهلي في مملكتي عرب و مسلمون و إن كان لغرض مادي، فأعلم أن أكثر أهل مملكتي عرب بادية وقد هاجروا الي هذه البلاد في طلب الرزق و لاشىء عندهم تجمع منه جزيه سنويه))

وصف عمارة دنقس أهل دولته بالعروبه و الإسلام و كذلك و صفهم بالفقر و لايوجد سبب لغزوهم .

و قل النثر السياسي في دولة الفور و ذلك لعدم التمكن من فنون اللغة العربية هنالك إلا أن الفور لم يقفوا متفرجين في هذه الفترة . و إستعان بعض أمرائهم و حكامهم بكتاب وظفوهم فى بلاط الملك ، معظم هولاء الكتاب للأزهر الشريف . و ذلك كما ورد في رسالة السلطان محمد الفضل الي محمد علي الكبير عام(١٨٣٠م). و كتب الخطاب العالم الأزهري محمود على عماري . وكان مدرساً للسلطان محمد الفضل و أولاده بالفاشر و الخطاب مفعم بالشواهد القرآنيه و النصوص الدينية و قال فيه :

((اما بعد فسلام الله عليك و رحمته و بركاته لديكم ، قد وصلنا جوابكم ، أوصلكم الله الي رضوانه ، و فهمنا خطابكم ، و مقتضى جوابكم و كل كلمة من الرقوم ، يستحق جوابها المفهوم ، و لكن يكفي من ذلك كله كلام الحي القيوم حيث قال ((له دعوة الحق و الدين ، و الذين يدعون من دونه لا

يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاه و ماهو ببالغه و مادعاء الكافرين إلا في ضلال)) . إنكم طالبون دولتنا و طاعتنا و إنقيادنا لكم هل بلغكم أننا كفار و جب قتلنا وأبيح ضرب الجزيه علينا ؟ أو غركم قتالنا مع ملوك سنار والشاقيه فنحن السلاطين و هم الرعيه .

أو ورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك ، أو وردك حديث من رسول الله تجد فيه تمليكك ، أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك رباً قوياً و لنا رباً ضعيف ، الحمد لله نحن مسلمون ومانحن كافرون و لا مبتدعون ، ندين بكتاب الله و سنة رسول الله (ص) و نؤدي الفرائض و نترك المحرمات و نأمر بالمعروف و ننهي عن المنكر و الذى لم يصلي نأمره بالصلاة و الذى لم يذكي نأخذ منه الذكاة و نضعها في بيت مال المسلمين و نعطى كل ذى حق حقه)).

بدأ العالم الأزهرى بالتحية و السلام و أوضح كل معانى القوة و المنعة في دولة البلاط و أنهم محتمين بالقدرة الإلاهيه ، و تخللت الرسالة معانى إسلامية رائدة و ذكر الكثير من الأركان مثل الصلاة و الذكاة و ذكر الجزية .

ولم يكتب علماء الأزهر لملوك الفور و حدهم بل وجدوا طريقهم للكتابة في بلاط ملوك الشمال فكتب حسين الزهراء لصالح بك ملك الشايقية في سنة ١٣٠١هـ قائلاً : -

((بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيش خليفة رسول رب العالمين الي صالح الملك الشايقى العدلاني ، لايخفي علي سنها منك و علوها منك ، أن يد الله لا تطاولها يد ، و أن هذا الجيش الذي أنت عازم علي حربه فهو حزب الله ، ومن ذا لحزب الله في الناس يقلب فتية من سنة الغفلة ، الي يقظة الذكري ، كن صالحاً كإسمك و لا تغرك غواشي و همك و لا تشق عصا طاعة المسلمين و لاتهتك أستارك بمحاربة رب العالمين و أعلم أن المسلمين بقضهم و قضيضهم قد أجمعوا علي حربك او قتلت هذا الجيش علي الفرض فوراؤه آلافاً مؤلفه و السلام))

كتب العالم الأزهري حسين الزهراء لملكه يخبره بسطوة صاحب البلاط الذي ينتمي إليه و قوته و توكله علي الله و تخللت كتاباته آيات من القرآن الكريم و يؤكد أن هذا الجيش لا تطاله يد و أنه جيش قوي و إذا أنتصر عليه هذا الملك فهناك جيوش أخري تابعه له ستنتصر بإذن الله .

النثر العربي في الدولة المهدية :ـ

إتخذ النثر العربي في دولة المهدية شكلاً منتظماً ، و تأثر في كثير من جوانبه بالتصوف و إفتحت معالم النثر الإسلامى فيه و كثر الإقتباس من القرآن و الحديث و كثر السجع و الجناس ،ونظم المعانى الروحية العظيمة .

و معظم الخطب و المنشورات كتبها الإمام المهدى بيده و خليفته الخليفة عبد الله بن محمد تور شين و كليهما ملمين بتعاليم الـــدين و حافظين لكـــــتاب الله و درس الإمام المهدي علي يد علماء المتصوفة محمد شريف نور الدائم ، و القرشى ود الزين ، و هما من كبار علماء الصوفية . و إستخدم الإمام المهدى كل تعاليم الصوفية في أدبه النثري ووصف دعوته بأنها البحر الذي أبتلع التمدات . شبه دعوته بالبحر و الطرق الصوفية بالتمد و إلا أن خصائص الصوفية ظلت باقية في دعوته ـ و أورد الكثير من الخطب السياسية التى تحمل ماذكرناه من خصائص وورد في خطابه الموجه الي حسين الشلالي و ينذره فيه :

((الحمد لله المنتقم القهار و الصلاة وعلي سيدنا محمد و آله الأخيار من الفقير المعتصم بمولاه المهدي بن السيد عبد الله الي يوسف حسن الشلالي و من معه من الجموع ، أمابعد فإنه قد وصل إلينا جوابكم و ماذكرتم فيه من وقوفكم علي مكاتباتنا و إنكاركم صاراً معلوماً لدينا ـ وكنا عقدنا أن نضرب عن إجابتكم صفحاً و أن نطوي إجابتكم كشحاً ، لوقوفكم علي الإنذار و مجاهرتكم سيبالإنكار ، أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ذكرتموه في جميع المواضع و نوضح لكم خطابكم فيما إدعوتموه بالبراهين السواطع . فنقول أما قولكم إنا قتلنا العسكر غدراً في

الوقعتين قبل أن يحاربونا فهذا كذب صريح لأنهم في الوقعتين إبتدرونا بالمحاربة ، و الضرب بالسلاح حتى حاربناهم و قتلناهم و قولهم أن الحكومة أرسلتهم ليقضوا على ما عندنا من الإدلة باطلٍ أيضاً ضرورة لأن الحكومة لو أرادت المراجعة و الإطلاع علي ماعندنا من الأدلة و البراهين لأرسلت الصللحاء و العلماء و أهل المذاكرة و الدراية لهذا الشأن و لم ترسل العساكر الأغبياء و تعطيهم الأسلحة ، وقولكم إنا قتلنا جملة من المسلمين المستوطنين بهذا المكان ظلماً و عدواناً باطل ، لأننا ماقتلنا إلا أهل الجردة ، بعد أن كذبونا و حاربونا وقد أخبرنا النبي (ص) و أخبر جميع أهل الكشف بأن من شك في مهديتنا و أنكر و خالف فهو كافر دمه و ماله غنيمة فحاربناهم لأجل ذالك و قتلناهم ، و بعد ذلك لما إنقاد باقيهم لحكمنا رجعنا لهم جميع أمتعتهم التى بأيدى أصحابنا رفقاً بهم مع إنها حلال ـ وقولكم أن الذين قتلناهم من العسكر مسلمون و متبعون ماجاء به الرسول (ص) و نسأل عن دمائهم بين يدى الله تعالي باطل لأن القطب الوريدى نص في باب المحاربة على أن أمراء مصر و عسكرهم و جميع أتباعهم محاربون أخذ أموال المسلمين منهم كرهاً فيجوز قتلهم كما قال تعالي في سورة المائدة الآية (٣٣) : (و إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم من خلاف) .

علي أن النبى صلي الله عليه و سلم أمرنا صريحاً بقتل الترك ، و أخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم لأوامر النبي صلي الله عليه و سلم و ارادهم لإطفاء نور الله فكيف نسأل عنهم بعد هذا و أيضاً قد شاهد جمع من الأخوان إلتهاب النار في أعضاء العساكر المقتولين جهاراً ، بتعجيل لعقوبتهم ، و إظهار لحقيقتهم و قيل أنكم خفيتم اربعة أنفار من الطليعة و آذيتموهم ، فعلموا أنه قد أوذى قبلهم أصحاب الرسول صلي الله عليه و سلم بالسجن و الضرب و القتل وجميع أنواع الأذى ،

كبلال و حبيب فليس لهم إلا الثواب و لابد أن يجازيكم الله علي ماصنعتم به و قولكم أن الطبيعة تنافي المهدى ظهوره ، جهلاً منكم بسيرة النبي صلي الله عليه وسلم كان الرسول يرسل الطلائع كحزيفة بن اليمان و الزبير بن العوام و غيرهم ، فلم ننافي رسالته ، فكيف بنا في مهديتنا و قد قال تعالي لنبيه (قل لا أقول لكم إني ملك أن أتبع إلا مايوحي إلي) وقال تعالي : (إنما الغيب لله)، إلا أن يريد الله أطلاعه في بعض الأحيان لحكمه يعلمها هو . و قولكم ما تبعنا إلا البقارة و الجهلاء و الأعراب ، و المجوس فأعلموا أن أتباع الرسل من قبلنا و أتباع نبينا محمد صلي الله عليه و سلم الضعفاء و الجهلاء ، و المجوس و الذين يعبدون الحجر و الشجر . و أما الملوك و الأغنياء و أهل الترف فلم يتبعوهم إلابعد أن يخربوا ديلرهم و يقتلوا أشرافهم - و يملكوهم بالقهر كما قال تعالي : (وما نرالك إتبعك إلا الذين هم أرازلنا بادى الرأى)

و قال تعالي : (و ما أرسلنا رسلنا في قرية إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، و قالوا نحن أكثر أمولاً وأولاداً و مانحن بمعذبين)

و لما بعث سيدنا محمد صلي الله عليه و سلم كانت مداين اليهود و النصاري مشحونة بالأحبار و الرهبان و الملوك أهل الطغيان ، وكانوا يتمنون إدراك زمنه و يستعدون به فلما ظهر أنكروا وجحدوا نبوته و كفروا به و قالوا ما أتبالعه إلا أجلاف الأعراب عراة الأجساد و جياع الأكباد و كانوا يعرفونه كما يعرفون أبنائهم و يعلمون أنه الحق من ربهم و لم ينفعهم علمهم و لاغناهم بل ضربت عليهم الذلة و المسكنة و باؤوا بغضب من الله و لم ينفعهم ملكهم الذي منعهم عن إتباع الحق إلا أياماً قليلة حتى فرقهم الله و شتت شملهم و جعلهم غنيمة لضعفاء الأعراب الذين كانوا يستهزئون بهم وكذلك نرجو الله أن تكونوا أنتم و من

وراءكم غنيمة للبقارة الجهلاء ، والأعراب و المجوس قال تعالي : (وما إختلف الذين أوتو الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة) و قال (أفرأيت من إتخذ هواه و أضله الله على علم) فمثال العلماء و الصلحاء الذين أنكروا مهديتنا و خالفونا كأمثال أحبار بنى إسرائيال و رهبانهم الذين أضلهم الله علي علم))

و قولكم قم و أحضر عندنا و توجه بنا إلي محل الهدى : مكة المشرفة فأعلموا أن توجهنا إنما يكون بأمر رسول الله صلي الله عليه و سلم في الوقت الذي يريده الله ، و ليس تحت أمركم ، بل أنتم و من فوقكم تحت أمرنا و أنا ولي أمركم في هذا الآن علي سائر الإنس و اللجن ، و إن خالفتم أمرنا في هذه الأيام فلابد أن تقعوا في قبضتنا و تذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، و نحن نتربص لكم ، أن يصيبكم الله بعزاب من عنده أو بأيدينا و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

و قولكم أرسل ملكاً من الملائكة جهل منكم كما قال تعالي موجها علي كفار قريش (و قالوا لولا أنزل الله عليك ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون)

وقال تعالي : (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوا بأيديهم لقال الذين كفروا هذا سحر مبين)

هذا وليكن معلوماً عندكم أني من نسل رسول الله عليه السلام فأبي حسن من جهة أبيه و أمه و أمي كذلك من جهة أمها وأبوها عباسي و الله أعلم ، إنى لى نسبة الي الحسن . وفيما ذكرنا كفاية لأهل النباية و السلام علي من إتبع الهدى .

خاطب الإمام المهدى بهذه الرسالة خطاباً واضحاً و تقلب عليه السمة السياسية فهو يخيف أعدائه و يهددهم ، و يعلن عن قوته و مهديته ، و يفتخر باتباعه الأقوياء ويتيمن بمشابهتهم لأصحاب الرسول (ص).

ويعد خصمه بالهذيمه و يذكره بحال الكفار و المنكرين من قبله ، و أن العنت الذي لقيه منهم قد لقية النبي صلي الله عليه و سلم من قبل ، ويبرر قتله للعسكر الذين أتوا من أجل للإستطلاع و ينكر علي خصمه إرسالهم للعسكر من أجل التفاوض ، لأ ن الحكومة إذا أرادت التفاوض كان يجب عليها أن ترسل العلماء .

الإمام المهدي عليه السلام درس في خلاوي المتصوفة و تربي تربية صوفية و عرف كل تعاليمها . و إذا قام يجمع الطرق الصوفية في بحر كما قال ((إنه البحر الذي أكل التمدات)) فلا يعني ذلك أنه قد تنكر لتعاليم الصوفية و أسسها بل أصطحب معه معظم السمات الحميده عند المتصوفة و يظهر ذلك في دراستنا لهذا الخطاب السياسي الهام الذي أعلن فيه المهدية و تعاليمها . ومن خصائص المتصوفة البارزة في هذا الخطاب إنتسابه للنبي صلي الله عليه وسلم إذ يربط نسبه بنسب سيدنا الحسين بن علي و العباس بن عبد المطلب و هذا مانجده فيما يسمى شجرة النسب التى يحتفظ بها الكثيرمن علماء الصوفية حرصاً منهم علي الإتصال مباشرة بهذا الجسد الطاهر جسد النبوة .

و تطرق أيضاً فى خطابه لصفة الزهد والتقشف و البساطه و إفتخر بأصحابه الذين ينتمون للبقارة و الأعراب الضعفاء جياع الأكباد هزال الأجسام و هذا ما يتصف به المتصوفة العابدون الذين يربطون الأحزمه و يأكلون (القرض) منعاً للوقوع تحت حبال الجوع و طاعة للنفس الأمارة بالسوء . و إنهم يشابهون أتباع رسول الله صلب الله عليه و سلم و أصحابه.

و إحتوى الخطاب علي التنويه لعلم الباطن و الكشف و العلم اللدني . و هذا من صميم ماعرفت به الصوفية و تهكم الإمام المهدى على عدوه لأنه لايعلم بأمره و أنه قد إطلع علي ذلك و هذا عن طريق علم الباطن . و أنه يرى مالايراه عدوه و أنه قد إطلع عليه بأم عينه . و أوضح لخصمه أنه سلطان زمانه و أنه إمام فترته و شيخ قومه و صفة الإمامه من الصفات التى تعارفت عليها الصوفية .

و شيخ الطريقة عندهم هو شخص ذو مرتبة الدينية و الإجتماعية العاليه المعروفة ولا يحتاج لتنزية من إنسان و لابد أن يخضع لسلطانه كل من حضر زمانه . و يتخذ الأتباع و الحيران و المريدين و طور الإمام المهدى هذا المفهوم الي مفهوم للإمامة و أعلن إمامتة ووعد من خالفه بالدمار و الخبال .وصف الإمام المهدى نفسه بأنه زاهد في الدنيا و عبد المأمور بإحياء الكتاب و السنة المقبورين حتى يستحيا و أنه قوي و شـــــــديد علي الكفار و المنافقين و خصم لدود لهم .

وتوج الخصائص الصوفية بالحضرة النبوية في هذا الخطاب و أوضح لخصمه أن معالم زمانه إستكشفها في الحضرة النبوية و نال رضا النبي صلي الله عليه و سلم و مباركته له لهذا الأمر و أنه سائر فيه حتي يكمله بإذن الله .

حشد الإمام المهدى عليه السلام كل المعاني السامية للصوفية و المتمثلة في الشظف و التقشف و علم الباطن و الحضرة النبوية ، و إستطاع أن يظهر ذلك في قالب نثري صبغه بصبغة الخطاب السيياسي في صدر الإسلام إذ بدأه بالسلام و ختمه بالسلام .

و إستخدم فيه لغة سهلة و بسيطة ذات إسلوب جميل و زينها بالآيات المقتبسة من القرآن الكريم ، و خلت من غريب الألفاظ و وحشو الكلام ، و ضخامة الحروف و صعوبة المخارج .

و إنسابت إنسياباً قارب الشكل فيه المضمون و هذا ما برهن علي أثر الأدب الصوفي علي النثر السياسي فى عهد دولة المهدية ، و هنالك العديد من

المناشير و الرسائل تحمل هذه الخصائص و المعاني . و من مصادر النثر العربي عند الصوفية في السودان خطب الخلفاء الراشدين و أقوالهم المأثورة ، فلم تقل حظاً عندهم من الخطاب النبوى الشريف و أعتبروهم إمتداداً طبيعياً للرسالة و أول من وقفوا علي خطبة سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه قوله : (ألا إن أشقي الناس في الدنيا و الآخرة الملوك ، ألا أن الفقراء هم المرحومون ألا وإنكم اليوم علي خلافة النبوة و مفرق المحجة و إنكم سترون بعدى ملكاً عضوضاً و ملكاً عوداً و أمة شعاعاً و دماً مسفوحاً ، فإن كانت للباطل نزوة ، و لأهل الحق جولة ، يصفوا لها الأثر و تحيا بها بها الفتن ، و تموت لها السنن ، فألزموا المساجد ، و أستشيروا القرآن ، و إعتصموا بالطاعة ولا تفارقوا الجماعة). نبه الخليفة الصديق الى قساوة الدنيا من بعدهم و هذا ما وقف إليه الناس من الحروب و شقاق .

و قرأوا خطب سيدنا عمر بن الخطاب التى جاء فيها : (أوصيكم بتقوى الله لا شريك له و أوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف سابقهم و أوصيك بالأنصار خيراً ، فأقبل من محسنهم و تجاوز عن مسيئهم و أوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء العدو و جباية الأموال والفئ لا تحمل فيهم إلا عن فضل منهم و أوصيك بأهل البادية خيراً فإنهم أصل العرب و مادة الإسلام .

أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، و أوصيك بأهل الذمة خيراً تقاتل من ورائهم ، و لاتكلفهم فوق طاقتهم ، و أوصيك بتقوى الله الحذر منه و مخافة الفتنة .ولا يطلع منك على ريبه . و أوصيك أن تخشى الله في الناس ولاتخشى الناس في الله و أوصيك بالعدل في الرعيه ، و التفريج لحوائجهم و ثقورهم و لا تؤثر غنيهم على فقيرهم و أمرك أن تشتد فى أمور الله و في حدوده و معاصيه على قريب الناس و بعيدهم و أجعل الناس عندك ، لا ينال على من وجب الحق ، ولاتأخذ في الله لومة لائم ، و إياك الأثرة و المحاباة فيما

ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور و تظلم ، و تحرم نفسك من ذلك ماقد و سعه الله عليك) .

و إمتاز سيدنا عمر رضى الله عنه بعد المحازير و أشار لعدم إستأثار النفس علي الصاحب و التقشف و عدم حب الذات و الشهوات و أوصي على جهاد النفس . و هذه التعليمات طبقها المتصوفة عن ظهر قلب .

و إمتاز سيدنا عمر رضي الله عنه بقوة الحديث و صرامته و يخرج الضاد من أى شدقيه شاء . و سلطان الأدباء في الخلافة هو سيدنا علي بن ابى طالب رضي الله عنه ـ فكان أريباً بليغاً له العديد من المخطوطات النثرية و ينسب له كتاب نهج البلاغة الذى تحدث فيه عن فنون الأدب و جمالياته و تعد مرجعاً هاماً من مراجع الأدب العربي .أشرنا إلى أن قصة أبى زيد الهلالى ترجع إلى أصل عربي و أموي و أن قصة عبد الرحمن الداخل و صقر قريش ترجع أيضاً إلي نهاية العهد الأموى .

إزدهرت الخطابة فى هذا العهد لأن كل حزب يتخذ الخطابة للذود عن مبادئه فظهر في الحكم الأموى خطباء الخوارج و إشتهر أيضاإ الحسين بن علي بن أبى طالب و على بن الحسين و زيد بن على و المختار الثقفى و خطباء بنى أميه يدعون الى التمسك بحبل الجماعة .

و من الأموين الخطباء عتبة بن أبى سفيان و الى معاويه على مصر ـ و عبيد الله بن زياد و خالد بن عبدالله الغسرى . و إمتاز العصر الأموى بخطباء المحافل و من ذلك خطبة عطاء بن أبى صيفى الثقفى أمام يزيد بن معاوية التى قال فيها ((ياأمير المؤمنين ، أصبحت قد رزئت خليفة الله و أعطيت خلافة الله وقد أعطيت بعده الرياسة ووليت السيـــــــاسة ، فأحتسب عند الله أعظم الرزيه و أشكره على أعظم عطيه))

و ظهرت خطابة المواعظ و القصص الدينى و قال فى هذا الصدد يزيد بن أبان الرقاشى (ليتنا لم نخلق ، وإذا خلقنا لم نعصى ، و ليتنا إذا عصينا لم نمت ، و ليتنا إذا متنا لم نبعث و ليتنا إذا بعثنا لم نحاسب ، و ليتنا إذا حوسبنا لم نعذب))

تظهر التعبيرات و الدعاء و الشكر للحياة و العزوف عنها فتمنى الكاتب أن لم يخلق و إذا خلق لم يمت و إذا مات لم يعذب . وهذا الأدب يمثل الأدب الصوفي الزاهد فى الدنيا و منعطفاتها .

و أشهر خطباء العصر الأموى الحجاج بن يوسف الثقفى ـ و أشهر خطبة له قالها فى الكوفة . حين قدم على العراق ، و الياً من قبل عبد الملك فقال معا صيروه ، أنه رجل الكوفة فجاءة حين إنتشر النهار ، فبدإ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خذ خضراء حتى إذا إجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال :

أنا إبن جلا و طلاع الثنايا ***** متى أضع العمامة تعرفونى**

((أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله و إنى لأرى رؤساً قد أينعت و حان قطـــافها و إنى لصاحبها ، و إنى لأنظر الى دماء بين اللحى و العمائم و اللجب . ثم أخذ ينشد أبياتناً تنذر بما سيأخذهم به من عنف ، فهم كما يقولون أهل الشـــــقاق و النقاق و مساوىء الأخلاق))

و قال ((أما والله لأ لوحنكم لحو العصا و لأعصبنكم عصب الســــــــلمة و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل أما و الله لتستقمن على طريق الحق أولاً دعن لكل رجل شعلاً فى جسده))

هذا النوع من الخطب السياسية العصماء و جد فى عهد دولة الفنج مثل قول بادى : (لايغرنك إنتصارك على الشايقية فنحن الملوك و هم الرعيه) و فى عهد الإمام المهدى نجد خطابه لغردون فيه شىء من القوة و عدم الضعف و

يحاكى الامام المهدي في وصفة لجنوده يوم بدر الكبرى ووصفهم بانهم مسومين وانهم كفلين بتثبيت اركان السماء والارض .

وتشابه فن الخطابه في عصر صدر الاسلام . فلا بد أن يكون الخطيب قوى مفوه ومحتنك ويعرف تدبير إخراج الحروف ـ ويظهر بعد خفاء ليفاجئ الناس الحضور ويشتت افكارهم .

في العصر العباسي عرف الادب العربي ـــ النثر العلمي والفلسفى ، والقصصي والتاريخي والنثر الادبي الخالص . وكان فيه أثراً للادب القديم ، وظلت الخطابه مزدهرة في أوائل العصر العباس واكثرها خطابة الحافل . وهذا النوع من الخطابة ازدهرا نصاً في عهد الدويلات الاسلامية في السودان كما اشرنا له في دولة الفونج و الفور وفي الدولة المهدية وظلت الخطابة السياسية نشطة بحكم دعوة العباسين لانفسهم ، فمن خطباء العباسين المفوهين ابو العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وسيتدعى المهدي الوعاظ ويستمع إليهم وشاركت القبائل غير العربية اخوانهم العرب في الفصاحة والابانه ـ وهذا ما يشابه انتشار العربية في السودان ((فموسى بن يسار الفارسى كانت فصاحته في الفارسية بحجم فصاحة العربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمنه والفرس عن يساره فيقرأ الايه من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه للفرس ويفسرها لهم بالفارسية فلا يدري باي لسان هو ابين)) ويشابه هذا ما خدم علية ابناء القبائل الزنجية في جنوب كردفان ودارفور والنيل الابيض دون ان يتنبه السامع لهم إلى اي لهجه او عدم ابانه .

ويقول الجاحظ :

((لايكون المتكلم جامعاً لأقطاب الكلام وتمكن في الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة والعالم عندنا هو الذي يجمعهما ، ويشير الجاحظ هنا لضرورة معرفة كثر من العلم الفلسفة

وعلوم الدين حتى يصبح صاحبها بليغاً وقوياً ومبيناً في قوله ـ وعرف علماء الدين في عهد الفونج والمهدية فنون الحرب والرئاسة وايضاً امتلكوا جوامع الكلم ، فكانوا خطباء بارعين ورسم القران الكريم والحديث النبوي سورة للقيامه والجنة والنار والاسراء والمعراج ، استوحى منها الصوفيه وكذلك كل من تثقف بالعربية .

والاحاديث التي تحدثت عن اليوم الآخر ، وماعقبة من جنة ونار ذو اهمية بالغة في الدراسات المقارنة ،لان العربية لم تعرف قبل القران وصفاً كاشفاً لليوم الاخر ، وما يتخلله من حساب وصراط ثم مايترتب على ذلك من نعيم وعذاب ، وجاء الحديث النبوى ليوضح ما أجمل القرآن ، ويسهب في ذكر اليوم الاخر اسهاباً يقربه من العقول ويحصلة حقيقة واقعة لدى قوم ينكرون البعث ويقولون حينما حكى عنهم القران في سورة الصافات الآية (١٩) ((**أئذا ميتنا وكنا تراباً وعظاماً ءاننا لمبعثون او اباؤنا الأولون قال نعم وأنتم أخذون فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون**)).

وبعض الأدباء إستفاد من تصوير يوم القيامة والحديث عنه في انتاجه الفني ، كأبي العلاء المعري حين ابدع في رسالة الغفران ، فتحدث عن جبال الذهب في الجنة ، وحياض العسل في الفردوس وعن الحور العين في هيئة الاوز ثم عن شجرة الزقوم ، وخذته جهنم وكان الشاعر الفيلسوف اول اديب عربي استلهم خياله، تحلق في آفاق اليوم الاخر ، ثم كتب رسالة الخلود ، فترجمت إلى اللغات المختلفة وصارت مصدراً حياً من مصادر الادب والفن والذي يهمنا ان المصدر الاول لرسالة الفقرات الاثار الدينية والاسلامية من قرآن وحديث وان سيدنا محمد صلى الله علية وسلم أضاف للآدب العربي صوراً مؤثرة وتاخذة ووقوفه علي عالم الغيب الذي لم يكن الجاهلون على دراية به والقرآن الذي أضاف للأدب صوراً جديداً أعطت دليل علي نبوته الصادقة واستطاع هذا النبي الامي النأشئ في

الجزيرة العربية ان يصف اشهى منازل الترف الجنة من قصور حمالية وحياض مترعة ، وحور ناعمة ، وحدائق خضرة ، وسندس وحرير واستبرق ، وولدان مخلدون ، وانهار من عسل مصفى ،ومن خمر لذة للشاربين كيف استطاع تصور ذلك لآول مرة في الادب العربي هذا السؤال يجدنا نقف ام معجز القران الكريم .

واضافة للصور المحسوسة اضاف القران مشاهد للحوار والجدل والنقاش في الجنة والنار ، فساعد على اكمال صور حية تجش بالحركة ، والخصام ، والجدل ، وتقف بالقارئ على الصورة الحقيقية لما سيكون ، إذ يرى المشهد المؤثر ، ويسمع الرد المحترم ، الجواب الثاقب ثم يصل إلى العاقبة الهائلة حيث يرى المتخاضين قد كبوا في نار جهنم ، يطول نبأ المقام إذ لقرضه مشاهد القرانية .

سار البيان المبدع من القول المحمدى علي هدى هذا النمط المعجز من الوحى الإلهى . فجاء بكثير من الصور الزاهية و المشاهد الرائعة ليوم القيامة و أستنكر بعض الناس و فرة ماروته كتب السنة عن النبى صلي الله عليه و سلم من ذلك الإستكثار فى غيرموقعة . لأن حقيقة البعث حقيقة أساسية فى الدعوة .

السودان ليس بعيداً عن عجلة تطور النثر في العصور الإسلامية المختلفة فعرف العصر العباسى الكتابة الديوانية للملوك و الوزراء . و من يرجع لعهد الدولة التى سادت السودان فى الفترة من الفونج الى المهدية يقف على الأيـــــام و الحروب التى تشابه أيام العرب و تحدث السودانيون عن فرســـــانهم و قوادهم و تسامروابذلك حول الخيام . و سمعوا عن أخبار الأمم المجاورة لهم و عن أساطيرهم و في السيرة النبوية يذكر أن أبن الحارث المكى كان يقص على قريش أحاديث عن أبطال الفرس و أمثال رستم ، و إسفنديلر و أكثر ما كان يستهويهم من القصص أحاديث حروبهم في الجاهلية مما يصورة كتاب شرح النقائض لأبى عبيدة و كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى .

ومن القصص المشهورة التى و ردت فى الأثر قصة الزباء ملكة تدمر و التى تزعم أنها بنت عمرو الظرب العملقى ، و أن حروباً نشبت بينها و بين جزيمة الأبرش ملك الحيرة ، و تنوخ إنتهت بقتل عمرو فأحتالت بنته الزباء عاى جزيمه الأبرش حتى قدم عليها فقتلته .

الشعر الصوفي وآثره على النثر العربي في السودان :ـ

يتناول جميع نقاد الادب العربي دراسة الادب بشقية الشعر والنثر . واذا عرفنا الشعر بانه الكلام الموزون المقفى فيختلف عنه النثر في عدم استخدام القافية والموازنة على قراءة الشعر تزيد مكانت الكاتب والقارئ من حذق اللغه العربية وتدير خفاياها ومواقع جمالها وحسن بهائها وجميل صياغها ومعرفه كنهه شكلها ومعناها .

ونشآ الشعر الصوفي والنثر الصوفي في بيئة متشابهه ومعظم الذين كتبوا النثر قرضوا الشعر ايضاً وبعض المريدين ينشدون شعراً رصيناً لشيوخهم يصعب على القارئ او السامع شرحه فيتحلقون في حلقات لالقاء الشعر وشرحه . والقصيدة الشعرية نفسها تسير على طريق الحكى فعلى الرقم من انها موزونه ومفقية إلا انها تقص قصصاً معينا وتقف عند موضوع بعينة تنقصاه من اولة لاخره .

كتب شعراء الصوفيه في هذه المرحلة عن قوة السلطان والحاكم وكتبوا عن خوارق الشيوخ وكراماتهم وكتبوا عن الشكر والمديح للمتصدقين والواهبين وكتبوا عن الحياة العامة في عهد الممالك الاسلامية في السودان ويغلب الشعر الذي كتبوه في هذه المرحلة النفس الصوفي ويتضمن الخصائص الدقيقة للادب الصوفي . وآول ماتم قرضه في الشعر الصوفي هو الشعر الدارج وشانه في هذا شأن النثر الدارج وتتجلى فيه البطولات والشهامة والمروءة والتجدة والغزل احياناً. ويقول في ذلك عبد المجيد عابدين ((لم يكن في الحقيقة الامظهرمن مظاهرهذه البطوله .(١)

وسمي الشعر في هذه الفترة ان دل على مديح اورثاء او فخر اوهجاء بالغناء ويقول في ذلك محمد عبدالرحيم ((هذه الظاهرة ان دلت على شئ فانما تمثل ميلهم الطبيعي للغناء وتدل على عظمة العاطفة عليهم))(٢) والعرب في الجاهلية يقولون انشد شعراً اوغناء . وأهم ماتناوله الشعر الصوفي مدح الشيوخ واسبغ على

---

(١) تاريخ الثقافة العربية فى السودان ـ ص١٧٥ـ عبد المجيد عابدين

شخصية الصوفي صورة البطل ، وانشد فيها الاشعار التي تصور كراماته وتواضعه وشجاعته وما تحلى به من ذهد واعراض عن الدنيا وربطوا بين شخصية البطل وشخصية الشيخ الصوفي . ومدحوا الشخص الكريم لانـه استطاع ان يكسر في نفسه عوامل الشيخ ومدحوا ذلك ببعض الصفات الصوفيه بالدعاء والتبتل وتقول في ذلك شاعرة الشيخ حمد النيل اشهر شيوخ الصوفيه في عهد الفونج .(١)

الدنيا ام قدور طلـــقها في سابع الســـموات علقها

فيها مابدور إبرة ولا محلقها العقدة العقدها مع ربه مالكلكها

ومدحت اخرى شرف الدين العركي من شيوخ الفونج قائلة .

شرف الدين آنا بالله وبيــك يا لماس الشــباك بيديـــك

من خلاني نعلأ في رجليـك كل يـــوم اتبــرك بـــــيك

يا شجـرة وقـــــت الله اداك لا نيلأ سقاك ولا مطراً جـاك

ودالعركي كل يوم يغـشاك سـوالك ورقـــاً ظـــلاك

وهذه الابيات تبين مدى تعلق النـاس بالشيوخ ونقلهم لكراماتهم وتصور بعمل الخواق وقالوا في الكريل .

خايفك يابابكر تلوى على بايدك ات محنـــه وقوى مالي وسيله غـيرك

كم عجزت عاجز بلباسك وخيلك وكـــم قدرت قادر يا الولـــى هل نشكيلك

ويعتقدوا ان الشيخ تقف وراءه قوة الهيـة هائلـة لا يغلبـه الاعداء ولايقف مكتوف الايدي من الضعفاء .

واكثر شعراء الصوفيه الدارجة من المزج بين البطوله والذكر ومن ذلك قول بت مسيمس في مدح الزبير ورحمة .

سموك الزبير فارساً تشد الحـيل

سموك الزبير فارساً تصد الخيل

سموك الزبير صالحاً تقيم الليـــل

و سموك الزبير بتغير هوية ليـل

قاهـــــر

جمعت الصفات في البيت الاول واخذت في تفصيل هذه المآثر (١) تفصيلاً يجمع بين البطوله الحربيه والعبادة مع التهويل ورفع شآن الممدوح بالتكرار .

وتدور هذه الاثار حول منطق البطوله وتعمل الشيخ بطلاً والشيخ حولـه قصـة ولكنها شعرية ويهتدي التاثيراً احياناً لكتابه قصته بعد قراءة القصيدة مباشرة .

---

(١) نفثات اليراع ـص١٣ـ محمد عبد الرحيم

و كما أشرنا أن النثر فى عهد الدويلات فى السودان بدأ دارجاً ثم إتجه نحو الفصحى كذلك الشعر إنتهج نفس النهج و تدرج من العاميه إلى الفصحى . و قلل الشعر الفصيح كثيراً

الحديث عن الشيخ الصوفى . و إلتمس الصوفية من منابعها الأصيلة و جعل شخصية الرسول المحور الذى تدور عليه فى أسلوبها وتناول المداح فى هذه الفترة مدح النبى صلي عليه و سلم و أخلاقه و صفاته .

وهذا مايوازى فترة المولد النبوى الشريف الذى مزج بين النثر و الشعر و أسرف الشعراء فى التوسل بالرسول و صبوا دموعاً كثيرة مستغفرين و طالبين العفو ساخطين على أنفسهم و على صوفى حتى عندما يتناول فريضة الحج و يحث عليها الناس و ينظم هذا النوع من الشعر شيوخ الصوفية الذين عرفوا بأسم الزمال و يطوفون فى البلاد إثنين أو أكثر فيجتمع الناس حولهم فى حلقة فيأخذ أحدهم ((الطار)) يعرف بالأم و الآخر طاراً أصغر منه يرف ((بالشتم)) و يشرع حامل الأم بالغناء مبتدئاً ((بالشيله)) اللازمة فيعيدها الجمـــــــــهور وهو يكررها حتى يحفظوها ثم يشرع فى القصيدة فيلقيها هو و حامل ((الشتم)) بيتاً بيتاً علـــــى ضرب الطار و الحضور يعيدون الشيلة بعد كل بيت و هكذا إلى أن تنتهـــى القصيدة و لا ينخرط فى هذا السلك إلا أصحاب الصوت الجميل (١) و فى الغالب حسان الصوررة نظيفى الثياب يحيون الليالى و الأفراح عند البعض كما يكون ذلك فى الليالى العادية و أهم من يمثل هولاءٍ الشيخ الصابونى و الشيخ ود حيـــــاتى و الشيخ أحمد بن أبى شريعة :

يا أخوان باللسان و قلوبنـــا * للهادى البشير صلوبنا**
يامجرى النوال مطلوبنـــا * يانور نورن لقلوبنـــــا**
بعد اليبس تروى قلوبنـــــا * و أنصر ياعزيزمغلوبنا**

---

(١) الفروسية فى الشعر الشعبى السودانى ص١٩ بيروت ١٩٦٥ سليمان خالد عبد المحمود

روح أرواحنا محى عظامنا * فهو شفيعنا يوم أكظامنا**

أنكشفت خليلى كربنـــــــا * و إستلمت يدانا إربنـــا**

أنست بيه الليالى الخاليـــه * أحمد ذى الأيدى العـاليه**

أحيا دعاء العظام الباليـــة * و الأمرار عسيلة وحانية**

و يختم بقوله :

قال ليك أبشريعة مرامـي * ياسيد الوجود أكرامـــى**

الصلاة و السلام تنجينـــا * من كل شر وخير تنجينا**

بما لايكون عذاب راجينا * تقفلى باب لظى و سجينا**

قال أبو شريعة يارسول اله قصدى أن تكرمنى بالشفاعة و الصـــــــــلاة و السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة تنجينا بها من كل شر و تنجينـــا عن كل خير فى الدنيا فهو ملهاة لنا عن حب النبى صلى الله عليه و سلم و الملاحظ فى هذا الشعر يسمون النبى بأسماء كثيرة منها الهادى و البشير و مجرى النـوال و النور و سيد الوجود و الماحى و أبى علامة و غير ذلك من أسماء مشتقة من صفاته . و على الرقم من خلوها من دخول كلمة شعبية مبهمة فإنه نجد التعبير الشعبى و اضحاً . وتبدأ القصيدة بدعوة إلى زيارة الحجاز للحج و زيارة الرسول و يعيب على نفسه عدم زيارة الرسول و أحياناً يحكى الشاعر الزيارة فى قالب قصصى جميل و يقول فى ذلك حاج الماحى :

عيب شبابى المن صبى * و الله مازار النبـــى**

و يقول :

عيب شبابى و حسرتة * الماحى مازار حجرتة**

---

(١) تاريخ السودان ـ ص١١٨ ـ نعوم شقير

(٢) أبو شريعة هو محمد بن أحمد أبى شريعة ولد عام ١٢٦٩هـ و أحترف الرواية زمالاً وعمره ثلاثة عشر عاماً وسكن قبالة شندى وتوفى بعد ٧١ عام ودفن فى موقع سكنه .

و كما لاحظنا فى النثر العربى أيضاً فى الشعر الصوفى يكثر الإقتباس من القرآن الكريم فى قوله :

مدحهم ذو الجلال مدحاً * كثير و أثابهم فتحـــا**

كما و العاديات ضبـحا * و ثم الموريات قدحا**

رواقاً كان أو صبحـــا * يؤبن الحاملات ربحا**

و يطلب الشاعر الصوفى فى هذه الفترة بالتوسل من الصوفية السابقين أمثال عبد الرحيم البرعى و إبن الفارض و غيرهم :

أقول ماقاله البرعـــــــى و إبن الفارض الورع

فى طيب الأصـــــــل و الفرع ضيف الله الشرع

عسى و لعل يطيب زرعى بعين منه أكـــون مرعى

عامل الزمن غير مفهوم فى هذه المرحلة عن المرحلة السابقـــــــة لها ـ فدخل السودان تحت الحكم التركى و رابط بمصر و أثر ذلك فى الثقافة السودانية الإسلامية (١)

(١) أبو شريعة هو محمد بن أحمد أبى شريعة زلد عام ١٢٦٩هـ و إحترف راوية زمالاً وعمره (١٣) عام وسكن فى قبالة شندى وتوفى بعد ٧١عام ودفن فى موقع سكنه

فتطور الإدراك لإخراج الشعر الصوفى مبتعداً بعض الشئ عن الصبغة المحلية و أدى ذلك الى تغير طريقة المدائح التى كانت سائدة ويقول عبد المجيد عابدين :

((و الذى يرى فيه الشعراء و المداح على نحو مدائحهم القديمة للملوك و الكبراء مع إحداث التغيرات اللازمة)) (٢)

و أهم الموضوعات التى تطرق لها الشعر الصوفى بأيجاز تمسكهم بنظرية النور المحدى و أنه أول المخلوقات و أنه لولاهو ماكانت الأكوان ولا كان أى وجود و غير ذلك مما نراه فى الشعر الصوفى فى القرنين السادس و السابع الهجرى أعظم الأثر فى الشعر الإسلامى . لأنها عينت للمدائح النبوية إتجاهاً خاصاً

فقد كان مدح النبى قبل ظهور هذه النظرية عند الحلاج و أضرابه من كبار المتصوفة مدحاً عادياً فى الشعر العربى ثم أصبح فناً ذو لون خاص له أصوله و تقاليده تناوله المتصوفة فى السودان بينما تناوله المتصوفة فى غير السودان منذ القرن الثالث الهجرى مادحين فيه صفات النبى و أخلاقه و ما تحلى به من كريم الصفات و لطف الشمائل و فى حسبه و أصالة نشأته و أخباره و سيرته و معجزاته و توسلوا بكل ذلك .

يقول الشيخ محمد المجذوب بن الشيخ الطاهر المجذوب :

بلغوا طيب سلامـــــــى طيبة * ثم حيوا ثاوياً فى حيـــها**

و مقيماً فى رباها سكنـــــــا * النبى الهاشمى المصطفى**

من غدا فى الفضل فرداً أمكنا * خير الرسل رفيع المرتقى**

أحمد المختار محمود السنا

---

(١) السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثه المصرية ص١٥٩ ـ عبد الله حسين

(٢) تاريخ الثقافة العربية فى السودان ـ عبد المجيد عابدين

و يقول الشيخ الطاهر المجذوب :

هنيئاً لمن قد شام و جنة أحمد * ومتع الطرف الكحيل المسهـد**

بنور تجلى فوق خدٍ لأحمـد * سلام على خد النبى محمـد**

لخد منير أسهل و مشمـم * لقد كان فى الهاشمى محمـد**

ضليعاً و سعياً ذا بهـاء وسؤدد * إذا إفتر يبدى حب منضـد**

سلام على فم الحبيب محمـد * لفم به درٌ نفيس معظـم**

و حتى يتوصلوا إلى مدح النبى صلى الله عليه و سلم مدحوا الإماكن التى تجول بها فمدحوا العقيق و نجد و المنحنى و المدينة و غيرها و يفتحون قصائدهم بالصلاة على النبى :

يارب صلى على النبى وعلى * ماسار ركب بالحجيج وراحا**

و أحياناً يقصدون من الشعر الذكر المجرد دون التقيد بجمال القصيدة الفنى كما ورد فى سفر محمد عثمان الميرغنى (١)

صلاتك الله يامـولاى * سلامك الله يامولاى**

على مسماه يامولاى * محمد ياهو يامولاى**

و يتجه الشعر الصوفى أحياناً الـى التعليم و التوجيه و تربيـة المريدين فـى أسلوب الأمر و النهى و ذلك كما ورد فى قول الميرغنى (٢)

يدر لحبك أهل الله قاطبـــةً * وأسعى إليهم على قدم بلا كسل**

وقم على قدم التجريد نحوهم * و سافر إليهم تجود أيديهم تصــل**

---

(١) النور البراق ص ٨٣ ـ السيد محمد عثمان الميرغنى

(٢) مجمع الغرائب المفرقات ـ ص ٧٢ للسيد محمد عثمان الميرغنى

و يكون أحياناً توبيخاً كقوله :

أ شغلت نفسى يامغرور ملتهـــــــياً * بما يفيدك يوم الحشر و النـــدم**

أعرفت عن كل مايرضى الإله وقـد * علمته بصريح النص لا القــدم**

تلاف نفسك من قبل المـــنون وقف * مما أشتغلت به عن بارئ السقم**

ومن أغراض الشعر الصوفى الفخر و لما رأى الصوفى أنه محمود الجماعة إفتخر بنفسه و طريقته ليدل على مكانته عند الله فى أسلوب شطحى على طريقة أبن الفارض فى تاءيته الكبرى المسماه بنظم السلوك :

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى * و كأسى محياض عن الحسن حلت**

وهذه القصيدة تحكى عن الحب الصوفى و قلدها الشيخ محمد المجذوب الطاهر فى قصيدتة التى جاء فيها :

صفت خلوتى بالحب و أصطف حولها * كبار رجال قد باحوا بسكـــرة**

و لى قصة فى الحب لو حكيت علـــى * فحول رجال لاستمالوا بقصتى**

وخوطبت فى سرى بســـــــر كتكته * مخافة أن يؤتى بأكـــــبر فتنة**

ويقول السيد محمد عثمان فى هذا الصدد :

سمت رفقتى فخراً سمواً برفقـــى * و أهل العلا قاموا صفوفاً لحضرتى**

سقانى خمرة الفيض ساقى المدامة * و خمرى لذيذ الطعم صافى الكوودة**

و لما أدار الكأس فى حضرة العـلا * بدانى و سقانى و أعطانى بغيـــتى**

وطرقوا الغزل الصوفى لإرتباطهم بالمديح النبوى و ذكروا ليلى و سعاد و غيرها من الاسماء فى الشعر يصعب الفرق بين الغزل الصريح .

و يقول فى ذلك الشيخ إبراهيم التجانى :

سلبتنى مليحة الحسن لبـى * وسبتنى بدلها و التأبـــــى**

و رمتنى إلى الغرام برمـــز * لو دعاه الحجار جاء يلبـــى**

ورمتنى جفونها بسهـــــام * قط ما أخطأت سويداء قلبى**

أيها الطلعة التى فتنتنـــــى * بجمال عن الحقيقة ينبـــــى**

فيك قد بعت راحتى بهنائى * وتخليت عن عدائى و صحبى**

و بعض الشعر يوصف بالأضطراب فى الوزن و القافية مع ضعف الصـــــــور والخيال و كثرة التكرار فى المعنى و اللفظ و خاصة عندما يكون الهدف الإنشاد فى شكل جماعى . و يؤرخ المنصوفة بعض الأحداث شعراً و عندما ظهر داء الفالـــــج فى (كتوى) فى بلاد سنار فى عهد الفونج أرسلوا للشيخ أحمد الطيب و فداً و أعطوه ثمانين أوقية من الذهب السنارى فرفضها ، وذهب معهم و عندما نظر

الشيخ إلى المريض شفى فى الحين كما تذكر الروايات . ثم أقام بينهم زمناً وعاد إلى أم مرح (٢)

و يذكر مريدوه هذه الحادثة و يقولون فى شأنه :

و فى كتوى تلك الكرامة قد بدت * كشمس الضحى و البدر عند تمامه**
و لاعجب إذ ذال ذاك بنظـــرة * من الطيب القطبى العلى مقـامـــه**
فكيف و ذا ممن يســـارع ربه * له فى مراضيه و نيل مرامـــــه**

و إشتهر مشايخ الطرق الصوفية بالشعر ومنهم الشيخ محمد الشريف نور الدائم وقال فى إجازة طريقته عند حجه و لقائه بالشيخ الحسن بن عبدةالكريم السمان فى المدينة :

و من فضل ربى حجتى وزيارتى * بمكة للقطب المولى على الأمـــر**
وواعدنى بالإجتماع بطيبـــــة * لأجل تمام الإذن فى عمل الخيـــر**
و لما أتيت زائراً سيدى النبـــى * وجدت الفتى البكرى يلمع مالـــدرر**
أبا الحسن السمان قطب زمانـــنا * ربيع لبان العلم ذا سند الذكـــــر**
فتمم لى ماكان قد وعدنى بـــه * وأوصانى بالتقوى و سلمنى الأمـــر**
فقمت به مأذون فى كل مذهـب * وفى الطرق السبع و فى مطلق الذكر**
وقد كان للسمان من قبل أخـذه * على البكرى أستاذ عن الطاهر الحبر**
ورقاه فى الإرشاد بالقادريـــــة * و بعد حضور البكرى سلم كالأمـــر**
و صار مريداً تابعاً لجنابـــــه * فكمله فى كل نهـــج من البـــــر**

و بهذا قد تحققت له الدعوة إلى التصوف لمن يريد من أى باب شاء و بأى طريقة يريد بشرط صحة العقائد و التقوى و يقول :

أذنت لأهل الحب فى كل بلدة بأذكار طيب القوم ذى السلك و الصبـــر
بشرط الأساس و العقائد و التقي و فاعل ذا مأذون فى العهد و الذكـــر
كما أننى مأذون فى كلما أتى به أحمد المختار من عمل الخيـــــــــر
عن القطب بن القوس أستاذنا السرى إمام المهدى بحر الندى سيد للبر
أبي وهو شيخى عن ابيه و شيخه عن العارف السمان عن المصطفى البكرى

و ألف كتابه المعروف بالأذكار مطابقة لرأيه الذى ورد فى الشعر و هذا مايدل على أن نفس الأفكا التى ترد فى الشعر يمكن أن تتم صيغتها نثراً .

و ألف محمد شريف نور الدائم ثلاثة مؤلفات أولها العنوان وهو عبارة عن مولد نبوى يشرح فيه حياة الرسول من الميلاده إلى إلتحاقه بالرفيق الأعلى وهو شبيه إلى حد كبير بالمولد العثمانى أو البرزنجى فى منهجه . و الثانية (الهداية الإلهية) و كتاب (الكؤس المترعة) و كتاب (الأذكار الطيبية) فى أوراد الطرق السبعة الجيلية ـ و مخطوطته الرائية التى يذكر فيها الثورة المهدية و موقفه منها . لم يكن له ديوان شعر خاص كما فعل باقى الشيوخ و أدرج شعره خلال الأذكار و يدور شعره حول الدعاء و التوسل و الشكر لله على ما أسداه إليه من نعم ، و إذالة المعوقات و يقول فى دعائه :

هدايتك اللهم نرجو بها الهـــــدى و عفوك عما كان فى كل ما مضـــــى
و صولى بها إليك ربى فجد به مع الستر فى الدارين و اللطف فى القضى
و ثبت بها قلبى على الدين و أعطنى من العلم مايكفنى كل مقتضـــــــــى
لأسلك طرق القوم فى الزهد و التقى وفى الذكر و الإرشاد يامن له القضـــا
و أجعل شراب الناس طـراً بنقطتي وصيرها لى بحراً يفيض على القضا
ومالى سوى نقلى لها و إجازتـــــى * عن الطيبين للمريد إذا قضـــــــــى**
و أيد بنا دين النبى محمـــــــــــد * ومناهجه الأقوى و سنته البيضاء**
وحطنى و أتباعى عن الشر كلـــــه * لنلقاك فى يوم القيامه بالرضـــــا**
عبيدك ياهو قد دعاك وراجيـــــــاً * نداك لكى تعفو له كل ما مضـــــى**
وتعطيهم المقصود فى كل مطـــلب * و بالفضل قل أن المراد قد إنقضـــى**

يطلب فى دعائه الهداية و العفو و ستر الله له فى الدارين و تثبيت قدمه على الدين كما يدعو بأن يرزقه الله العلم لأجل أن يسلك طريق المتصوفة فى ذهده و أرشاده للناس فتظهر لنا بعد شخصية الشيخ يتطلعها و عدم قبولها الأنقياد إلى

غيرها و اضحة عندما يطلب من الله إمداده بنقطة من المدد الروحى و يصيرها له بحراً و يجعل الناس كلهم محتاجين إليه و أن يكون هو الشافى .
الذى يفيض على الفضاء لما تكون له بحراً و يطلب إحاطة الله له . ولأتباعه حتى يحميه من الشر .
ويقول فى قصيدة أخرى :

و أنصرني يالله نصراً مـــؤزراً * على زمر الأعداء بالقهر و الحســـم**
و أمرنى يا مولاى بالعلم والتقى * مع العدل والانصاف للناس في الحكم**
والهمني يالله منك شهادتـــــي * بموت سوى لا بقتل ولاســـــــــــم**

يظهر واضحاً ان الشيخ ذو فقة ليس يمتد بعيداً عن احداث عصرة ومشاكله وتقلباته فله فيها الضلع الاكبر والرسالة السامية التي اوقف نفسه عليها فان له من الاعداء زمراً وله احباب ومريدوه يطلب الحسم والقهر للاعداء والتقدم والانصاف للاحباب وانهم في قوة شوكتهم ارادوا ان يقتلوه فربط اعدائه بالخلاص منهم وان ينصره الله عليهم وان ينصره الله نصراً مؤزراً على اعدائه الذين يحكمون البلاد وهم اتباع الثورة المهديه .

كما طلب من الله العلي العظيم العلم والتقوى وهذا الطلب تابع من كثرة دعوته له وهو يعبر عن شخصيته فيها ـ واذا رآينا ان محمد شريف كان يترقب فشل الثورة المهدية ورجوع الحكم اليه باعتباره الجانب المعارض له فان طلبه في دعوته هذه ((مع العدل والانصاف للناس في الحكم))

وسأل الله عن مآربه قائلاً :ـ

وآسآلك اللهم تقضي حوائجـــي سريعاً وان كانت على البعد كالنجـــم
وماجاء في الاذكار ذاك مطالـبي وذدني مزيداً ما آ حاط به علمـــــي
ماذا المريد الذي يسلك النـــــدى وجودك فياضي على الناس كالـــيـــم

ايا خالقي من نقطة بشريـــــــة ويارازقي مذ كنت في باطـــن الام

فلا ارتجي علماً ولا عملاً يقـــي سوى حسن ظني بالكريم الذي يحمي

واحياناً يتوسل شيوخ الطريقة السمانية واصولها وفروعها كما ذكر ذلك . ويبدأ هذا التوسل بطريقه شبيهته بتوسل الشيخ محمد عبدالكريم السماني في توسله المشهود عندهم ((بجالية الكرب)) والذي مطلع

الله يا الله ياالله ياملجأ القاصد يانوثاه

وذكر انه قد توسل شيوخ السمانيه وقد بدأه في دور تسلسلى فيتوسل بالرسول وكبار الصحابه وكبار علماء المسلين وأوليائهم كما ذكر آوليا وذكر اولياء السودان قائلاً.

مصطفى البكري رفيع القدر بحر البحور في اصول السـير

من قد سقى محمد السمانـــي القادري البكري الرشيد الداني

وهو سقى الطيب هاد الناس القرشي الهاشمي العـــــباسي

وهو الولى الغوث عظيـــم الشأن مولى عموم بلد السودان

فهو تجول على الاولياء منذ ظهورهم حتى عهد يردد اسم كل واحد منهم فهم يشبهون بالسلسة بمضى قوة الترابط في حلقات كل حلقة تؤدى إلى غيرها وقد يطوف السند الذي يذكره الشيخ في عدد من البلدات الاسلامية وغير الاسلامية من التي بها اقليات اسلامية بدآت في تعدادهم لان التصوف يختصر للزمان والمكان باعتبار التوسل عندهم علاقة روحية متجدده .

ويقول حينما كان معتقلاً قبل انهزام الثورة المهدية :

نشكو اليك الظلم منهم والالم يارب فاضربهم باصوات النغم

بيدك اليمنى على رؤوســـهم في حركاتهم وفي جلوسهـــــم

وفي قلوبهم وفي أجسادهـــم وفي امولهم وفي اولادهـــــم

حتى يكونوا عبره للنـــــادى كقوم موسى وقوم عـــــــاد

ولم يصرح في هذه القصيدة باعدائه الحقيقي ويشكو دائماً من الاعداء ـ ويقول

يا إله انت راعي حالي من كيد الاعـادي

يا إله قد ظلمت ظلم مقلوب ينـــــــادي

فارادوا يقتلوني انصرني يارب العبـادي

يا إله نجني واخزهم كخزي عـــــــاد

واعطني منك الهدى والرضا يوم التنادي

ومايدل على ان العلماء الذين كتبوا النثر هم الذين كتبوا الشعر ايضاً وذلك مايقوله الشيخ محمد شريف شعراً اورده نثراً في قوله .

قال في النثر ((إن محمد أحمد المتمهدي الدنقلاوي الحناقي ـ قد كان تلميذي وتابعي في طريق الارشاد وخادمى في كل ما هو لازم عشرون سنة ولما سلك طريق السير وظهرت له معالم الخير وشم منه رائحة نفحات الذكر تجبر وتكبر بتزبن شياطين الآنس والجن ، وكذا شدة الفقر ومداوة التعس فادعا دعواة الشيطانية وخالف امرى وخرج من يدي بالكلية .

والمخطوطة كلها رد على دعوى المهدية وتقند لحجتها باعتبارها دعوة شيطانية ليست لاصلاح الدين ولا الدنيا واعتبر ذلك من باب العمل الدين في هداية الناس وارشادهم إلى الفكر السليم والعمل القويم وتبرئة نفسه في الاخرة .

ويقول في ذلك شعراً:

إلى الله ناصحت العباد بما أرى وبينتها في الرسم بالنثر والشـــعر

لئلا احاسب او ألام بكتمـــــها لاني أرى ما لاترون من الامـــــر

ذلك صندوق ومافيه من يـــدي ومفتاخه عندي ولم يدره غـــيري

وان لم اجاهر بالتضحية اننـــي كمن يبصر الاعماء سقط في البئـــر

وحاشا وكلا ان اكون كمـــــثله واي منزل الآجلاء في دولة الغيـــر

وطبيعي ان يحدد الاستاذ علاقته بتلميذه وان تآبى نفسه اطاعته بعد وصفه في المدينة الثانية بالنسبة للمهدي وطبيعي ايضاً ان يلجأ إلى ل\الطرف الثانى ويؤيد

الحكومة على محمد أحمد و أن يحجم عن بدايتها و أن يقول أنه صاحب الفكرة فيها و أن يسدى بالنصائح للخروج عليها بإعتباره العالم بحقائق الأشياء فيها فالنصيحة نصيحة مدرك ينتصر كما يرى للحق و تمحو ضلال المفسدين للشرع وتؤيد أصحاب السلطة الرسمية المتمثلة فى الحكم التركى وصور إنقياد المهدى لـــــــه و خدمته له فى قوله :

لقد جاءنى فى عام زع لموضع على جبل السلطان فى شاطئ البحـــــــر
يروم السراط المستقيم على يدى فبايعته عهداً على النهى و الأمـــــــر
فقام على نهج الهداية مخلصـــــاً و قد لازم الأذكار فى السر و الجهـــــر
وأفرغ فى نهج المحامد جهـــــده فرقيته جهلاً بعاقبة الأمـــــــــــر
كطحنى و عوس و إحتطاب وغيره و يعطى عطا من لا يخاف على الفقــر
وكم صام و كم صلى وكم قام وكـــم تلا من الله مازالت مدامعه تجـــــرى
وكم بوضوء الليل كبر للضحـــــى وكم ختم القرآن فى سنة الوتـــــــــر
وكان لدنيا خيرة صداقتـــــــــنا و خدمنا عشرين عام من العمـــــــــر

لم يستطع نفى مكارم أخلاق الأمام المهدى على الرغم من معارضته لـــــــــه و الإطناب فى المدح يبدو لنا فيه بعد نظرو التروى و التريث و شئ من الدهاء أضعاف ما فيه من الإعتراف بالواقع . فقد كان يمكن له ألايذكر هذه المحاسن فيه قبل دعوة المهدية و أن يهاجمه فى غمرة غضبه و لكن آثر أن يذكر هذه الحاسن ليلقى بها الضوء على نفسية أتباع المهدى و يأخذ بلب رجل الشارع مصوراً نفسه بالرجل الصدوق و فى هذا إيماء نفسى و إنعكاس يحاول أن يلقى به اللوم على المهدى .

وقال أيضاً :

إلى الخمس و النسعين أدركه القضا على مامعنى فى سابق العلم بالشـر
يصحبه شيطان من الجن آيـــــس و شيطان إنس وافقاه على الضـــر
ولا تنسى داعى الإحتياج فثالـــــث فكم ساقط فى الشر من ألم الفقـــــر

فقال أنا المهدى فقلت له إستقـــم فهذا مقام فى الطريق لمن يـــدرى

و خادعنى بالقول كالمهدى أبنكـــم ومحسوبكم فى الحب فى عالم الـــذر

فقم بى لنصر الدين نقتل من عصـــى فأنت لك الكرسي ولي دولة الغيـــر

فقـــلت له دع مـــــــا نويـــــت فإنــه وتالله شـر قد يجـر إلي خســر

و قال له الشيطان بشر ولا تخـــف فإنك منصور على البر و البحـــــر

نرى تصديقه و أيمانه بالمهدية و أنها موجودة فى الدين و ثابتة فيه و لكنها مقام عالى لا يدركه إلا الواصلون إلى المقامات العاليه فى التصوف . و لكن هذا الشرط نفسه طعن فى درجة محمد أحمد التى لا تؤهله لأن يكون مهدياً و هذا حكم أستاذه عليه و لقد عبر عما و صل إليه محمد أحمد فى طريق التصوف بقوله:

لما سلك طريق السير وظهرت له معالم الخير و شم رائحة نفحات الذكر تجبر و تكبر بتزين شياطين الأنس و الجن و كذا شدة الفقر و مدارة العسر فإدعى دعواه الشيطانية و خالف أمرى و خرج من يديه بالكليه .

وأحال أسباب قيام محمد أحمد بثورته إلى ثلاث عوامل أولاً مضى فى سايق العلم الأزلى بأنه رجل شرير فقام بعمله هذا تنفيذاً لما قدر ثانياً صحبة شياطين الأنس و الجن دفعوه على أن يقوم بما قام به قد ذكر سبباً ثالثاً وهو ما يمكن أن يعول عليه و يؤدى إلى كثرة الثورات بل هو عامل أساسى فى أغلبها وهو داعى الحاجة و الفقر التى كان يعيش فيها السودان.

و مما يؤيد ذلك ورود الكثير من الآثار الأدبية فى القرن التاسع عشر عند إشتداد و الضيق و إزدياد الكبت على الناس الذين رأوا لا خلاص لهم إلا بواسطة المهدى المنتظر فيشيعون أن المهدى على وشك الظهور تسلسة لأنفسهم و أملاً يجترونه ليكون لهم سلوى مما يعانون فهذا سليمان الصغير من شعراء العراق يقول عندما إشتد الضيق بهم إستحث المهدى المنتظر على الخروج لتخليص العراق مما يعانيه و قال :

كذب الزمان بزعمه لم ألق مخـــــــــــرج

فالقائم المهدى عنى كل ضيق فيه يفـــــــرج

يا أبن النبى و منابه صبح الهداية قد تبلـــــج

فلأنت أعلم أننـــى لك من جميع الناس أحــوج (١)

وصور محمد شريف نفسه الضيق الذى عاناه أهل السودان من الحكم التركى

وما أبت السودان حكم حكومـــــة * إلى أن أتى ضعفى المطاليب من مـصر

كالثلث و التثليث للميرى وحـــــده * والشيخ و النظار أضعافه فـــــــادر

يضرب شديد ثم كتف مؤـــــــلم * ومن بعده للألقاء فى الشمس و الحـــر

وأوتاد ذى الأوتاد من بعض فعلهم * وأشنع من ذا كله عمل الهـــــــــر

ويلعن دين المسلم فى أقل مـــــا * يكون ولو فى الماء من ساحل البحـــر

وهذه الأبيات تسوقنا إلى موقف جديد كل الجدة إذ بترها نعوم شقير عندما أوردها فجعلنا نشك فى أن محمد شريف كان يعارض المهدى بهذه الصورة و يعارض الأتراك بما قال فيهم من الأبيات السابقة ففى أى إتجاه يقف محمد شريف إذاً . بعد هذا لم يبقى له إلا الوقوف مع الإنجليز الذين يريدون الإستيلاء على أملاك الخلافة العثمانية و إحلالهم محلها و لكن المخطوطة قدأنارت هذه الزاوية و ثبت مايثار من شك فى هذا الصدد إذ يورد محمد شريف عقب هذه الأبيات مباشرة تأيده للخلافة العثمانية و لسلطانها خليفة المسلمين بجانب حملته على الولاة الأتراك فى السودان و يقول :

ولم يعلم السلطان ماهو كائـــــن ولا والينا هذا المقيم فى مصـــر

ومعلوم عند المسلمين و غيـــرهم عدالة مولانا ووالية فى الأمـــــر

و إن عين الوالى إلى البر وحاكماً يعاهده عهداً على العدل فى البحر

فيترك العهد الوالى عند وداعـــه ويأتى بجمع المال بالظلم و الجور

---

(١)شعراء القرى و النجعيات ج ٣ ص ٢٢ ـ بغداد ١٩٥٤معلى الخاقانى

ومع إستبشار الشيخ بهزيمة المهدى بجيش عبد الحميد فإن الشيخ قد أدرك أن القيادة التركية المستعينه بأمثال غردون سوف لا يكتب لها النصر لأنها ضعيفة ووجودها يزيد من حساسية المواطنين ضد الحكومة و سوف يساعد ذلك محمد أحمد على زيادة إنتصاراته و مكاسبه الثورية و يتفاقم الخطر . إذن لابد من وجود شخصية قيادية تفوقه فى العلم و التصوف رشيدة متفقهة لشخصية السودان تكون بيدها قيادة الجيش و بذلك سوف تهتز ثقة الجماهير فى محمد أحمد و يسهل الأنتصار عليه .ومن تكون هذه الشخصية سوى محمد شريف نفسه ومن أولى منه بهذه القيادة . و خطى من ذلك خطوات فكتب بهذا الرأى إلى والى مصر والى الخليفة العثمانى لعله يستجيب له فى إجابة هذا الطلب لتحقيق النصر فى تكاليف قليلة .

وقد ضقت ذرعاً من خطوب وشدة كتبت الى مصـــــــــــــر

ليعلم واليها شؤنى و مابدى من الدنقلى و المفسدين أولى الشر

وإنى لأرجو أن أكون أنا لها بأمر من الوالـي ومن ملك القصـــر

ودا حوار بين علاء الدين باشا ومحمد شريف فى تولى قيادة الجيش لمحمد شريف و معاونة الحكومة بكل إمكانياتها له حتى يستطيع كسب الجولة التى عجزت عنها الحكومة و حتى تتحول المعركة من حرب بين الإسلام و الكفر كما أعلن عنها المهدى إلى حرب بين تلميذ خرج على شيخه فتأخذ المعركة شكلاً صوفياً عند الجانبين يستخدمون سلاحاً واحداً تسند محمد شريف حكومة منظمة فكان من الممكن إنتصاره كما يرى .

ومن شعراء الصوفية الشيخ عبد المحمود ود نور الدائم ولد بقرية ود رملى عام ١٢٦١هـ ـ ١٨٤٥م و غادرها فى صباه الباكر إلى قرية(أم مرح) ولقد أشاد بقريته الأولى فى شعره وحن إليها كثيراً عندما رحل منها و قال :

أسفى عليها فى الزمان و أننـــــى لا زلت أذكرها بدمع فائـــــــــض

دار ثراها كان موطن والـــــــدى و الجد من فى الفيض كان كعارض

ولم أنسها مادمت حياً فى الدنـــيا و لمن بها كانوا بحبى فارضـــــى

وجبالعا ورياحها و مياهـــــــها ولعهدها قلبى فليس بناقضـــــى

هى مرتعى كانت وروض نزهاتى هى دار آبائى وخصم معـــــارض

قد فرق الدهرالمفرق بيننـــــــا و الحكم لله الرفيع الخافـــــــض

يفتخر بجده الصوفى الشيخ الطيب و أنه من ذرية العباس بن عبد المطلب و يربط بينها بالنسب فى قوله :

نحن كرام بنو العباس هل أحـد لنا يفاخر فى عرب و فى عجـــــم

أيضاً و آل رسول الله أفضل من يمشى على الأرض بين الناس بالقدم

أهل الكساء فمنا فالفخار لنـــا بهم و أحمد و العباس جدهـــــــم

كذالك حمزة ليث الله خير فتـــى بين الكتئب يوم الضرب كالعلـــــــم

و يروى فى سبيل هذا التفاخر أن الحضرة النبوية أجتمعت على زوال السودان و إبادته فإستشفع فى ذلك جده الشيخ أحمد الطيب هو منقذ السودان من الهلاك وقد ورد ذكرهذا فى مناسبات مختلفة من مؤلفاتهم و يقول :

لولا حمايته السودان أجمعهم صاروا بتصريف أهل الله فى عدم

قد قالوا مجذوب الفؤادإلـــى حضائر القرب رب الكشف و الهمم

ولامخافة مولانا بـذاك و ذا قلنا لنا الدهر عبد مدة الـــــــدوم

وليس سبب لهذا الرأى و لكنه من قبيل الشطح الصوفى وما يتصل به من حضرات و لكنه يرجع أحياناً إلى إفتخاره بالنسب القبلى ليفخر بنسب القوى و العمل الصالح الذى هو خير نسب .

و نسب المحبة و التقى خير نسب وبه فيرقى المرء أوجاب الـرتب

وسواه لم ينفع لدى يوم القضـــا شخصاً به متمسكاً و له أحـــب

أنظر إلى سليمان ذاك الفارســـى مع النسب بن العظام أبى لهـب

فلذاك جنات النعيم بلا إمتـــــرا ولذا فنار ذات حرٍ و لهـــــب (١)

و ذهب خلال تنقله للعلم للشيخ القرشود الزين وهو من شيوخ الطريقة السمانية و كان تلميذاً للشيخ أحمد الطيب البشير فأخذ عليه عبد المحمود تعاليم الطريقة السمانية بسندها و أجازه عليها .

ثم إستقر به المقام بعد أن أخذ إجازة الطريقة بواسطة شيخه القرشى منقطعاً إلى العبادة فى قرية (أم طرقاية) وتزوج .

وله مؤلفات تربو على الثمانين مؤلف معظمها مؤلفاً في التصوف، وله مؤلفات في فنون اخرى كمخطوطته في النحو في شكل أرجوزة وهى اللؤلؤة في نشر ((علم الملة العظم)) وكتاب لباب القارئ)) في التوحيد و((روض الانهر)) منظومة في التوحيد على المزهب الاشعري واله في الرحلات ((الدرة الثمينة في اخبار ومكة والمدينة)) وهي عبارة عن قصة يصف فيها ما صادفه اثناء سفره للحج عام ١٣٢١ـــــ ١٩٠٣م. من قمريته طابت إلى دخوله المدينة ـ وهذا ماينى الربتاطه الوثيق بالنثر العربي .

وفي التصوف ركز حياته حول التآليف والكتابة فيه اكثر من غيره من العلوم ، وله فيه منظومات كثيرة في التوسل مثل منظومته في المخطوطه في ((الطريق القادري والخلوتي)) وكتب في مناقب وتاريخ الطرق الصوفيه واهمها كتاب ((ازاهير الرياض))الذي ترجم فيه لحياة الشيخ احمد الطيب البشير ، وكتابه الكؤوس المترعة في مناقب السادة الاربعة))كما ان له مولداً نبوياً اسمه ((رياض الخيرات)) يتلي ليلة الاثنين والجمعة من كل اسبوع على قرار المولد البرزيخي والعثماني ولا هتمام الناس به شرحه محمد على البشير وله في الشعر الصوفي ديوانان ((شرب الكآس)) والروض البهيج .

---

(١) شرب الكأس ـ عبد المحمود نور الدائم

ومن هذه المقدمة عن الشيخ عبد المحمود نور الدائم كان ادبياً وقاصاً وهذا ما يرمي له الباحث في الوقوف على علاقة النثر بالشعر في هذه الفترة .

واضافة إلى ثقل اللسان وتهذيب اللغة والاسلوب القصصي المتبع في الشعر والمنظوم في القوافي والمصنوع شعراً كتب علماء الصوفيه نثراً بديعاً فا متزج الشعر بالنثر في زمن واحد خاصة في كتب المولد النبوي الشريف ويذكر شيوخه في شعره قائلاً .

من القرشي المرشد العارف الواصل طريقتنا يامن بها في الورى جـــاهل

ولكن ارشادي وصبغ حقيقـــتي من الطيب الاستاذ سحب الندى الهاطل

وتصوف على السمانية كما هي عند جده الشيخ الطيب البشير قائلاً .

طريقتنا تعزى لقطبى المشـــايخ محمد السمان شأو الـــبوازخ

إلى الاوحد الجيلاني بحر رجالـــها وطودا علوم في الحقائق راسخ

ويصف مكانة الطريقة وما تمتاز بها ليجعل الناس يلتفتون حولها واضاف لذلك من الجرس الصوفي والقافيه الشاذة ما يفيض على جو القصيدة نوعاً من انتباه القارئ وشدة إلى موضوعه ويكرر الدعوة إلى الاخذ بالطريقة السمانية .

على منهج السمان لازلت انني ومشورتي في الناس ان يتسمنـوا

فلله من نهج إلى الله موصـــل به القوم في السر المصون تكمنوا

به كم مريداً نال عزاً ومفخراً به كم أناس في العلوم تفنـــــنوا

ويعد شيوخ الطريقة ويفتخر بهم مثل عبدالقادر الجيلاني ومصطفى بن كمال البكري ومحمد عبد الكريم السمان .

وهم اهل سلسة وأهل طريقتـي من تشرفوا لي في الذنيا بخلائع

حمداً لربي في الزمان بحبهـــم فيما معنى من عمرنا ومضارع

كالجيلي والسمان سادات الورى والبكري ثم الطيب المتواضـــع

فهم القلائد والفرائد والموائـــد والفوائد للمريد الطـــــائع

قد عنعنوا لطريقنا حتى لقـــــد وصلت لخير الانبياء الرافـــع

واستطاع ان يتجنب الخصام الذي ساد المتصوفة قبل المهدي .

ويقول فى فى المتصوفة الذين ركزوا جهدهم فى جمع المال :

برزتمو بجهالات منوعـــــــــة للخلق تدعوا بالجهل الســـــــــــبب

أحوالكم كوام الناس و يحكـــــــم للجاه و المال لا لله فى الحقـــــــــب

لا علم عندكم يحلو لسامعـــــــــه لا ذوق لا نظرة تهدى إلى قـــــــرب

لا صدق لا شوق فى المولى ولا أدب ولا ورع ولا زهد ولا إخلاص فى الطـلب

لا شيخ نلتم به فتحاً و معرفـــــــة ولا سلوكاً مع وجد على تعـــــــــب

لا خير فيكم ولا فى التابعين لكـــــم من البرية من العجم و من عـــــــرب

يربط بين العلم و التصوف فى قوله :

ومن يدعى وصلاً بغير شريعة فذاك هو الذنديق بين الخلائـــــق

فلا تقبلوا حال إمرئ متباعـــد عن الشرع فى قول وفعل خـــلائقي

ولو بعض الناس لقبوه بذورهم بقطب و أستاذ و شيخ طـــــرائق

وعبد المحمود يجمع بين علم الظاهر و الباطن أو لا يرى حرجاً بين هذا الجمع وهو رأى صوفى متعارف عليه عند قدماء الصوفية و متأخريهم و لكنهم لا يرون التعارض بين الظاهر و الباطن. ولاينبغى عندهم أن يؤدى علم الباطن إلى آراء تتناقض مع ظاهر الشرع وقد كان هذا معنى التصوف عند القدماء عندما قال السرى أن التصوف ثلاثة معان ، هو الذى لا يطفئ نور معرفته نور ورعـــــه وايتكلم بباطن فى علم ينقصه عليه ظاهر الكتاب و السنه ، و لاتحمله الكرامات على هتك أسرار محارم الله .

ليس علم الظاهر بمقابل علم الباطن و إنما مكمل له و بعض الأحداث التى جرت بين الصوفية و تابعيهم و بين العلماء أضعفت الكثير من الثقة بينهم و صارت العلاقة بينهما فى مد و جزر وفى تطور و ضعف حسب إتجاهات الثقافة .

و إختلف الشيخ عبد المحمود مع العلماء الذين يأخذون بالتصوف و يطعنون فى أصحابه و يفتون بعلمهم مايوافق هواهم .

ويوهم أن النص قد جاء مؤيداً لأحواله أدخاله السئ النكـــــــر

ولو طلب الإفتاء على أحد لـه كأحواله مال لبادر بالكفـــــــــر

و أعجب من هذا إمالة قلبـــه إلى طاعن فى أهل الطريقة و الذكر

و بعد ظهور المهدية حضر الإمام المهدى فى جماعة من مريديه و تلاميذه و إستبشر المهدى خيراً بقدومه لمعرفته به و ذكر إبنه الشيخ الجيلى عبد المحمود أن المهدى أصدر منشوراً من منشوراته مشيداً بمكانته بل لقد آمن المهدى أن عمله يتم طالما يؤيده الشيخ عبد المحمود . (١)

و إضافة لذلك أن المهدى نفسه كان سمانياً تربى فى حجورهم . إختلف مع شيخه محمد شريف فأخذ الطريقة مرة أخرى على يد الشيخ القرشى ود الذين و عبد المحمود تلميذه فزادت لهذا قوة العلاقة بينهما .

ومع قدوم عبد المحمود إليه و ترحيب المهدى به فقد وقف شيخنا من فكرة المهدية موقفاً سلبياً فلم يعرف بين الأنصار نصيراً له سماتهم وزيهم و لم يعرف عدواً مجاهراً بالعداوة مع الإحترام لشخصيتة المهدى .

تأزمت الأزمة بينه و بين الخليفة عبد الله فيما سعى بعض الناس بالوشاية بأنه منكراً لأمر المهدية و بأنه يدعو للبيعة لنفسه ليكون خليفة المهدى فإستدعاه و أمر بضربه ألفى جلده بالسوط و يقول فى ذلك :

فرشوا القضاة كأزرق و أصحابه ليعجـــلوا بالحكم فيه بقتله

فسجنت ثم ضربت ألفين بلا مين بأسواط بحضرة أمـــــــــــه

و المسلمون جميعهم لـــما رأوا هذا بالأعين الرأســـــــــــية

---

(١) مخطوطة نفحة الزهور البواسم ـ الشيخ الجيلى عبد المحمود

و تعجبوا من ذلك الفعل الـــذى عنه تبرع شرع أحمد ذخرتـــــى

وسوى الغنيمه نحو إنكار لقـــد نسبوه لى فى سرهم مع جهـــرة

و خليفة الأهوا يحرضهم علـــى ضربى كأنه تابع لشريـــــعة

بمقالة قضبية جهلـــــــية ياويله منها غداً فى أخـــــرة

من غير تلك فكم وقائع قد بـدت من تلك أعدائى لقصد أذيـــــة

كمثال قولهم لذاك خليفة الأهـواء بأنى قد برزت لبيعـــــــة

من بعدها قد سلط الله علـــــى كذاك أهل قرابتى و محبتـــــى

و كذاك قد كتبوا لأقوال لـــــها نتن ففاحت ريحها فى البـــــلدة

فى حقنا لهلاكنا و دمارنـــــا و شتاتا و خراب هذى محـــــلتى

مضمون قولهم بأنى قد عصـــيت الحاكمين و عظموا للفتنـــــــة

و أعتبر أصحاب الشيخ أن تحمله لألفى سوط هى عبارة عن كرامة و إتخذت كدليل على بطلان الثورة المهدية . يقولون أن الأولياء فى الحضرة النبوية قد إجتمعوا عليه ساعة الضرب و أخذ كل واحد منهم لنفسه هذا الضرب . فنال عبد المحمود سوطاً واحداً من هذا الضرب إسهاماً منه فى تحمل الفتنة التى تعرض إليها و عبر عن هذا بقوله :-

حضرت الحكم الآلهي فلم يؤثر منربهم فيخوت منه نبيتى

لكن أهل الله قد حضـــــروا فيا الله درهموا أهيل الهمة

ويرئية محمد سعيد العباس ويذكر الحارث في قوله .

حين عم السودان شر فعاني حكم وألٍ من الطغاة عنـــــــيد

ورجال من رهطه قـد تردوا جلدة الحر في خصال العـــــبيد

ما سمعنا بمثلهم منذ كـــــنا غير عاد الآولى وغير ثمـــــود

وقال قاضيهم اضربوا الشيخ الفا ضرب ذي قوة وبآس شديـــد

لابحكم من الكتاب ولكـــــن كان راياً وكان غير سديـــــــد

فجثا ثم قال ياقوم زيـــــدوا فوق هذا وياشدائد زيـــــــدي

إن ربي هو اللطيف تعالـــــوا فاشهدوا لطف ربي العزيز الحميد

لم يبن من سياظهم وهي الفا ياخليلي غير سوط وحيـــــــد

يالها من كرامة لولـــــــى لم تفته كرامة الصنـــــــــديد

واذا كانت الضربات الفاً او الفين تركت اثراً ظاهراً لمجاهرته بالعداء ، وتركت التهم التي وجهت إليه في نفسه أثراً واضحاً تشهد به كثرة ترداده لها كثير من المناسبات في مؤلفاته النثرية والشعرية وظهرت منها نتائج بارزه اهمها .

اعلانه الصريح لخصومة الثورة المهدية واتهمها بمخالفة الاسلام فيرى ان منشواتهم التي تحوى اوامر المهدية هي عندهم خير مما ورد عند العلماني والصالحين ويقول .

ولهم علامات فهاكم ياخـــــتى قد احدثتها انفس ملئـــت درن

رد النصوص وبعضهم لآولى النص من عالم من صالح من مؤتمـــن

بل حلمهم في نومهم خيرٌ لـــــهم مما روى عن سيد الدنيا نـــص

لانص عندهم على اعمالـــــــهم وعلى عقائدهم بمنزل او سنـــن

فاذا سالتهم عن الامر الـــــذي فيه اجابوا بالجراءة والفـــتن

ان قلت قال الله قالوا رسولـــــه غضوا لذلك واظهروا سوء الحزن

وشنند في حدة عقبه على الوضع القائم وانكر وجود الاصدقاء ويرى انهم سبب كل بلية فالذين واشوا به عند الخليفة كانوا يظهرون له الود والاخاء.

لاتتخذ ابداً صديقاً في الزمـــن هذا ولو قيل انه مؤتمـــن

عدم الصديق ومن يرى غير الذي قد قلته فهو البليد المفتـــن

فسد الزمان وصار اكثر أهلـــه في بدعة ونميمه حسد احن

اتخذ موقف من الاصدقاء حذر منهم وعدم الثقة فيهم ولهذا رآى ضرورة العزله والانقطاع عن الناس والظاهر انه اكتسب نتيجة لهذه التجربه شيئا من العمق الصوفي اذيرى ان هؤلاء الناس ويجب للجمل بالصبر ويقول .

واصبر على كل بلية ضربه جاءتك من رب العباد لحكمـــــة

لاتشهدن مجيئها من غيـــره فتكون ذا شرك قليل هدايـــــــة

ان السموى كلا مظاهر التـي منها فاحكام الآله بتـــــــــدت

من كان يشهد انما ياتيه مـن خير وشر في ضحى وعشـــيه

من غيره عند الرجال فانــه محجوب قلب عن شهود الحضرة

بنظرة صوفيه هي ان الفاعل الحقيقي لكل الاشياء والمتصرف هو الله دون النظر إلى الاسباب والمسببات ويتخذ من المتصوفة الذين لحقهم من حكامهم الاذى اسوة حسنة في تحمل المحن والبلايا وسيدهم مثل اي منصور الحلاج وابن الفارض والشعراني والنابلسي ، ومصطفى البكري والسمان ، والشيخ الطيب وقال في ذلك.

فا لكل منهم نال من نوع البلـــا مالو على هذى الجبال دركت

مابين مقتول كذا ومعـــــــزب في سجن جبار قليل مـــروءة

ومكفر بنصوص من تسبوا إلـى علم الشريعة في البلاد وبلدتي

والبعض يشتم في المجالس جهرة من بين حساق وأهل نوايـــة

والتيار المضاد للمهدية يعتبرها انتكاساً للتصوف واضاق له ولاشك ان نظرته هذه نظره صوفيه تقليدية ترى الفساد فلا تقدم على اصلاه وكل همها اصلاح نفسها بالرياضة الروحية الفردية ومن هنا ظهر الخلاف بينها واضحاً ولم يتعاون مع الجهات الرسمية التي تحارب الثورة ونما اكتفى بان يكون في مسجده يلتمس حال نفسه بالذكر والعبادة ولم تشر المراجع التاريخية إلى موقفه هذا .

وسير في بعض الشعر على نمط الغزل والنسبب وهو كثير عنده فقد تغزل بليلى وسلمى وسعده رامزاً عن حبه بشئ من المبالغة وعدم الواقعية :-

محياك ليلى بدور طوالـــــــع وإني له صحواً وسكراً اطالـــــــع

ملكتي فؤادي بالغرام ومدمعـــي على الخد ضافي وشوقـــــك لازع

فوجهت وجهي في الزمان جميعة إليه بقلب وهو للغير خاـــــــــلع

ارى من يرى في الناس غـــيرك قتله يجوز كما قد اوضحته الشرائــع

فانت مني قلب المحبين كلهـــــم إليك جميعاً بالمحبه سارعـــــــوا

وآنت جمال الكون والكون كلـــه لامرك منقاد لحكمك طائـــــــــع

وآنت ضياء القلبي مني ومهجتي وحصني إذا ما أمنى من يقـــــارع

حديث قرامي فيك لازال شائعـاً به لى من بين المحبين شـــــارع

عشقتك مذ قد كنت طفلاً وآننـي لذالك اهوى في وصالك طامـــــع

بعيد ولكني قريب بحالـــــــة بها سكر الماضي كذال المضـــارع

فآصل وفرع بل واني سواهـــا وسر وجهر بل ومتبوع تابـــــع

وهي وميت بل واني سواهمـــا ظلام ونور والنصوص قواطـــــع

وحر وبرد بل واني سواهمـــــا وجدب وغيث وهو في الارض هامع

ويتضح انه لم يقصد بتعبيره حبه لربه وما انتاب قلبه في سبيل هذا الهوى . من الانفعالات والمشاعر تلك الالفاظ التي يستخدمها شعراء الحب الحسن في الحديث عن الغرام والعشق ـ بل نراه استخدم تعبيراً لايكاد يفهم منه غرضه في شئ من التحديد والمناقضة في ابياته الاخيره .

واشتهر بالحب الآلهي وصور في شرحه شهد الافادة عن راتب السعادة للشيخ أحمد الطيب تحله الله للقلب الصوفي عندما تدار عليه الخمر الآلهيه .

إذا ماتجلى الله بالفعل للقلب ودار علينا الكآس في حضرة الشرب

فلم نرى للآغيار فعلاً وآننا من العزل لاتخشى ولو شبين بالسب

فنينا به عنه فناء احيـــه ترقوا إلى اوج الغاية والقـــــرب

والتجلي بالشراب الآلهي هي مرحلة الغناء الصوفي الذي لايشاهد فيها موجوداً معه سوى الله وهي اسمى درحات الحب .

ويذكر الخمر وسقاتها من شيوخه في الطريق وانهم تداولوا هذه الخمر من الذات الآلهي بواسطة جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم منه بواسطة سيدنا على ثم يتسلسل بهذا لآخر شيوخه في السمانية قائلاً :-

شرب المحبة من ألست اديـــرا به الآولى قد نالت التوقيـــــرا
فقدو سكارى غائبين عن السوى ليشهود من اهدى النهي التنويرا
هذا سقى قطب الحضائر طيـــب الاطياب بحر شرابنا المجـــسوراً
نجل البشير فياله من كامـــــل أسقى البرية منجداً ومغيـــــراً

ويجمع الغزل بين ليلى والخمر في قوله .

غزت ليلى قلوب العاشقـنا يجند لحاظها غزواً مبيناً
تمت احوالهم في الحب ليلى لغيرها لم يكونوا راغبينا
وتمت نعمة المولى عليـــهم بها رقصوا وغنوا ذاهلينا
فيا لله من كآس اضـــاءت بها احشاء كل الشاربينـــا

وايضاً له شعر تسوده نعمة الشوق إلى الذات الآلهية في قوله .

اموه عنكم بالضر قـــــــولاً وانتم مقصدى في كل قـــول
فاوهم عازلى واتقلب قصـــــي عن المنعى الذي ادى لعزلـــى
فاذا نظرت لغير ذاتك نظـــــرة حمكت على حقيقي يرجوعنى
وآرى القيامة وهي قد قامت على بكيت ولم تنفع اذاك دموعـــى

وقال عبد المحمود

ظهرت شمس في البرية ساطع بانوار اسرار لها الدهر والع
وقلبي في الحسن البديع مطالع وعلى باسرار الوجود مطالع

وفي اخريات الثورة المهدية ظهر شاعران صوفيان هما الشاعر قريب الله اباصالح ومحمد سعيد العباسي .

ولد قريب الله باصاع بام مرح ١٢٨٣هـ ــ ١٧٦٦م على فنها في النيل الازرق شمال الخرطوم والده ابن الشيخ الطيب وهو عابد ذاهد موقل في ذهده مقيم بام مرح وعدم اتصاله بالحكم انزاك مع عدم قرضة الشعر إلى جانب استقراه في قرية ام مرح كان سبباً في عدم شهرته ومات والده وترك له خلوة لتدريس القرآن وبعد موت اخيه الاكبر رحل إلى قرية الجيلي حيث يوجد بها خاله احمد ابو قرين وهناك اتم حفظ القرآن ولصلة القربى بينه وبين الشيخ عبد المحمود نور الدائم اخذ عليه تعاليم الطريقة السمانية بسندها يقول :(ولقننى " أعنى سيدى الشيخ عبد المحمود " هذا الطريق سنة (١٣١٩هـ) و كتب لى السند بخط نجله سيدى الشيخ المبارك و أجازنى فى أورادها و أمرنى أن أجيز على ذلك طريقة الأنفاس و ومريداً لله تعالى الشكر) وبعد غيبته فى الحجاز ثلاثة سنوات أرسل له عبد المحمود خطاباً جاء فيه ((أعلم أنه ليس لى سواك أرتجيه لأنك قد قفوت أثر الجد و تابعيه)) (١)

و يورد هذا المعنى النثرى شعراً فى قصيدته :

لا تشتقلن منك الفؤاد ببلـــدة حتى ولو أرض الحجاز أو الحرم

فالمصطفى مع كل شخص تابـع لطريقه وله يقين من كل قـــم

شمر ووسع للطريق على هدى و علوم حق فيضها فيك إنسجـم

مالى سواك إليه قلبى عاشــق أرجوه يحيى نهج طيبنا الأشـــم

و أعطاه الشيخ عبد المحمود السمانية بأبحرها الخمسة و لم يمنعه من إضافة طرق أخرى عليها . و إجتمع عليه أبناء الشيخ أحمد فضيل . وهم تابعين للطريقة البكرية و بحكم متابعة و مداومة قريب الله لورد السحر . وهو ورد من الأذكار تابع للطريقة البكرية كتبوا بذلك إلى خليفتهم بمصر فى ذلك الوقت . وأعلموه أن القريب كثير الذكر و التبتل فأرسل إليه إجازة الطريقة بالسودان ثم لقى شيخ البكرية بعد

---

(١) جامع الأوراد القريبية ص ٧

ذلك فى الحجاز و أجازه بنفسه فى الطريقة البكرية - إلى جانب ذلك إتصاله بالطريقة الشاذلية بسند الشيخ محمد عليش أمام المالكية المتوفى بمصر خلال إقامته بها .

وأسفارة الكثيرة طورت كتير من مفاهيم السمانية فى ذهنه إلى جانب قبول طريقته نفسها لهذه الإضافة و توسع فى أوراده و توسلاته أكثر من غيره من الأقطاب السمانية فى السودان و إن إشترك معه فى هذه الخاصية الشيخ محمد شريف .

فصاروا يطلقون على الطريقة أسم الطريقة السمانية الطيبية القريبية . وكون من نفسه شخصية الصوفى المثالى فى نظر أتباعة عندما أخذ نفسه بإلتزامات الطريقة بالإضافه إليها قوله :

طريق القوم مفتخرى و عزى وحصنى فى الوجود كذا و حرزى
و أهلوه بهم أهلاً وسهـــــلاً وأن بعدوا فهم أهلى و كـــنزى
وأبن أبى هو المعروف منهم بمحمود سندى و عـــــــزى
أليه طريق السمان فأعلـــــم كذاك الخلوتى بحسن طـــرزى
ولى بالشاذلى ثبوت جـــــمع يروح فى المنام إليه عـــــزى

ومع أخذه نفسه بهذا المأخذ الشاق فى ليله و نهاره فقد سار بأسلوب هذا نحو أتباعه و مريديه يأخذهم بالإرشاد لا يئن فى نصحهم إذا ما تأخرو فى ورد من الأوراد الطريقة و يقول لهم ((أنا لا أغض ولا أسامح فى ذلك إلا عمن لا أرتجى فيه)) (١)

يطلب من الله أن يخلصه من هواء النفس و يقول :

مولاى خلصنى من الهواء وأحسم بحولك يامهين دائى
و أجذب إليك أنتي بجوازب لاانثى من بعدها لهـــوائ
واليك خذ منى الفؤاد جميعة بالذات والاوصاف والاسماء

وكان يضيق كثيراً بهذا الاهواء ويتمنى ان يضعف نفسه ويتخلص منها ويسير حراً من قيودها فهي عقبه كآداء في سبيل وصوله من اجل ذلك يتشوق للسابقين ويقول

متى اجد الخلاص متى دؤوبي　　متى سيرى لعلام الغيوب
متى اجد السياحة مثل قومـي　　على قنن الجبال بالشعوب

ويقول ايضاً .

توغلت في وادى الهوى والهوى صعب　　وقد ضاق منى الصدر وانزعج القلب
يارب ادركنى فقد غاب خاطـــــــري　　بما قد جرى من ظلمة النفس يـارب

ويوضح هذه الاهواء في قوله

وقدت وركب القوم في الليل مدلج　　ونمت واهل الله تسرى وتعــرج
فحالك حال الطفل لم يدرى ماجرى　　وحال صبي لايخاف ولايرجـــى
وغاية ماترحو حياة وصـــــحة　　ومال واكل بالنجاسة تخـــــرج
وتنظيم حيطان وفرش والحـــق　　وتفعل افعال اليهود وتلهـــــج
وتلك المنايا اصبحت بغثة تجــئ　　وانت صحيح الجسم هل لك مخرج

وسبق ان تطرقنا لبغض المعاني الصوفية إلى تحدث فيها المتصوفة نثراً مثل الاسراء والمعراج فهو يستفدوا عن خيالها ايضاً في شعره . ومنهجهم مثال لاواقعية فيه يجادلون جهدهم ان يجاهوا واقعهم في حياتهم . وقد اتت هذه المحاوله كلها عند السابقين منهم ولذى نجد قريب الله يتخذهم المثل الأعلى في خلاصهم من نزوانهم وتمنى ان يلحق بهم . وهو في منهجمه يسير على منوالهم في الفصل بين الانسان ونفسه وفي التهويل والمبالغة في تصور اهوائها ويعتبر الانسان الذي ينقاد إلى

---

(١) حياة القريب ـ ص ١٤ ـ يوسف خليفة عبد الرحمن

نفسه في المآ كل والملبس والمسكن مثل من يقودة طفل لان غاية مايرجو الانسان حياة وصحة " والمنايا اصبحت بغته تجئ" . (١)

وحددت المعركة بينه وبين نفسه بجيوشها واسلحتها المتنوعه فهو قد عبأ باسلحه من جوع وسهر وذكر وكلها وسيلة إلى معرفة الله التي هي غاية الانتصار على النفس وهو يطلب هذه المعرفة من جود الله كما رآينا في الامثلة السابقة وإلى جانب ذلك لايتونى في اخذ نفسه باسلوب المجاهرة في الذكر . وهذا مايقوله ابو سعيد الخراز . (المعرفة تأتى القلب من جهتين من عين الجور ومن تلال الغرب وكردفان وفوق رياض المقدسة الجنبية او في شعاب الحجاز الفيحاء وتارة بالصوم ويرى ضرورة الذكر بالنسبه اليه ويقول .

الذكر فوق في الحياة وسلـــمى آرقى به اوج العلا للمغنم
قم بي له سحراً إلى وقت الضحى بل كل اوقاتي فانت مقدمي

وابرز مافي فكرة الصوفي ان يجعل الذكر هو التصوف ثم يجعل كل شئ بعده من ذهر وجوع وسهر نتائج طبيعة للذكر المردر اسم الله

وهو الوسيلة التي توصل إلى الكمال النهائى ، وهذا هو مانلاحظه من قراءة ديوانه واشعارة الاخرى ويقول في قصدته يرد فيها على شخص قال له ان حلقة الذكر التي تقيمونها قد اجمع فيها جماعة لسيوا من اهلها .

الذكر يجلو كل قلب صـــادي ونقيبه في الناس كالصيـــاد
يرمن الشباك بليلة ونهـــاره في بطن بحر زاخرٍ أو وادي
وتراه يفرح بالذي يصطـــاده حتى ولو يلقاه ذئباً عـــادي
والذكر من موربه كل امـــرئ من خلقة من حاضرٍ اوبـــادي
والذكر منشور الولاية يافتـــي ودليل صاحيه على الامـــداد
والفضل في ذكر الجلاله وارد بالعض في قوله الرسول الهادي

---

(١) رشفات المدام ص ٧٧ ـ قريب الله

ويقول عن الرقص الطيب في الذكر .

آرني بالله رقصاً طيبـــــــاً ناشئا من واحد لايفـــترى
ثم فوق الصبح اورد نغمـــة بعدها الواجد بالرقص جــرى
حبذا الرقص الذي ينتج عنـي فرحة بالله رقم المنـــــكر
ظنى وزا الرقص عبداً واجداً انه والله من عيب بـــــرى
ان ترد ياصاح ان تشربهـــا لازم الاوراد وقت السحـــر

فهو يصف الحب الآلهي وطعم كآس الذكر وانه فوق السكر العادي وان ذكره سلك فيه مسلك القوم والجدود ويقول .

آلا فاسقني كآس المدامة والخمــر إلى حالة فيها الغناء عني الضــرى
وغذ فؤادي من نعيم غذائـــــها فصحة قلبي فيه ياصاح لو تــدري
وسل طيب الاقوام ياتي بشـــربه على سرعة إن الجفاحل يســـرى
وعطفاً مريد الكآس فالعطف شانكم وجودى باحستن يزول به ضــرى
عجزت وقد كلت يداي وليس لـــي سوى نظرة منكم بما وايــها وزري

ولم يعترض الثورة المهدية بل احترم الامام المهدي وقال فيه شعراً

شوقي إلى المهدي الامام الهادي زاكي الخصال الراكع السجاد
القانت الاواه في جوف الـــدجى الخاشع الداعي إلى الميعـــاد
الزاهد التالي الـــــمراقب ربــه الخاضع المتواضع الجـــواد

يتشوق إلى المهدي باعتباره من الذاكرين وماتبع ذلك من خصال ويقول .

ليث اللبوث الفارس البطل الذي يوم اللقالم يخش من آســـاد
نور القلوب خبيرها وطبيبـــها من داء حب المـــال والاولاد
والله ماشهدت عيوني مـــــثله مولى على ترك الحياة ينادي (١)

تخرج من ذلك باعجابه الشديد بشخصية المهدي وحسن ذكره وزهده ولم تعرف موفقة من خليفة المهدي .

فاذا رآينا اعجابه بشخص المهدي لصلاح نفسه وحسن عبادته كما عرف هذه القصيدة فهذا مانفتقده في الخليفة فكان الخليفة رجل جيش ووقف موقفاً معادياً لشخصية عبد المحمود والعلاقة الروحية بينهما يستوجب الانقياد بشخصيته بحكم الرابطة العقائدية بينهما خاصة وان صلة القرابة تقويها .

سلك الشيخ قريب الله نهج اجداده الشيوخ ونظم شعراً كثيراً اضافة على بعض مخطوطته النثرية وركزنا في النثر على دراسة مخطوطات جده ويعد شعر الشيخ قريب الله مصدراً اصيلاً من مصادر النثر العربي في هذا العهد ويوضح التطور الذي وصلة الآدب في آخر ايام الدولة المهدية .وللشيخ قريب الله آثار شعريه ونثرية في الشعر الف ديوان اشعاره ورتبه على حسب حروف الهجاء. وهو كسائر دواوين الشعر الصوفي ليس فيه مايدل على الدوافع والظروف التي قلبت فيها القصائد إلا بعض اشارات عايدة في تقديم بعضها ولم ترتب الترتيب التاريخي مما يجعل من الصعب دراسة الشاعر من حيث تطورة التاريخي ولكن تلك الظاهرة عامة في الشعر الصوفي .

وأعراض الشعر الاساسية التي ألفها الشيخ في رشفاته وتكملتها هي الشعر التعلمي والمناجاة الصوفية وبعض التجارب النفسية التي تخرج عن التشوق للحاق بسابقيه من المتصوفة .

ويرهن الشيخ قريب الله الارتباط الوثيق بين الشعر والنثر إذ الف بجانب ديوانه كتاب نثري . تمت طباعته جامع الاوراد وهو كتاب نثري . تمت طباعته عام ١٩٥٥ وآسماه الشيخ قريب الله نفحة الجواد وتحفة العباد ، وقد وضع إلى جانبه جامع الاوراد الطيبية السمانية ثم اعيد طبعة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ فاضيفت

(١) رشفات المدام ص ١٩

اليها بعض الشروح لعبارات الاوراد وكلماتها كما ذيلها ببعض ماجاء في فضائل الادعية والترغيب فيها .

والكتاب مقسم على حسب اوقات الذكر مثل اوراد الظهر والعصر والغروب إلى جانب مايتخلل هذه الاوقات من دعاء وصلاة وقد أضاف اليها اوراداً اخرى عن شيوخه في الطريق فآدرج بعض اوراد الشيخ محمد عبدالكريم السمان والشيخ آحمد الدرديري والشيخ عبدالمحمود نورالدايم وغيرهم من المتصوفة كما ذكر ذلك في مطلعها ومنها رسالة له طبعت في القاهرة وليس بها مقدمة ولا تاريخ لطباعتها وهى تحوى (٢٠) صفحة تناول فيها مؤلفها آداب الذكر وفضائله ومايجب أن يكون عليه المريد حيال شيخه من الآداب و السلوك .

و المتبع لهذين الكتابين النثريين يحس بعمق الصلة بينهما و بين الشعر فهما عبارة عن نثر للديوان و تكملة لأن موضوعهما لم يخرج عن موضوع الديوان .

يجتمع شعراء الصوفية فى خصائص مشتركة منها الشعر فى الزهد إذ هو عنصر أساسى من عناصر التصوف عند المسلمين و غيرهم لأن التصوف يذداد به إدراكاً و فلسفة حين يجعله أول درجات تصوفه لأنه تخلية من رزائل الدنيا .

و الفرق بين الزهد و النصوف واضح فقد كان الزهد خلال القرنين الثانى و الثالث الهجريين شعراؤه يتناولون غرضاً من أغراض الشعر العربى بيم مقل فيه و مكثر دون أن يبين لذلك أثر فى حياتهم العملية كما يتناولون غيره من أغراض الشعر العربى وقد بدأ تطور الشعر الزهدى فى بداية القرن الهجرى الثانى حين أخذ المتصوفة طابعاً يختلف عن مفهوهم الذى كان موروراً فى العصر الأول فقد بدأ بطابع التوكل و الرضا فقد عمد الزهاد إلى دخول البادية فى سياحاتهم و أصبح بذلك حركة ظاهرة إتخرط فى سلكها كثيرون من المسلمين فلبسوا المرقوعة و تجردوا من العلائق و إتخذ من الزهد والحركات . ومهد التوكل و الرضا فى هذا

القرآن تمهيداً طبيعياً لظهور الحب الإلهى . فى القرن الثالث (١) صار الزهد مقاماً بإعتباره تخلية أولية من نزعات النفس الخبيثة و تدرجت به مدارج الصوفية حتى وصلنا فى عصورنا المتأخرة بهذه الصورة التى نراها فى أشعارهم و أقوالهم النثرية . أما بعد ظهور التصوف بأفكاره و فلسفاته فقد تغيرت الحال بالنسبة لشعر الزهد إذ ربط هذا الشعر بينه وبين مايتعلق به من حياة العبادة و الأنقطاع إلى الله و العزوف عن الدنيا ، و شهواتها وكل ماهو مطمع للنفس . وهذا ما يعني التصوف فى معناه الدقيق كما هو معروف عند المتصوفة السابقين .

ويوجد من شيوخ الصوفية من بلغ درجة عالية من الثراء بسبب الهدايا و الهبات التى تصل بين الإتباع و المريدين و الحكام . يقوم بعضهم بتوزيعها على الفقراء من أتباعة فى سخاء و قد ينفق منها بعضهم ولكن فى حساب ودقه، فهم يتفاوتون فى الإنفاق .

و لكنهم بعملون بالإرشاد دون الأنزواء فى الخلوات فقد كان هذا مما يشجع على الهبات لهم و إنفاق هذه الهبات فى نفس الوقت .

وفى كتاب طبقات ود ضيف الله كثيراً مانجد شعراء يصفون شيوخهم بالزهد وبالكرم وليس فى ذلك من معنى سوى أن الدنيا ملهاة عن ذكر الله.

و الأعراض عنها هو الدين وليس فى شعرهم الزهد مما يدل على فلسفة معينه . وأول المقامات فى طرق أهل الله التوبه لله و الإلتزام بطاعة الله والخوف من الله و الصبر على مراد الله و الزهد فيما سوى الله (١) و المتصوف يجمع أربعة شرائط من أهم المقامات عندهم و المقام ما يأتى عن طريق المجاهدة و العمل الشخصى المقصود به فى غايته إصلاح أرواحهم . فمقام التوبة و يليه إلتزام الطاعة وهو مايسمى بمقام الورع و مقام الصبر ومقام الزهد فهذا الترتيب المتمثل فى قول

(١) التصوف فى الغرب العربى ص ٢٤١ ـ عبد الحكيم حسان

الشيخ أحمد الطيب قد يختلف عن ترتيب غيره من المتصوفة لهذه المقامات و لايهمنا تتبع هذه المقامات بقدر إهتمامنا بموقف الزهد ودرجته منها فهو قد جعل شرطاً للتصوف إنه لابد أن يسبق تصوفه بالتوبه و إلتزام الطاعة و الزهد فيما سوى الله فهذا هو الأساس فى التصوف العملى . و يتضح لنا من هذا التسلسل أن فى التعبد من مجد الطاعة . ولاينتهى أحمد الطيب فى ذلك بل يجعل له درجات يشرح فيها مايعنيه بالزهد فيقول : ((أعلم يا أخى أن الزهد منه ظاهر و باطن ، ومنه باطن لا ظاهر فالمبتدئ يتجرد من الدنيا ظاهراً و باطناً و المنتهى العارف يتجرد منها باطناً لا ظاهراً لأنه يمسكها لمصالح العباد فيكون هو نفسه من جملة الدواب يقول الله تعالى ((**وما من دآبة فى الأرض ولا فى السماء إلا على الله رزقها**)) فأوجبه الله تعالى على نفسه تفضلاً منه على عباده .

و المتصوفه فى تصوفهم يكيلون الشتائم للدنيا و يتنكرون لها معتمدين فى الكثير من ذلك على القرآن الكريم مستمدين موقفهم منه أن يورد عبد المحمود شعراً متضمناً فى قوله سبحانه و تعالى ((**قل متاع الدنيا قليل و الآخرة خيرٌ لمن إتقى ولا تظلمون فتيلا**))

الدنيا متاع قال مولانا قليل لاتفسدوا أعمالكم بقليل كالضـــل
أهل النهى دون هذا يانبيل أزهدوا دنياكمو قبل ما يأتى الرحيل

و يتضمن شعرهم بعض الأحاديث النبوية ورد فى قوله (ص) ((ما أنا فى هذه الدنيا إلا كراكب إستظل تحت شجرة ثم فارقها))

---

(١) كتاب الحكيم ص ٤٦ ـ أحمد الطيب

(٢) الصوفية فى الإسلام ـ ص ٣٣ نيكلسون

فأستفاد الراكب من الظل فى وقت راحته يكون مدته التى سيكون مقيماً فيه فأثبت الحديث الشريف الفائدة المؤقته منها ليست غايه فى ذاتها ولكن قريب الله يصور ذلك قائلاً :

ترك المسافر للدنيه واجب إذ حبها خطأ و سورٌ حاجب

فأترك هدية قليلها و كثيرها أو لا فإنك فى دعاءك كـاذب

صار الشعر مكملاً للنثر العربى عند المتصوفة فى هذه الفترة ونجد الكتاب يتألف من الشعر و النثر فى آن واحد وذلك كما هو موجود فى كتب المولد النوى بأقسامه المختلفه و بذلك أصبح الشعر الصوفى مصدراً أصيلاً من مصادر النثر العربى فى هذه الفترة و إتضح التأثير المباشر للشعر على النثر فى هذه الفترة من خلال دراستنا لذلك .

الفصل الرابع

أنواع النثر العربي في السودان

من أوائل الفونج الي أواخر المهدية

الفصل الرابع

أنواع النثر العربى فى السودان من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية

للنثر العربي فى السودان أنواع كثيرة و مختلفة شأنه فى ذلك شأن النثر العربى عامة لتأثرة به و تتمثل أنواع النثر العربي فى السودان فى الخطابه و المواعظ و الإرشـــــــــاد ، و خطابة المحافل و الوفود ، و تم هذا بعد أن و ضعت الدولة الإسلامية نظاماً للحكم وبعد ظهور الملل المختلفة من الخوارج و شيعة فى الدوله الأمويه . و لم نترك دور الأدب الشعبى ، و الأمثال و الخرافة التى أثرت تأثيراً هاماً على كتابة النثر العربى فى السودان و و يمكن أن تتم دراسة أنواع النثر العربى فى عهد الدول الإسلامية فى السودان فى الآتى :

الأحاجى و الأمثال و القصص الشعبى :-

ترجع القصص الخرافية و الأمثال لأقدم عهود العرب بالسودان ، و المثل فى كل أمه يمثل جزء منها على الأقل يمثل أقدم الفنون الأدبية فى تاريخها ذلك لأن المثل عبارة يتلقاها الخلف عن السلف ، فيحافظ على ألفاظها ما إستطاع ، و التمثل به فى المناسبات لا يعرضه فى العادة للتغير اللفظى . و لذلك تجد فى أمثال الأمم صور قديمة عتيقة ، و تلمح فيها عهود غبرت بعاداتها و تقليدها و عقائدها (١) و من الأمثال السائدة فى الســـــودان : (زاد الحبان ليه بكان) و بكان هو المكان و حصل لحرف الميم قلب الى باء و هذا كثير فى اللغة العربية .

(و غبينة العربية يفشوها فى السرية) و هذا المثل سار فى فترة الرق فى السودان و حينذاك لا يعرف أهل السودان المساواة .

(ود العرب دولته يوم عرسة و يوم طهوره) و يضرب هذا المثل لجمع العشيرة و الأهل يوم العرس و يوم الطهور وهى كل المناسبات السعيدة .

(الضايق عضة الدابى يخاف من مجر الحبل) و الذى يعضة الثعبان يخاف من أى شىء يشبه الثعبان و لو كان ذلك حبل و يشابه هذا المثل الحديث النبوى القائل

(١) تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٦٥ عبد المجيد عابدين

(إن المؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين) (لاينفع الجس بعد الذبح) و هذا يشابه المثل القائل (الضرب على الميت حرام) (و البلعب مع الجريوات بيشخبطنه و البلعب مع الطويرات طارن خلنو) و هذا المثل يدل علي التخاطب و التعامل مع الإنسان ذو الندية المماثلة . أى أن يلعب مع الكلاب الصغيرة لابد أن تخربشة بأظافرها و الذى يلعب مع الطيور فحينما تمله تذهب و تتركه (قالوا الخيل تجقلب و الشكر لحماد) (و الكتال للهلالى و الشكر لى أبو زيد) و كتال تعنى القتال و الهلالى أبى زيد الهلالى . أى أن الإنسان الذى يعمل العمل لا يثاب عليه بل يثاب عليه شخص آخر . و الى جانب الأحاجى عرفت هذه الحقبة الفزورات

الخطابات السياسية :

و منها الخطاب السياسي الذي هاجم فيه علماء السودان الذين أنكروا مهديته ((الحمد لله الوالى الكريم و صلاة على سيدنا محمد و آله مع التسليم ، ياعلماء السوء تصوموا و تصلوا و تتصدقون و تدرسون ما لاتعرفون فما سوء ماتحكمون تتوبون بالقول و الأمانى و تعلمون بالهوى ـ و ما يغنى عنكم أن تتقوا و قلوبكم دبسة بحق أقول عنكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب و تبقى فيه النخالة ، كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ، و يبقى القل فى صدوركم ، ياعلماء السوء كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا سوته ، و لا تنقطع عنها رغبتة ـ بحق أقول أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة . فإى الناس أخسر محلات المتجرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ، ليتركوها لكم مهلاً مهلاً ماذا يغنى البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره ، و فوقه و حش مظلم ! كذلك مايغنى عنكم أن يكون نور العلم فى أفواهكم و أجوافكم منه و حشة معطله ! ياعبيد الدنيا كعبيد أتقياء و لاكأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم من أصولكم فتكبكم علي مناخركم ثم تأخذ خطاياكم

بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم إلى الملك الديان حفاة عراة فيجزيكم سوء أعمالكم)) (١)

فى هذه الرسالة يخاطب الإمام المهدى العلماء ويصفهم بعلماء السوء و أخذ عليهم إنشغالهم بالدنيا و تركهم اللآخرة و إستخدم فى ذلك صور كثيرة حيث ذكر أنهم كالغربال ينظف الدقيق و تتعلق عليه باقى الأوساخ أو كالبيت المظلم الذى يوضع فانوس فوق رأسه و باطنه مظلم وفى هذا الكلام إشارة للعلماء الذين لم يلتزموا بتعاليم المهدية المأخوذة من المدارس الصوفية المختلفة .

و أراد الإمام المهدى بمنشورة أن يضعف من شأن علماء البلاط و الذين يمقتون دعوته و يصدرون الفتاوى ببطلانها و كذلك إستخف بأمور الدنيا . يظهر الإثر الصوفى فى هذه الرسالة بالتقشف و كراهية الدنيا و حب الآخرة و الإستدلال بالآيات القرآنية . و تتضح ملامح الأدب الإسلامى فى الخطاب بوضوح التعبير و بساطة الكلمة و دقة التصوير . و يستخدم الآيات القرآنية للتوضيح و الأحاديث النبوية فى النصوص .

وفى الخطاب الكثير من التهديد و الوعيد لعلماء السوء الذين لم يهتموا بحياة الناس و لن يقولوا الحق على أنفسهم .

و إستمرت الخطب السياسية فى هذه الفترة على هذه الطريقة كل الكتاب الذين يكتبون لأعدائهم و خصومهم يستخقون من الطمع من أجل الدنيا و يذكرون الناس الذين يعملون من أجل هذا بأنهم عبيد دنيا .

و يكثرون من ذكر الكرامات و المقدرة على الخوارق و يدعون الآخرين لحضور هذه الأشياء فى الحضرة النبوية الشريفة و يرسمون مجلساً للحضرة خاصة و أن مجلس الحضرة يضم عدداً من الخلفاء السابقين و رجال

---

(١) مشورات الإمام المهدى ص٣٢ محمد أبراهيم أبو سليم

الدين و الخلفاء الذين تمثلهم الطريقة و الملاحظ أن حضرة الإمام المهدى عليه السلام يحضرها النبى صلي الله عليه و سلم .

كذلك يختصون بدراسة علم الباطن الذى لا يمكن أن يدركه الأنسان العادى ذو الفطرة السوية ـ و تتكشف لهم الأشياء كل هذه الخواص يخاطبون بها الناس المشفقين عليهم حتى يتوبوا لباريهم .

و تميزت الخطب السياسية لهذه الفترة بالطول و حشد الكلمات القوية و تتخذ شكل المناظرة الإستفسارية و هذا يشبة ما كان سائداً فى أوائل فترة الإسلام بل و فى بعض الأماكن يتعدى هذه الفترة الأسلامية إلى ماكان فى العصر الجاهلى ، خاصة حينما يبدأ الكاتب فى كيل الشتائم و التقليل من شأن الخصم .

لم يتم حصر جميع الأدب السياسى الخاص بالبحث فى هذة الحقبة ، و يمكن أن يصبح موضوعاً ثراً لبحث قائم بذاته .

خطب الموافد و الهبات :

بعد إسقرار نظام الدولة فى الدويلات الإسلامية التى إنتظمت السودان كدولة المهدية ، دولة الفنج ، و دولة الفور ـ إنتظم الملك و إستقر و أصبح مشابهاً لنظام الملك الذى ساد الجزيرة العربية فى عهد صدر الإسلام .

و إغداق الملوك للعطاء و الهبات يشجع العلماء من داخل السودان للحضور و البحث عن العلم و المال فى بلاط الملوك و بعضهم يقدم و هو حامل لخطاب كل الثناء و الشكر و مدح للملك و طالب فيه تذليل مشكلته وحاجته الماسة ، و قالبه أيضاً أدب نثري مكتوباً و موثقاً لهذه اللقاءات و حفظ معظمه فى دواوين الملوك و الأمراء . و زينت به مكتباتهم و و صارت هذه الكتابات كمراجع للباحثين و الدارسين .

و تم العطاء من الملوك للمشايخ يتمثل فى لحواكير و المال و الماشية و الذهب و كل ماهو مقدر و يمكن منحه . و كثر أمراء الفونج التصديق

بالحواكير . و أورد الدكتور محمد أبراهيم أبو سليم فى كتابه الذى سماه الفـــور و الأرض الوثائق التى منحت بموجبها الكثير من الأراضى التابعة لأمراء الفور و معظمها تم منحة لرجال دين و معظمهم من العرب الوافدين من غرب أفريقيا وو سط و شمال السودان فى عام ١٩٦٥م و قف البرفسير جوزيف توبيـــــا نا و زوجتـه مـاري جـولس علـى مجموعـة مهمـة مـن الوثـائق الخاصـة بمـنح الأراضى و كانت بحوزة الشرتاى آدم الطاهر نورين بقرية دور شمال غرب كتم . و تم إكتشاف الكثير من الوثائق المرتبطة بالأرض فى مدينة الفاشر سنة ١٩٧٠م بواسطة الدكتور أقاهر . وذكر أنه وقف علي أكثر من مائة و ثيقة أقدمها يرجع لعهد السلطان أبو القاسم سنة ١٧٦٤ـ ١٨٦٨م .(١)

و إذا تمعنا النظر فى هذه الوثائق نجد معظمها تمت كتابتة بالغة العربية و أن معظم الذين كتبوها كانوا يتحدثون اللغة العربية و يحفظون القرآت الكريم و معظمهم من الكتاب المشهرين فى عهد دولة الفور .

و أن هذه الوثائق تمت كتابتها أحياناً بواسطة الحكام أنفسهم و أحياناً أخرى بواسطة كتاب البلاط . و من الوثائق التى تمت و نسبت الكتابه الى كاتب عبيد الله عثمان هذه الوثيفة التى ورد فيها :

(ببركة بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله علي سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم من حضرة سلطان العز و الإفتخار و مالك أزمة الأحرار سلطان المسامين و خليفة رسول رب العالمين حامى حوزة الدين ت الواثق بالله تعالى الحميد المجيد خادم الشريعة و الدين ، مولانا السلطان المظفر المعز عبد الرحمن الرشيد أعزه الله تعالى و نصره آمين ، بجاه النبى الكريم الى حضرة كل من يقـــف عليهم هذا المكتوب ، من الولاة الأمور ، و الملوك و العسكر و الخبادى و الشراتى و الدمالج ، و أبناء السلطان ، و الميارم و ملوك العربان

(١)وثائق الأرض فى مملكة الفور ص٥ ـ محمد إبراهيم أبو سليم

و مشايخهم و الخادمين و جميع الحكام و جملة أهل دولة السلطان ،أمابعد فإن السلطان المذكور ، المبرور الؤيد المنصور عبد الرحمن الرشيد أيده الله بنصرين هامين ، تفضل و أعطا نور الدين إبن الملك يحيى رواعى أبله الذين جابهم معه من دار صباح أولاد صالح الجابري منهم عجينة وغدير و أخيهم الصغير هولاء العرب المذكرين ثلاثة رجال أولاد صالح الجابرى السلطان عفا عنهم عفواً مطلقاً من جميع السبل العادية و الخدمة فأعطاهم نور الدين و صاروا عرباً له و لزريته ليتصرف فيهم و لايتعرض له أحد من الملوك المشائخ و الكراشى و الخادمين ، اليتعرض له فقد عرض نفسه للهـــــــلاك و الشهادة الحضرين الملس ياس بكر ، و ياس نغمة و الملك عبشاوى و الفكى مـــــــالك و عبد الله النور و الحاج على بن الأمين محمد و فارس بن الملك إبراهيم و تابع و كاتب الأحرف عبد الله عثمان))

هذه من الوثائق الأولى التى تم الوقوف عليها فى بلاد الفور و لم تكتب بواسطة الملك بل كتبها الذى ذكر إسمه .

ووردت معظم كلماتها و جملها بالدارجى البسيط جداً و أحياناً يوجد شيء من اللهجة المحلية و هذا ما يدل علي ضعف إنتشار الأدب الصوفى فى غرب السودان .

و لامانع للكاتب أن يضع أسمه فى آخر الوثيقة و يشير الى ذلك حتى يكون واحداً من الشهود الذين حضروا التوثيق . و لم توجد فى مثل هذه الوثيقة قرينة من قرائن الأدب الصوفى غير التطويل فى المقدمة و كثر الاستعواز من الشيطان الرجيم .

وأشرنا فى الفصول السابقة إلى أن الأدب العربى فى عهد دولة الفور لم يكن منتشراً و أوضحنا أن الدين الإسلامى و اللغة العربية و جدا حظهما من

الإنتشار فى شمال وو سط السودان و إنتشر الدين الإسلامى وحده فى غرب السودان فى دار فور و لم يجد الأثنين حظهما من الإنتشار فى جنوب السودان .

و فى عهد دولة الفنج أهدى الملوك و الأماراء الأراضى لرجال الدين الوافدين . و الأراضى عند الفنج نظامها و قانونها يختلف عن الأراضى عند الفور .

ملك الفونج مقيد و ليس له مطلق التصرف فى الأراضى بخلاف ماكان سائداً عند الفور . و الساكنة هى المالك الفعلى للأراضى ، و السلطان لا يستطيع أن يهدى إلا فى الحاكورة الخاصة به .

أما الأقاليم المختلفة فى دولة الفور فالأمر مفوض عليه الحكام و كانوا فقط يقدمون هدايا موسمية للسكان ووضع اليد أحياناً يمكن من إهداء الأرض فى دولة الفونج .

و المستفيدون من الأرض فى دولة الفونج هم السلاطين و أقربائهم و رجالهم و الفقراء و العلماء و حكام الأقاليم و أهل الإقطاعيات و هولاء لا يشاركون فى الإنتاج الزراعى بشىء و لكنهم يحصلون على نصيب كبير من الإنتاج بحكم القوة السياسية و الإجتماعية و تمليك الأراضى و هم عالة على المزارعين و عالة فى المجتمع .

و ينظرون إلى المزارع نظرة تعال و المزارع الذى يقوم بالإنتاج الفعلي يفقد جانباً كبيراً من الإنتاج بحكم ماتفرضة عليهم الأعراف .

و تم توثيق مكاتبات الأرض عندالفونج كمكاتبات رسمية وتشبه لغة الخطاب العادى إذ لا تتقيد بقيود النثر العربى . و لكنها لا تخلوا من نفس الصوفى فى بعض مفرداتها و يتضح ذلك من خلال دراستنا لهذه الوثيقة الخاصة بالهبات للأرض هذه الوثيقة التى جاء فيها :

((الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله فهذه حجة فرعية ووثيقة ملوكية ، محررة مرضية بالديار الفنجية على يد ملك الجوامعية حفظها الله تعالى لدى متوليها ، و أبن متوليها الأرباب الملك بابكر أبن المرحوم الملك سليمان حفظه الله و رعاه و نصره و تولاه ، بجاه محمد خير أنبياه . أما بعد ، فأن المحفوظ المبرور الأبن الملك بابكر عرضوا عليه أولاد الشيخ خوجلى حكم السلطنة فى العادة و حكم الشريعة فى دار خوجلى من جهة الطين المرق من جهة الغرب .

و المحمداب نازعوا أولاد خوجلى فيه و شكوا على الملك بابكر ، و قطع المحمداب من دار الشيخ خوجلى مالهم فى الغرب تحت القيف ولو شبراً و احداً و إتقطعوا المحمداب بالعادة و الشـــــــريعة ثم إن الملك بابكر تم و أمضا لأولاد الشيخ خوجلى ، و لايعارضهم فيها معارض و لاينازعهم فيها منازع ومن يعرض لهم بعد ذلك عليه الحسب و أن نازع فيها و احد أو إثنين أو أكثر كل واحد أديته جمل ، ثم الحذر من الخلاف و المخالف لايلومن إلا نفسه و شهد بذلك أخوانه أولاد المك سليمان و حامد ولد أحمد .

هذه الوثيقة تميزت مقدمتها بالبساطة و الدعاء و الحمد و الإستغفار و تميزت بالسجع و المحسنات اللفظية و لكن باقيها لم يوجد فيه أثر صوفى ظاهر بل تميزن بالأسلوب الركيك و اللغة الدارجة و عدم ترتيب الجمل و بذكر الأسماء وةذلك لتوضيح ما إتفق عليه الناس و قراءتة عليهم بهذه اللغة البسيطة حتى يفهموه و إمتاز هذا النوع من النثر بالواقعيه.

و يمكن أن يعرف القارىء للوثيقة طريقة التفكير و الفهم فى البيئة التى كتبت فيها ، و لعل هذه الوثيقة من الوثائق التى كتبت مبكراً قبل تعمق دخول العرب و المسلمين لبلاد الفونج ، و أحياناً يكون الكاتب ملماً بأصول

المعانى و جيد الألفاظ لكن المجتمع الذى يكتب له يجبره على هذا النوع من الكتابة .

و هناك بعض الوثائق القوية المعنى و الشكل و المتميزة بالسجع و الجناس و الإقتباس و التى تظهر فيها قوة السلطان و من ذلك الوثيقة التى كتبها السلطان نول و التى جاء فيها : ((حجة سلطانية ووثيقة ملوكية بمدينة سنار المحروسة المحمية أحلها الله تعالى لدى متوليها الذى أيده الله بالنصر و التمكين ، و الرفعة و التحصين و جعلة ظلاً ظليلاً يأوى إليه كل مسكين الذى هو فى الدنيا سعيد ، و فى الآخرة أن شاء اله شهيد ، من أنطوى باطنه على الصفاء و ظاهرة على الصدق ة\و الوفاء ، الصادق فى قوله الأمين فى فعله ، الذى إذا قال صدق و إذا تكلم بالحق نطق ، مولانا السلطان بن السلطان بادى بن السلطان نول نصره الله الرحمن الرحيم بجاه من القرآن العظيم و النبى الكريم ، آمين يارب العالمين .

تطرقنا فى مكان آخر فى هذا البحث إلى السلطان نول من السلاطين العلماء المخلصين للدين الإسلامى و المدركين للفقة و التصوف ، و المهتمين بمقـــــدم العلماء و العرب لبلاد الفونج . وهذه الوثيقة إمتزت بالأسلوب السهل المعبر و تحدث فيها بأنه مؤيد من رب العالمين الرحمن الرحيم و بشكر الله الذى جعله فى الدنيا سعيد و فى الآخرة شهيد و إمتازت الوثيقة بجمـــــــــال التعبير و أيضاً جمال الشكل و المضمون تخللها الجناس و المطابقة و معظم فنون الأدب و اللغة و كذلك إستخـــدم أشكال مختلفة من أشكال التشبيه و ختم الوثيقة بدعوة الإستجابة آمين . آمين .

وقال : ((إلى حضرة كل من تقف عليه هذه الوثيقة و الناظر لما فيها من الحقيقة و بعد فإن السلطان المبرور المؤيد تصدق على الفقيه محمد بدار الكدرو

المعلومة الحدود (١) وورد فى هذه الوثيقة التى وهب الشيخ محمد الأمين بن المرحوم الشيخ مسمار للفقيه السيد و لد دوليب ما يأتى :

(هذه حجة قطعية ، ووثيقة عريضة محدودة مرضية لدى شيخ قرى المحروسة المحمية أجلها الله تعالى لدى متوليها و أبن متوليها الحاكم يومئذ عليها و مافيها صاحب المقامات العليا و الأقوال الصادقة الوفية المأمون على دينه و الرعية المتمسك بالشريعة المحمدية ، الواثق برب العالمين الشيخ ناصر بن الشيخ المرحوم محمد الأمين نصره الله آمين زيدت أيامهم علاً ووحدت ليالى سعده بجاه محمد و آل بيته و بعد فإن المحفوظ المبرور المؤيد المنصور الشيخ ناصر عرضت عليه و ثيقة من أبيه الشيخ محمد الأمين بأن فيها صدقة جارية إلى الفقيه محمد إبن الفقيه دوليب)) (٢)

وهذه الوثيقة أيضاً فيها الكثير من الأثر الصوفى و بدأت بالدعوات الصالحات و الأدب الرقيق و تم الإهداء فيها لفقيه معلوم من علماء الصوفية و هو الفقيه ود دوليب كما كانوا يطلقون عليه .

و بعض الوثائق لم يلتزم فيها الكتاب بالجماليات فى المقدمة فقط لغرض التشويق لكنهم يلتزمون به فى المقدمة و فى صدور الموضوع و فى عجزه و من ذلك و ثيقة الشيخ حسين بن الشيخ محمد أبو لكيلك للفقيه أحمد بن الفقيه عيسى و التى قال فيها :

((حجة سلطانية ووثيقة ملوكية محررة مرضية بالديار الفخمة بمدينة سنار المحروسة المحمية أجلها الله تعالى لدى متوليها ـ مالك قاصيها و دانيها ، الحاكم يومئذ بمن عليها و مافيها المحترم المكرم ، المهاب المعظم الليث الأدهم ، و ملاذ الأفخم قنديل الزمـــــان و سراج البلدان ومرمر أهل المر و البغى و الطغيان و أمين جيش السلطان الواثق بالملك الصمد ، الوزير الشيخ حسين بن

---

(١) الطبقات ص٢٠ ود ضيفالله

(٢) عقود الدررفى راتب الإمام المهدى المتظر محمد على بت البشير الإحيمر

الشيخ محمد أبو لكيلك نصره الله آمين . الى حضرة كل من تقف عليسه هذه الوثيقة و الناظر لما فيها من الحقيقة ، و بعد فإن المحفوظ المبرور ، المؤيد المنصور ، الوزير الشيخ حسين تصدق على الفقيه أحمد بن الفقيه عيسى بجميع الرفاعية ،فى دار أم حواية و من يليها صدق لله و رسوله و الثواب فى دار المـــــآب .

و ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم . له و لذريته ، و لزرية زريته يتوارثونها من وارث لوارث إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خبير الوارثين . و الدار معلومة البقعة بحدودها))

أوضح الكاتب هنا أن المقصود من الصدقة السعى نحو الثواب و رضى الله و العمل للجنة و الوثيقة مليئة بالصور البديعية الجميلة ، وهذا مايل على أن كاتبها عالم بفنون الأدب و الكتبة و المكتوب إليه رجل فقيه و عالم . لم تنتابها عامية و لا دارجية و هى تمثل قمة الثقافة الإسلامية و العربية فى دولة الفونج .

و تذكر الوثيقة و تؤكد وراثة الله سبحانه و تعالى للدار كلها ومن عليها . ويذكر أن هذه الدار التى حررت بها الوثيقة معلومة و معروفة .

و أنها صارت ملكاً لمن وهبت له يتوارثها أبناؤه و ارث عن وارث و هذا مايؤكد أن عطائه ليس فيه رجعة و لاردة و أنه عطاء صدق .

و هذا مايميز و ثائق الهبات و التى تزينها اللغة و الإسلام و إذا بحثنا عن النشر الخاص بالهبات و الموافد فى أدب الثورة المهدية . لم نجده كثيراً . إذ أن الدولة المهدية إهتمت بالعمل الجماعى و لم يكن فيها نظام إقطاعى و أستطاعت الثورة المهدية أن تنشىء بيت مال و أن يتركز إقتصاد المدينه فيه ، و أن يتم العطاء للأرض بواسطة الدولة .

و الإمام المهدى ربى أتباعة و أنصارة على التقشف و التنكر للدنيا و عـــدم حب الذات . و الفقهاء الذين يأتون لبلاط الخلافة المهدية معظمهم

محاربين أشاوس طلقوا الدنيا و أتوا برؤية صوفية ثاقبة يبحثون عن مفتاح الجنة و ذلك عبر الشهادة و الموت في سبيل الله .

و إتخذت الدولة الشكل الإسلامى المتكامل ، و صارت الهبات حقوق نظموها بالتشريع . وو ضعولها نصوص نثرية توجه بيت مال المسلمين ليعمل بموجبها و أحياناً أخري توجة للجهات المستفيدة . و سمى معظم المكاتبات التى تنظم التعامل المالى فى دولة المهدية بالمناشير حصرت المناشير فى مال الغنائم ، ومناشير فى حقوق الجيش ، و مناشير لأمين بيت مال المسلمين وو ضعت له قوانين و أسساً للصرف وةتم تحذيره من التلاعب بمال المسلمين وورد فى ذلك المنشور الأتى الذى يخاطب به الإمام المهدى أمين مال المسلمين قائلاً له :

((الحمد لله الوالى الكريم ، و الصلاة على سيدنا محمد و آله مع التسليم ، وبعد ، فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله إلى صفيه و أمينه ورواحة باله أحمد جعله الله من خاصة أهل السعد ، و من أعلى أهل الرشد : ـ حبيبى أن ماذكرته معلوم و جزاك عند الله الحى القيوم ، و من ساعدك على ذلك آمين حبيبى لا يخفى عليك أن الله عالم بالأحوال و الأعمال وهو المجازى عند إنقضاء الآجال المتولى فى الحياة و بعد الممات لأوليئه و لايشركه أحد فى المساء و الآصال و حيث حبيبى المتحصل فى بيت المال الثلاثون ألف ريال و لم تصر الأخوان ، الى أن يحصل الله لهم الكفاية ، فالذى قلته فى التقسيم على البوارق و كل يقسم بمعرفته على جيشة فمناسب و كذلك إعطاء الخمسة عشر ألف إلى بوارق خليفة الصديق كونهم نصف الجيش ، و إعطاء الثمانية آلاف إلى بوارق خليفة الفاروق ، فهو غاية عندى فى المناسبة .

رفع الله عنكم المحاسبة و صب عليكم جزيل المتاوبة ــ آمين . و كامل الوصية بالإتكال على خالق البرية ، و التفويض له فى كل قضية و الإنابة إلى الدار الآخرة .

يذكر الإمام عليه السلام أمين بيت ماله فى فاتحة خطابه له بأن يتقى الله و يتذكر الموت والعودة إلى دار الحساب .

و يشرع فى توزيع الغنائم و فقاً لأسس عادلة يعطى جيش الخليفة النصيب الأكبر لكثرته و كذلك يعطى باقى الجيش .

و يلاحظ عدم إيثار نفسة بأضعف نصيب و هذا مايدل على تقشفة و عزوفة عن الدنيا و هكذا إستطاع الإمام المهدى عليه السلام أن يضع أسس دولته على نظام إسلامى وفقاً لأسس و مبادىء الشريعة .

و لغة النثر فى هذا النص خالصة من الركاكة و التعابير الرديئة و حوشى الحديث و إتسمت بالبساطة و المحسنات البديعية و النعابير المفهومة الواضحة ..

أخذ النثر الخاص بالهبات و الموافد فى طريقة إلى التطور من أدب يختص بتوصيل المعلومة فقط و خالى من كل المحسنات بديعية و جمالية و أثر تصوفى و تم ذلك فى عهد دولة الفور حيث إطلعنا على الكتابات و النصوص المقدمة من بعض الكتاب الذين جاءوا لبلاط الملوك و لم يضيفوا جديداً للنثر العربى فى تلك الحقبة .

و تطور إلى أدب تشوبه المقدمات الجميلة الملتزمة بالأستعازة بالله و من ثم السجع الجميل و الإقتباس و شىء من المحسنات البديعية ثم تتجه نحو الركاكة فى صلب الموضوع ، و يهتم الكاتب حين يذكر أسماء الناس الموهوب لهم و أسماء صاحب الهبة .

و صار النثر الخاص بالهبات و الموافد فى تطورة العكسى مع حركة دخول المسلمين و الإسلام و تمكين الدولة المسلمة . حتى إكتملت حلقاتها فى دولة المهدية و صارت أمور الدولة تدار بواسطة قوانين الشريعة الإسلامية

فإنتهى أدب الموافد و الهبات و حلت محله المناشير المنظمة لعمل بيت مال المسلمين ووجه الإمام المهدى لكل أعيانه و أمرائه و أمير بيت لمال المسلمين مناشير منظمة لعمله كما رأينا ذلك فى المنشور السابق .

نثر الوعظ و الإرشاد :ـ

إهتم علماء الصوفية بالوعظ و الإرشاد و تكاد تكون معظم الكتابات الصوفية التى عمت السودان فى هذه الحقبة متعلقة بالوعظ و الإرشاد وو صف يوم القيامة و العمل الصالح الذى يوصل الإنسان للجنة و التخوف من حب الدنيا و الركون إليها و العمل على محاربة السمنة و البدانة و أكل الأشياء التى تسد الرمق عندهم كالغرض و غيرة هذه التعاليم هى التى ميز النثر الخاص بالوعظ و الإرشاد عند علماء المتصوفة فى هذه الفترة

والأدب الذى و ردنا تعلق بهذه الوظيفة الرئيسية المتوصفة و هى و ظيفة الوعظ و الإرشاد و تميزت خصائص هذا النثر فى عصردولة الفونج تقلب النثر الشعبى على النثر الرسمى الفصيح ، و ظهرت اللهجة المحلية و مثال لذلك ما جاءنا فى كتاب الشيخ محمد ود ضيف الله الذى أرخ فيه إلى مأئتين و ستين شيخاً .

و يرى بعض مؤرخوا الإدب أن مقدمة الكتاب لها باع كبير فى ذلك و الإنشاء العربى الفصيح و مايدل على ذلك أن صاحب الكتاب ملم بالعربية الفصحى و لكنه أراد أن يوصل كتابه لعامة الناس و قال فى مقدمة الكتاب :

((سألنى جماعة من الأخوان ، أفاض الله علينا و عليهم سحائب الإحسان، و أسكننا و اياهم أعلى فراديس الجنان ، بحرمة سيد و لد عدنان ، أن أؤرخ لهم ملك السودان ، و أذكر مافيه من الأعيان فأجبت سؤالهم ، بعد الإستخارة الواردة فى السنة ، و بعد الإلهام ،مع أنه لم يكن لإسلامنا و إسلامهم و ضع فى هذا الشأن))

يضيف الشيخ الفقيه ود ضيف الله بداية المخاض لتأليف سفره الذى يتحدث عن العلماء . و يورد فى حديثه بعد الكلمات الدالة على تعمق الشيخ فى التصوف و تأثرة بعباراتمثل ذكرة للعبادات فى السنة و بعض الإلهام و لعلنا ندرك أن الإلهام صفة أصيلة من صفات علماء التصوف . و أنها مرتبة تالية لمرتبة التفقه بالسنة (١)

و بدأ النثر العربى المختص بالإرشاد و النثر و التعبد و الدعاء فى عهد دولة الفونج و صار الكتاب يستلهمون بعض القصص من القرآن الكريم و من بعض كتب التفسير و الأحاديث النبوية و ظهرت بعض الصور الدينيةالتى تجسمت فى نفوس الصوفية و ميزت أدبهم و نثرهم و شعرهم مثل صورة نبيى الله الخضر و قصة الإسراء و المعراج و قصة أهل الكهف .

و ردت هذه القصة على نسق ماورد فى الإســـــــراء و المعراج . و جاء فيها ((أرسل إليه أ'زحزام الملك عليه فلما ورد قادماً ، و افاه على فراشه نائماً : قال : قم يانائم فقد هيئت لك و الغنائم فقال ياجبريل : الى أين ؟ قال يا محمد رفع الأين عن العين ، فإنما أنا رسول للقيوم أرسلت لأكون من جملة الخدم ،يامحمد أنت مراد الإرادة . و الكل مراد لأجلك . و أنت مراد لأجله . فيا لك من سعادة))

وهذه القصة تحكى عظمة الأسرار و تذكر الناس بتلك الليلة التى عرج فيها النبى صلي الله عليه و سلم من السماء الى الأرض و التى يذكر فيها الكاتب على لسان النبى صلى الله عليه و سلم بأنه أرسل ليكون من جملة الخدم - و تطور النثر و فقاً لذلك خاصة حينما تقف على هذا الجزء من قصة الأسراء و المعراج فى عهد الفونج .

و أكثر الكاتب من التجسيم و هو صفة من صفات الأدب الصوفـــــــى .

---

(١) مقدمة كتاب سيرة وذكر ص ٢٥ د. عبد الله الطي

و إمتـاز الأدب الصـوفى بكثـرة الإبتهـالات و فريضـة الرواتـــــب و إظهـار الخضـوع و طلـب الإسـتجابة و التوسـل و الإكثـار مـن الإقتبـاس مـن نصـوص القرآن و الحديث الشريف و أقوال الأئمة .و بنى القصة على التكرار مثل تكرار حرف الياء و النون بالتبادل من أول القصة غلى آخرها و القصة مجزءة و كل جزء ينتهى بالشيلة و مثل ذلك مجاء فى الصلاة المحمدية:((الهم صلي و سلم على الذات المحمدية ... و أغفرلنا مايكون و ما قد كان)) و قال الشيخ محمد عثمان الميرغنى فى المولد النبوى الشريف : (و ما الذى جري ليلة مولده صلي الله عليه و سلم من العجائب العجيبة ، فأمور دالة على عظم مكانته من الحق . و المكان كالإرتجاج الواقع فى أيوان كسرى ذى البناءات القوية . المعروف بأنو شروان فذلك بإنهدام دعوة البطلان ، و غيض البحيرة المعروفة بناحية الفرس بطبرية . فيه من الآثار الساطعة بالحقـــ و البرهان . و أعجب مما يسمع مثل هذا و يكذب فليس أقوى منه خسران))

يعدد الشيخ محمد عثمان الميرغنى من علامات التى ظهرت يوم ميلاد النبى صلي الله عليه و سلم كنفود بحيرة طبرية خمود نار فارس . و يورد هذه المعانى فى قالب نثري يلتزم فيه إلتزاماً مشابهاً للقافية فى الشعر العربـــــي و يصف فى هذه القطعة النثرية و صفاَ يقارب فيه جمال المعنى جمال الشكل .

و إستمر علماء الصوفية فى كتابة النثر و إستخدامه فى الـــــــوعظ و الإرشاد و التعبد و الإبتهال فالشيخ أحمد بن إدريس و صف الدنيا فى قولة :

((سأضرب لكم مثلاً إذا إجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل دواب ، أو لذة كل فرد و لذة كل مشموماتها فرداً فرداً ونوعاً نوعاً و طعم كل مطعوم كذلك و لذة كل ملك مال كذلك فى ذات واحدة فكيف تكون لذة النكاحـــــ و قد صارة لذة كل فرد مجتمعه فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء ـ و كيف طعم جميع المطعومات وقد صارت لذة كل فرد آدمي

و غيره مجتمعة عنده ، و قس عليها سائرها ثم إذا إنتقلت منها إلى أدنى نعيم الجهة فهو كما تنتقل من الحنظل إلى طعم السكر ، ثم لو إجتمعت لذات الجنة . أى كل فرد منها فى ذات واحدة من منكوح و مطعوم ، و مشروب و ملبوس ، و غير ذلك لتجمع لك لذات جميع ما فى الجنة ثم إنتقلت من ذلك الى نظر الحق سبحانه و تعالى فهو كما تنتقل من طعم الحنظل إلى طعم السكر و أهل الله لا يفارقونه فى الدنية طرفة عين)) (١)

الوصف عند الشيخ أحمد بن إدريس يتصف بالتكرار ظاهراً و لكن لكل لفظة أسلوبها المعين و معناها المختلف و إن طابقتها فى الشكل الظاهرى و الشيخ أحمد بن إدريس أحد مؤسسى الطرق الصوفية ـ و لذلك نجد أسلوبه و معانيه و شكل النثره ينطبق تماماً مع خصائص الصوفية وزاد ذلك بفنائه و إستقراقة فى الذات الإلهية ـ حيث يتصور الذات الإلهية فى الجنة التى لا يفارقها أبداً .

و يزيد عن ذلك بقوله كذلك أنه لا يمكن أن يفارق الذات اللإلهية حياً و هذا ما يسمى بالفناء الروحى عند الصوفية و الإستقراق الكامل فى العبادة على نسق الذى يعبد الله كأنه يراه فإذا لم يراه فالله يراه .

و للشيخ أحمد بن إدريس الكثير من المؤلفات النثرية ذات الكتابة الجميلة التى إمتازت و تميزت بخصائص الأدب الصوفى و إذا إستغرق فيها الباحث لكفته عما يسأل و يبحث عنه لولا ضرورة تقصىالموضوعات و البرهنة عليها و نعود للأمثال لبرهنة شيوع الحدث .و تأثر علماء الصوفية بالكتب التى دخلت السودان مبكراً . وذكرنا أن هنالك مدارس قرآنية مبكرة إهتمت بتدريس العلم إلى جانب حفظ القرآن مثل مدرسة أولاد جابر فى الولاية الشمالية .

---

(١) المرجع السابق ـ د. موسى عبد الله حامد

و هولاء العلماء إهتموا بدراسة معضلة الكتب التى و ردت مع دخول العرب و المسلمين السودان ـ و إمتازت هذه الكتب بالضخامة و ألفت لها الشروح و ألفت لها متون وحواشى . و كتبوا تعريفاً لكتابها و نسبهم و من هذه الكتب :

((الطباق ، و لطائف المتن للشعرانى ، و دلائل الخيرات و مشارق الأنوار للشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولى ، و كتاب الحكم لأبن عطاء الله السكندرى و الفتوحات الملكية لأبن عربى ، و الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى ، و إغاثة اللهفان للشيخ محمد عبد الكريم السمان ، و النفحات الإلهية فى كيفية سلوك الإلهية فى كيفية سلوك الطريقة المحمدية و الفتوحات فى الحضرة المحمدية لمحمد عبد الكريم السمان و العقيدة الأشعرية لإمام الأشعري و متن السنوسية للأبى عبد الله محمد بن يوسف الحسينى السنوسى . و إنتشرت فى دار فور كتب صوفية كثيرة منها تذكرة القرطبى فى صفة أهل النار و كتاب الشفا للقاضى عياض و كتاب أحياء علوم الدين للغزالى . و تتم قراءة هذه الكتب فى مجلس السلطان الذى كان يختمه أحد الفقهاء بدرس من أحاديث البخارى .

إنتشرت هذه الكتب فى عهد الدويلات الإسلامية فى السودان و ألف بعضها كبار علماء الصوفية كأبى حامد الغزالى و عشق فقهاء السودان دراستها و شرحها و حفظها البعض عن ظهر قلب كحفظهم للقرآن الكريم .و تعلم أهل السودان كيفية صناعة الكتاب العربى الإسلامى الصوفى من هذه الكتـــــــــب و قراءتها و التبحر فى منهجها ، و إقتبسوا من بعضها جملاً و معانى .

و ألفوا أنماطاً من الصلوات و الترانيم التى ظل يرددها أتباعهم حتى الآن و تمتاز هذه الكتب بكبر الحجم . و صار الملوك يتفاخرون بكثرة الكتب فى بلاطهم و أرسلوا من يجلب لهم الكتب من مصر و الحجاز و لما كثر التأليف فكروا فى عملية صناعة الكتاب .

والذى وقفنا عليه من المخطوطات اليدوية مجموعة من كتاب القرآن الكريم المزخرف و المذين بألوان زاهية و جميلة و المكتوب فى كم هائل من الورق المقوى ـ و كذلك بعض المحفوظات كوثائق الأرض و التى تطرقنا لها فى هذا الباب و بعض الوثائق الخاصة بالمكتبات و الرسائل و المناشير .

و تطورت الكتابة فى عهد الثورة المهدية و تمت طباعة الكتب و إمتلك الخليفة عبد الله مطبعة لطبع الكتب و طبع فيها راتب الإمام المهدى .

و أثرت عملية الطباعة فى إزدهار الكتابة و النثر فى السودان و إهتم علماء الصوفية بالصلوات التى ظل يرددها علماؤهم و من ذلك الصلاة التى يرددها الشيخ أحمد الطيب البشير مؤلف الطريقة التجانية و التى قال فيها :

((اللهم صلي علي سيدنا محمد لاهوت الوصال و عين الكمال ، و مشهد الأسرار ، و منبع الأنوار و غرة عيون المقربون و الأبرار و على آله وصحبه و سلم عدد مافى علمك كائن من أو قد كان .

اللهم صلى و سلم على سيدنا محمد سراج قلوب السالكنية ، و جنة مشهد المحبين ، و راحة قلوب المحبوبين ، ولواء تاج العارفين ، و منشأ علم العالمين و جلال جمال الهائمين ، و على آله وصحبه و سلم عدد أنفاس المخلوقين ، اللهم صلي على سيدنا محمد مفتاح باب الملكوت ، وسر أسرار الجبروت ، و نور أنوار اللاهوت ، و خزائن رحمة الغفار ، وعين عناية الأخيار ، و على آله و صحبه و سلم عدد ما أودعت فى قلوب العارفين من حكم و أسرار اللهم صلي على سيدنا محمد بدر التمام و مصباح الظلام الشفيع المشفع فينا يوم الرحمة و الإزدحام ، النبى الذى هيئته نور فوق نور و رائحته المسك و ند و عنبر و كافور و ريقه شفاء لكل عليلة و معلول صلاة تشوقنا إليه ، و تهيمنا عليه صلى الله و سلم عليه كما تحب أن يصلى و يسلم عليهو اللهم أفننا فى محبته و عشقه ، و أسقنا من كاسات خمرته ، و أرزقنا يامولانا

فى الدارين صحبته . و أحينا على إتباع سنته ، و إمتنا على ملته و أجعلنا من رفقائه المصلين و المسلمين عليه . و الحمد لله رب العلمين اللهم أبلغ روح سيدنا محمد منا التحية و السلام)).

عدد الشيخ أحمد الطيب صفات النبى صلى الله عليه و سلم فى دعائه و أورد الكثير من الرموز التى يتقيد بها الصوفية فى نثره حيث قال علم اللا هوت و الوصال . و أن الكمال درجة من درجات التقيد عند الصوفية و هى صفة الذات الإلهيه .

و ذكر سراج قلوب السالكين أن نور أهل الطريق و اهل الطريق هم المتصوفة . و فيه المشهد المحبب . و إشتهر الصوفية أيضاً بكلمة اللواء التاج .

و من أشهر ما يميز الصوفية الحب و الهيام على الوجه و التفكر فى الذات الالهيه .

و تمسكوا بهذه الصلوات من أجل فتح باب الفرج و أيضاٌ علم سر الأسرار من الصفات الخالصة للصوفية الذين يدعون علم الكشف و المكاشفة و يفكرون فى علم الباطن اللدنى .

ويشتهر معظم الصوفية فى السودان بإستخدام المسك كالند و العمبر و غيره . و يختم دعائه بطلب الفناء الروحى و هى المرحلة التى يسعى لها كل سالك لطريق الخير و العبادة و سائر فى درب السالكين .

و لهذه الصلاة فضل و يحفظها أقطاب الطريقة و يداومون على قراءتها ليل نهار . و هى أوردت صفات النبى صلي الله عليه و سلم فى صور و صفات أقرب للتجسيد الحسى و يكاد أن يطابق المعنى منها البناء الكلامى . و تمت الصياغة بإسلوب سلس و تناول الشيخ رضى الله عنه الكلمات ذات الحروف الرنانة مثل (سر الأسرار) (الشفيع المشفع) (شوقنا إليه تهيمنا عليه) .

و ألف الشيخ أحمد البشير صلاة العظمة و يحكى قصتها أنه دخلته القبطة لما رأى بعض العلماء و الأولياء قريبين من النبى (ص) و تم إلهامه هذه الصلاة و بعد قراءتها تعشق رأيه فى بحر الأسرار و الأنوار . و يقول فيها :

((اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك و نبيك و حبيبك و رسولك ، سيدنا محمد النور الأعظم الباهر جوهر الجواهر، نور الأذهار، سر الأسرار، حلو المقال، جلال كل إجلال ، جمال كل جمال ، كمال كل كمال ، شاهدالكبير المتعال ، بيت الأحديه ، سراج الوحدانية سمت المعرف ، ميناء العوارف ، النور الموجود سبب الوجود قريب لبذات ، المحبوب الأعظم ، لاهوت القدم ، من أصطفيته على بنى حواء و آدم ، الوسيلة العظمى لمن توسل به إليك ياالله ياالله ياالله الهم سيره لديك ، و بحرمته عليك ، و بجاهه عندك و بسيره فى عروجه إليك ، أن ترزقنى عملاً بلا فترة ، و لا إبتداع و لا ميل للدنيا و لاللخلق لا سمع حتى أتصل به الى حضرتك ، و أن تتولى أمرى بجاهه عندك فى كل أمر يهمنى ياالله ياولى الأمر كله و سلم تسليماً كثيراً و الحمد لله رب العالمين . (١)

وردد فى الصلاة الكثير من دلائل علم الأسرار و الباطن الذى لا يعلمه إلا الخواص و هى تتحدث عن الأسرار و عن التوحيد و و عن القرب من الذات الإلاهيه و الفناء الروحي وتقف عند الإسراء و لمعراج التى صارت نمطاً مميزاً لكل الأدب الصوفى و صار يتمنى مجاراتها كآفة المتصوفة .

و يقول فى الصلاة النورانية :

((اللهم صلي علي سيدنا محمد ألف نور أحدته الوحدانية و هاء سر هوية الألهية ، و طاء طراز الحكمة الربانية ، و ميم مليك مملكة الملكوتية و سين سر أسرار السرمدية و قاف تقريب قربة الربانية . و كاف تكوين تمكين الكونية ، و حاء حياة

(١) سر الأسرار ص١٥ الشيخ أحمد الطيب البشير

أزواج العالمينية ، ولام لطف اللطفانية و عين تعظيم العظموتية ، و راء الرحمة الرحمانية ، و ياء يقين أيقان الروحانية و صاد أصماد الصمدانية ، و نون نور أنوار ذاتك العليه ، النبى الأمى الحبيب الزكى الطاهر الروحانى و محمد المحمود عبد الذات و رسول الأسماء و الصفات ، مفتاح عين عيون الفتاح ، المنذل الله عليه (**الله نور السموات و الأرض مثل نورة كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة و الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقسة و لاغربية يكاد زيتها يضىٔ ، لو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء و الله واسع عليم**) .

صلاة لا ترد و لا تنفد ، تستقرق العد و تحيط بالحد ، عليه و علي أصحابه و أهل الولاية من أمته ـ و سلم تسليماً كثيراً مادام ملكك مستمراً و الحمد لله رب العالمين حمداً لا ينحصر له عدداً و لاينقطع له مدداً .))

يذكر الكاتب عظمة النبى صلي الله عليه و سلم و يعددها و يستفيد من ترتيب الحروف فى تناولها . و يصفه بهوية الألوهية و طراز الحكمة الربانية ، و يذكر من الكلمات ذات الوزن الواحد العظموتية ، العالمينية ، الصمدونية ، و كلها مفردات متداولة فى الأدب الصوفى .

و يقتبس الأية التى كمل فيها و صف نور الله ـ و التدقيق فى و صف الزجاجة بالكوكب الدري . زادت هذه الآية النص النثرى للكاتب بهاءاً و نوراً و زينة .

إهتم الإمام المهدى بتوجيه الوعظ و الإرشاد و الدعوة لله لمقولتة ((إنى أتيت لإحياء الكتاب و السنة المقبورين حتى يستقيما)) و فى هذا الصدد تناول الإمام المهدى كل أنواع الخطابة تحدث فى الخطابة السياسية و تحدث فى الوعظ و الإرشاد و أشرنا إلى أن خطب الإمام المهدى فى الموافد و الهبات قليلة .

و أشهر كتبه فى مجال لدعوة و الوعظ راتب الإمام المهدى و حفظ عن ظهر قلب عند معظم أصحابه منذ إعلان المهدية و الى يومنا هذا و يداومون على قراءته مرتين فى اليوم . و تمتاز الكتابات النثرية الخاصة بالدعاء و التضرع و الوعظ و الإرشاد عند الإمام المهدى بالبساطة و السهولة ، و عدم التكلف و حسن الإيقاع و يهتم الإمام المهدى بالجرس الصوتى اللفظى و يتخلل كتاباته المحسنات البديعيه كالجناس و الطباق و الإقتباس .

و معظم ما قاله الإمام المهدى من دعاء ووعظ و إرشاد حفظ كتابةً و ذلك لقرب الفترة و كثرة القرآء و الكتاب و ظهور الطباعة التى و ثقت ذلك ــ و نورد فيمايلى نماذج للأدب النثرى الخاص بالوعظ و الإرشاد عند الإمام محمد أحمد المهدى : قال فى منشورة الذى أورده فى رمضان عام ١٣٠٢م(١) ((أما بعد فمن العبد الفقير الى ربه محمد المهدى بن عبد الله إلى أحبابه فى الله المؤمنين بالله و كتابه . أمابعد فلا يخفى تغير الزمن ، و ترك السنن و لايرضى ذلك ذو الأيمان و الفطن بل أحق أن يترك لذلك الأوطار و الوطن لإقامة الدين و السنن))

بدأ الكلام بوصف نفسه بالفقير الى الله و ذكر أحبابه بماجاء من تغير فى و ضع الحياة الإسلامية و يريد بذلك أن يبلغهم إلى ضرورة التمسك بحدود الله تعالى . و قال الأمام المهدى ((و بعد فيقول العبد لله محمد المهدى أن هذا الذى أقبل هو شهر رمضان ، زمن الإقبال على الرحمان ، و ميدان للإشتياق إلى عظيم الشأن مأنزعوا أيها الأحباب للديان ، ووطنوا قلوبكم على الشدائد و الرضا بالبلايا و الإمتحان ، حيث أوعد الرحمن لتبين حال أهل الصفوة و الرسخان و يبشر الصابرين بعظمة الشأن و حسن العواقب و تولية الديان))

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٥٤٩ تحقيق عبد إبراهيم الأنصارى

وتعارف الإنصار على هذا النشور و صاروا يرددونه كل عام بعد حلول شهر رمضان و يبدأ يضاً بوصف نفسه عبدً فقير لله تعالى . و هيأ أصحابه للأستعداد لشهر التوبة و الغفران بالتقشف و الصبر على البلايا و المحن .

ولتقريب المعنى و سهولة الشرح للقارىء يضرب الأمام المهدى فى منشوراته الوعظية الأمثال و يستفيد من معطيات البيئة المتاحة و التعارف عليها عند كل الناس و جاء ذلك فى قوله . يصف فيه علاقته بالطرق الصوفية التى كانت قائمة قبل ظهور و إعلان مهديته ، و يقارن بينها و بين المهدية فى قوله :

((لو فرضنا أن كل قبيلة حضرت تمدة لتشرب منها و إعتادت أن تشرب منها زمناً طويلاً فجاء البحر و غطاها كلها فماذا يفعلون به ـ هل يكتفون بأن يشربوا من البحر أم يبحثون وراء التمد فلم يجدوه إذ يعمه النيل و يصير جزء منه قال لهم هكذا الحال الآن))

و هذا التمثيل يعطى صورة كاملة و جميلة وو صفة للطرق الصوفية موضع التمد لا يعنى التقليل من شأنها و إلغائها و لكنه أراد أن يقول أن هنالك تجزر و تقزم للطرق و إبتعدت عن بعضها البعض وهو يريد أن يقربها من بعضها و ذلك عن طريق المزج و إعادة الترتيب فصارت مياها مكملة لمياه البحر لكنها ذهبت فى تيار الدعوة الشاملة و المصالحة الكاملة بظهور الدولة المهدية و ذلك إستعداداً للمرحلة القادمة و التالية للظهور و هى مرحلة إحياء الكتاب و السنة بالتفاوض و الدعوة و الإرشاد أو خوض المعارك من أجل أرساء كلمة الله و جعلها هى العليا و جعل سلك الإمام المهدى عليه السلام هذين الطريقين .

و شكر أئمة المذاهب الأربعة و قال فيهم جزاكم الله خيراً فقد درجوا الناس و وصلوهم إلينا كمثل الراوية و صلت الماء من المنهل الى المنهل حتى و صلت من جهة البحر جزاهم الله خيراً .

شكر الإمام المهدى أئمة المساجد على دورهم الذى قاموا به و أيضاً أراد أن يضعهم موضع أصحاب الطرق الصوفية الأخرى فهم أيضاً كالراوية التى تحمل الماء من منهل الى منهل .

ووصف دعوته بأنها بحراً ذاخراً و لايمكن أن ينضب و البحر الذى فى الراوية يمكن أن ينضب و لكن مهمتهم كمنت فى توصيل الرسالة فهم قاموا بواجبهم خير قيام و دعا لهم بالأجر فى ذلك .

و كما أشار الباحث فى بداية حديثة عن أدب النثر الخاص بالدعوة و الإرشاد و الوعظ نال حظاً كافياً من النشر و الحفظ و ذلك لعدة أسباب منها أنه يبرر ليل نهار بقصد العبادة و كسب النفقة فى الدنيا و الآخرة .

وضع بعض علماء الصوفية أرقام معينة للعبادة و صاروا يعطونها للمريدين و سميت عند بعضهم بالوظيفة و هذه الوظيفة واردة التنفيذ و تم تخويف بعضهم بأن يحل عليهم العذاب أو المس الشيطانى إذا لم يداوموا عليها ، وهذا ماجعلهم يحفظون دعواتهم عن ظهر القلب بكثرة التكرار .

و تم طبع الكثير من الكتب الخاصة بالدعاء و التضرع و الوعظ فى شكل كتيبات صغيرة سهلة الحفظ و القراءة و سميت بالأوراد .

و أشتهر عهد الممالك الإسلامية فى السودان بنمط آخر من النثر و هو النثر العلمى أى الذى يختص بنقل العلوم و شرحها و حفظها . و نعنى بذلك مجموعة الكتب التى تم تأليفها فى هذه الفترة .

و المخطوطات العربية الوافدة من عدة أماكن من العلم العربى المختلفة بواسطة العرب و المسلمين الذين هاجروا للسودان .

شجع سلاطين الفونج و الفور و ملوك العبدلاب و تقلى و غيرهم دخول العلماء و الفقهاء و رجال الدين إلى ديارهم من مصر و المغرب و الحجاز .ووافق ذلك الزمان غلبة الطرق الصوفية فى مصر و الحجاز و المغرب و هيمنها

على حياة الناس الإجتماعية و الدينية ، و إنتشرت الكثير من من الكتب منها شرح مختصر خليل لكل من ضيف الله بن على و مختبر بن جودة .

و حاشيته على مختصر خليل لمحمد عبد الله الأغبش و رسالته فى الفتـــاوى و الأحكام لعبد الرحمن بن صغيرون ، وشرح الرسالة لمكى النحوى الرباطـــــابى و كتبوا فى علم التوحيد كتباً . منها الكتب التى صنفها محمد المضوى بن محمد الراوى و هى الحاشية على أم البراهين و الوسطى على أم البراهين و الصغرى على أم البراهين .

شرح المضوى . الأمالى . و شرح عقيدة رسالة إبن أبى زيد القيروانى . و شرح حمورة الكاهلى مقدمة السنوسى ، و ألف أرباب العقائد ـ الجواهر فى أركان الأيمان و نظم الشيخ فرح و د تكتوك نظم العقائد فى قصيدة شعرية بالعامية السودانية .

حتى للذكر و العابدة تم تأليف كتاب آداب الطريق و آداب الذكر للشيخ إسماعيل صاحب الربابة و صفة الفقير لمحمد هدوى و إشتمل على و صف الأخلاق الصوفية و يقول عون الشريف قاسم عن هذه المؤلفات .:

((مما يؤسف له أنه لم يصلنا شىء مما ألفه علماء السودان قبل القرن التاسع عشر و الشائع أن بعض تلك المؤلفات مازال موجوداً عند الأسر الدينية . إلا أننى لم أوفق فى الإطلاع عليها . و من ثم يتعذر إصدار حكم عن قيمتها العلمية .

و قائمة الشروح و الحواشى التى ذكرناها و المؤلفات تعكس إنتاجاً ضعيفاً باهتاً يقلب عليه التقليد و لا يعبر عن نشاط خلاق أو فكر أصيل و حقيقة الأمر أن ما ألفه السودانيون حينذاك لا يرقى لمرتبة إنتاج رصفائهم فى تلمسان أو تمبكتوا فى الجزء الغربى من البلاد لأن الرحالة الرحالة الأسكنورى جميمس بروس الذى زار مملكة الفونج فى عام ١٧٧٢م لم يحضر معه المؤلفات السودانية سوى قائمة بأسماء ملوك سنار .

وهذا مايدل على عدم نشر هذه المؤلفات بل تم تأليفها و حفظها عند العلماء و أكتفى الناس بالسماع لها و نقل تعاليمها بالرواية الشفهية و السماع و تناقلوها جيلاً عن جيل وهذا مايمكن المخترقين و المحرفين من الإضافة و الحذف لها بقصد أوعن طريق الخطأ .

و أهم الكتب التى تم نشرها و تأليفها فى هذه الفترة و يعد مرجعاً أساسياً لكل الدارسين للأدب و التاريخ فى عهد الدول الإسلامية فى السودان هو كتاب العلم محمد النور بن ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى الوثيقى .

ولد بحلفاية الملوك حاضرة ملوك العبدلاب عام (١١٣٩ـ ١٧٢٨م) و ترعرع فى مناخ دينى يغلب عليه التمازج بين المتصوفة و الفقهاء ، وهو جو مشبع بمآثر الأوليـــــــــاء و كراماتهم .

كان فقيهاً معتبراً ، وقاضياً عادلاً ، و تحت هذه الظروف تم تأليف كتابه و يقول عن ذلك (و بعد فقد سألنى جماعة من الأخوان أن أؤرخ لهم ملك السودان ، و أذكر مافيه من الأولياء ، و الأعيان ، فأجبت سؤالهم مع أنه لم يكن لأسلافنا و أسلافهم و ضع فى هذا الشأن إلا أن أخبارهم متواترة عند الخاص و العام منهما ما بلغ حد التواتر فأحببت أن أذكر ما تواتر و إشتهر)

و جمع الكاتب مناقب أهل السودان الإجتماعية و الثقافية و الأدبية فى دولة الفونج . وتناول معظم المعلومات دون نقد ، و لعل السبب فى ذلك حياته الدينية و إيمانه بالكثير من الحكايات و الكرامات الواردة فيها .

و تم نشر كتاب الطبقات فى عام (١٩٣٠م)على يد إبراهيم صديق و سليمان أفندى داؤود منديل و يمكن ان ننظر لهذا الكتاب و القسم الأول يؤرخ بإيجاز لبداية مملكة الفونج الإسلامية و أوائل ملوكها وتاريخ ملوك العبدلاب و يذكر إسم علماء الصوفية الذين إشتهروا و أسهموا فى نشر الدين الإسلامى بطـــرق منظمة و إهتم فيه برجال الدين و العلماء و القراء و الخطباء و القضاة .

و نشأ المؤلف فى تراجمه بمن سبقوه من مؤلفى الطبقات فى العالم الــعربي و الإسلامى مثل إبن العسقلانى و السبكى . وكان يلتزم بالترتيب الأبجدى . وكثير مايترجم لشخصيات حسب أسم الشهرة .

و نشأ الؤلف فى حلفاية الملوك تلك المنطقة دات الشهرة فى العمل التجارى و العلمى و شهدت أكتمال إنشاء الثقافة و اللغة العربية و الدين الإسلامى و لحلفاية الملوك موقعها المميز على ضفاف النيل بين دنقلا و الحلفاية و الجزء الشمالى من الجزائر و هى تطابق نفوذ العبدلاب مما جعله يأخذ بشخوص كتابه منها . ولا تجد فيه إلا صدى خافت للأماكن النائية مثل بلاد البجة و التاكا و كردفان و دارفور .

و إعتمد المؤلف فى كتابه على الروايات القوليه أو خلاصة الموروث الشعبى الذى تناولته الأجيال . و المصادر الخطية ، و هى تشمل الإجازات التـــى يقدمها الأساتذة لطلابهم و الفتاوى الشرعية و جوانب من السيرة الخاصة التى و جدها المؤلف مكتوبة ، و مانقله من المؤلفات الإسلامية ((كمختصر الخليل)) و رسالة إبن أبى زيد القيروانى و إبن الأثير و الشعرانى ، و ملاحظاته الخاصة و مايرويه كشاهد فى زمانه .

و يمتاز أسلوب الكتاب بالبساطة و الحيوية كما أن أغلبت العامية عليه و تداخل مع الفصحى فى غير ماصنعة أو تكلف تجعل منه نموذجاً فريداً للنثر العربى فى السودان . و صار كتاب الطبقات بصورته الحالية مرجعاً أساسياً للشيخ عبد المحمود بن نور الدائم بن الشيخ الطيب فى تأليف كتابه .

من المخطوطات العلمية الهامة و المميزة لهذة الفترة هى و ثائق تمليك الأرض فى دولة الفور و الفونج و تهتم هذه الوثائق بتمليك الأراضى و مايدور حولها من موضوعات مثل موقع الأرض و فائدتها و خصوبتها و الرجل الذى قام بإهدائعا و صفته الدينية و موقعه السياسي فى الدولة ، و ذكر شىء من صفاته

الحميدة و غالباً ماتكون من أجل عظمة المهدى إليه أو زهد من رجل الواهب فى الدنيا و طمعاً فى التقرب لله ذلفى بالهدية .

و تذكر الوثائق المهدى إليه و يكون دائماً من الفقهاء و المحدثين و معظم من وهبوا لهم الأرض من الفقهاء الإسلامين المتصوفة الذين قدموا لبلاد الفونج عن الطرق التى ذكرناها و يمتازوا بقوة الأيمان و الصدق فيه و الحنكة فى العلم و حفظ القرآن الكريم ، و يقومون بتأسيس الطرق الصوفية التى يتبع لها الملوك أنفسهم فيكون الملك حاكماً للدولة و محكوماً بواسطة رجل الطريقة الصوفية فى العقيدة و بالتالى تمكن رجال الطرق الصوفية من التأثير الكامل على آداء الدولة . و معظمهم عملوا كتاباً فى بلاط الملك وزينوا خواتيم هذه الوثائق بذكر أسمائهم بعد ذكر الشهود الذين حضروا كتابة الوثيقة .

و أول من أشار لهذه الوثائق الدكتور هـ . ج . أركل فى مقال له نشره عن الفونج بمجلة السودان عام(١٩٣٢ م) و أعد الدكتور محمد أبراهيم أبو سليم كتابً يحوى(٣٢) وثيقة ـ و لعبت هذه الوثائق دوراً هاماً فى نشر الثقافة العربية فى السودان فى عهد دولة الفونج ـ و تبدأ الوثيقة بمقدمة تشمل البسملة و الحمدله و تبدأ بوصف قصير للوثيقة مثل .

حجة سلطانية ووثيقة ملوكية وتلى ذلك بعض الألفاظ التى يمدح بها الملك مثل (من السلطان إبن السلطان و يحوى صلب الوثيقة معلومات مفصلة عن موضوعها ، و نوع الهبـــــة و ماتبعها من إمتيازات و إسم المقدمة المصدق عليه ، و فى الخاتمه تذكر أسماء الشهود . و إسم الكاتب و تاريخ إصدارها ، و يوضع ختم السلطان عادة فى أعلى فى أعلى الوثيقة . و يمكن تقسيم هذه الوثائق التى تهتم بإبراز حقوق التمليك ، و ماتبع ذلك من الضرائب ــ ويؤكد النوع الثانى تجديد إستمرار حقوق التمليك ــ و الإمتيازات و الإعفاءات بعد موت المالك الأول أو ورثته و يعلج

النوع الثالث المنازعات التى تنشأ نتيجة تلك الهبة و حكم الشريعة فى ذلك و تأيد السلطة له .

و يشتمل النوع الرابع بعض الخطابات الرسمية و التى تعالج بعض القضايا الإدارية البحتة كالإستفسار عن حالة بعض الفقراء و إخطار ملك العبدلاب أن السلطان قد وهب جزيرة لأحد الأسر السودانية .

و أهمية هذه الوثائق تكمن فى كشف نمط الأساليب الديوانية و مدى تأثرها و تأثيرها بالنظم السائدة فى العام العربى و الإسلامى . مثل النظام الإسلامى فى عهد الدولة الأمـــــوية و العباسية و عصر صدر الإسلام و كذلك المقارنة بين العمل الديوانى فى هذه الممالك و العمل الديوانى الذى ساد الدولة العثمانية .

فى طريقة المنازعات و طبيعة نظام إقطاع الأرض للأسر و الأفراد و الوثائق عبارة عن قطع نثرية يتفاوت نظمها فى الجودة من وثيقة لأخرى و الذى يميزها أنها توثق لمنح قطعة أرض أو حاكورة موهوبة من ملك لأحد زواره أو أتباعة أو أحد العلماء المتصوفة الزائرين .

و تتم كتابتها بواسطة كتاب متخصصين فى البلاط الملكى و يزيلون هذه الرسائل بوضع أسمائهم فى آخر سطورها . و نورد العديد من هذه الرسائل فى باب الدراسة الفنية للنثر العربى و أثره بالتصوف فى السودان و الخاص بفترة دولة الفونج و الفور و المهدية .

إشتهرت بعض الكتب العلمية فى هذه الفترة و كانت لها الصدارة دون غيرها من المؤلفات و قام العلماء بدراستها و شرحها و تدريس لأتباعهم و مريديهم و من هذه الكتب العلمية الهامة التى و جدت صوتاً عالياً فى هذه الفترة كتاب الشونة

و يرجح الكاتب مكى شبيبكة النواة الأولى من هذا الكتاب أن يكون من تأليف الشيخ أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة . و يقر البصيلى عبد الجليل أن

مخطوطة دار الكتب المصرية التى إنتهت فى ربيع الأول عام ١٩٥٤م أقدم النسخ التى و صلت و أن نسخة قينا تحتوى معلومات تاريخية هامة عن أصل الفونج .

و أول من تعهد بتعديل الكتاب هو الزبير بن الشيخ عبد القادر ود الزين المشهور ين فى الفونج و بين قصده من مراجعة الكتاب فى الآتى :

(و لنرجع إلى ماذكرة صاحب التاريخ و ما قصده بجمعه من إبتداء عمارة سنار و ملوكها و سيرهم و ماحصل لهم فى أيام كل منهم ، لكنه غير مرتب و فيه وتقديم و تأخير وتند يل و تغير و لاسيما و كتابه بالألفاظ العربية العرفية لا العربية الأصلية على حسب الإمكان تصلح ألفاظها إنشاء الله و تخريجها على نمط يقبل فى الجملة .

و نقح كتاب الشونة للمرة الثانية الشيخ إبراهيم عبد الدافع الذى درس العلوم فى مسيد ود عيسى و سعى إلى تهذيب أسلوب كتاب الشونة مستفيداً من ملاحظات ود ضوة . و من الكتاب الذين إهتموا بالشونة الشيخ الأمين الضرير (١٢٣٠ــ ١٣٠٤هـ) و قال يمكن تقسيم الكتاب الى قسمين رئيسين أولهما يؤرخ لمملكة الفونج و الثانى للإدارة التركية المصرية وبين الشيخ أحمد غرضة على ديباجة الكتاب بقوله :

(أمابعد فإنى رأيت تواريخ للأقدمين فى عد سنين الملوك السابقين و أحببت أن أجمع إلى ذلك شيئاً من إبتداء عمارة سنار المحروسة المحمية ، و أذكر ماكان فيها و من ملوكها و على ماسمعته الأذن و شهود فى آخر ملكهم بالأعين .

و يشتمل الجزء الأول مقدمة هامة عن بداية مملكة الفونج تختلف تفاصيلها من نسخة لأخرى و نبذة عن أوائل ملوكها . و سير بعض أولياء الله الصالحين و علماء الدين و المتصوفة و يبدو أن المؤرخ قد إطلع على تاريخ ملوك الفونج ببلد سنار .

و فى عهد السلطان بادى أبو شلوخ أعظم ملوك سنار (١١٣٦ــ ١١٧٥م) أصبح الكتاب ينشر أخبار مملكة الفونج خاصة حينما شهدت الجزيرة الكثير من الإضطرابات و الثورات التى تمثل تطاحن القوى المحلية حول السلطة . و المؤلف يكتب عن مشاهده و تجاربه الشخصية أونقلاً عمن عاصروا الأحداث.

و يقول فى تاريخ ملوك العبدلاب ((هذه مقدمة تاريخ العبدلاب المقيمين بمدينة قرى المحروسة و نواحيها . إنه لما و ردنى خطاب من لايسعى مخالفتة بجمع هذا التاريخ صرت أتفكر فيما أصنع لانى لست أهلاً لذلك ، و أقمت أياماً مهتماً بهذا الأمر الشريف لأنه مدة أيام ملكهم مضت عليها سنين متطاولة و قروناً ماضية فتذكرت فى الحين كلمات سمعتها من كبار المتصوفين ، كمثل أبى الفقيه أحمد الخضر العباس . وجدى الأرباب الحسن شاور عجيب ، و الفقيه حسن ولد بخيت .... فى سيرة ملوك العبدلاب و جمعت هذا التاريخ من بداية القرن العاشر الذى قام فيه الشيخ عبد الله جماع الشهير بالقرين لهذا الأمر بموافقة الملك عمارة دنقس الأموى و ذكرت فيه من ولى بعده إلى أن وصل الشيخ ناصر ولد جماع الشهيد بحرب الإمام المهدى ضد الأحباش فى القلابات فى زمن المهدية .

و إهتم الصوفية بالأوراد و الرواتب و المولد النبوى الشريف و كتبوا أنواع النثر العلمى الموجود فى المكتبة السودانية .

و كتب فى هذا المجال الشيخ أحمد الطيب البشير حزب الأمان ، و راتب السعادة ـ و كتاب الحكم و تمت كتابة هذا الكتاب على نهج كتاب إبن عطاءالله السكندري .

و أورد له الشيخ حسن الفاتح قريب الله أسماء خمسة عشر كتاباً فى بحثة المقدم لنيل درجة الماجستير عن التصوف فى السودان (٤٥) و ألف الشيخ أحمد الطيب كتاب شرح لاهوت الوصال الذى حققه من بعده عبد المحمود نور الائـــــم

و كتاب خواص الأسماء و جواهر التوحيد الفريدة فى علم الوحدة و التوحيد و يشير فيه إلى مذهب وحدة الوجود .

و من العلماء الذين أثروا ساحة النثر العلمى فى السودان الشيخ محمد المجذوب بن الشيخ قمر الدين المجذوب حفيد الشيخ حمد المجذوب و تبحر فى علوم الدينية فى مكة المكرمة ـ و كان أمين أساتذة الشيخ أحمد بن إدريس الفاسى الزعيم الصوفى و المصلح الدينى المعروف (٤٦) ألف قصة المعراج المسماة بالجمانة اليتيمية و جاءت فى ذكر الأسراء و المعراج فهو لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدقة الوجود وسر وعنى كلمة كن قلبه ، و لم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ورفعها الى حضرات قلبه و الطواف بها على ندمات حضرته و أمكان حماله و مظاهر حبه .

من علماء المتصوفة الذين ألفوا كتباً قيمة فى مجال النثر العلمى . الشيخ محمد عثمان الميرغنى الكبير . و من مخطوطاته الإجابة و الإنابة النورانية فى شأن صاحب الطريقة الختمية ملاذنا السيد محمد عثمان الختم (٤٧) و يقول فيها (أنها كثيرة العدد غزيرة المدد محمدية السنة ، ألاهية المشهد . ولايؤلف تأليفاً إلا بإذن صريح محمدى ، وارد إلاهى أحدى . بل لا يقدم على أمر من الأمور صغر أو كبر جل أو قل إلا بإذن صريح فمن ذلك تفسيرة القرآن العظيم ، فقد نشره بتفسير جليل سماه تاج التفاسير على كلام الملك الكبير))

و قال فيه (قال لى رسول الله صلي الله عليه وسلم إعتمد فى تفسيرك هذا على الإبقاء الإلهى الذى يرد عليك أكثر من نقلك عن الكتب و لاتخف من ذلك فإنك لا تخطىء))

و ألف فى الحديث كتاب (رحمة الأحد فى إقتفاء أثر العمد) و كتاب آخر بإسم (الوعظ الثمين فى تعمير إعصار رمضان الكريم)

و شرح ألفية السيوطى فى علم البيان ، و ألف منجية العبد من هول يوم الوعد و الوعيد ، و كتاب الفيوضات الإلهية المتضمنة للأسرار الحية ، و كتاب الفتح المبروك ، و الهبات المقتبسة فى أحوال الرجال و أهم مؤلفاته النفحات الملكية و اللهجات الحقيقية فى شرح أساس الطريق الختمية .

و كتاب مولد النبى صلي الله عليه و سلم المسمى الأسرار الربانية فى مولد أشرف الخلائق الإنسانية و شرح الراتب المسمى بالأسرار المترادفة تعليقاً على راتبنا الأنوار المتراكمة من الحضرة الإلهية و الخيرات اليسارية بدعاء جملة منى الأولياء المحمدية .و كتابات السيد محمد عثمان الميرغنى من المراجع الهامة و الدالة على الإهتمام بالكتابة النثرية . و ساد الأسلوب الرصين و الوزن فى آخر الكلمات و سهولة إنسياب القراءة و المعنى و الشكل و بناية الجملة .

و يتضح ذلك من عنوان الكتاب و حشد فى كتبه الكثير من الرموز الصوفية و الكلمات الدالة على قوة تمسكه بالأدب الصوفى مثل الأسرار الربانية و علم ألاهوت . والدراسة الباطنية ، و الفناء فى الذات الإلهية ، و الأنوار السماوية .

و إهتم العلماء بدراسة هذه الكتب و صارت مراجع للمهتمين بالأدب عامة و الدراسات النقدية بصفة خاصة . و أن العلماء قاموا بشرح بعض مؤلفات الشيخ محمد عثمان الميرغنى .و تم حفظ المولد النبوى الميرغنى بواسطة أتباع الطريقة الختمية و إتسعت دائرة المهتمين به و صار يردده غير الختمية فى إحتفالاتهم بمولد النبى صلي الله عليه وسلم و ذلك لمافيه من نثر رصين ، و أسلوب سلس و كلمات مألوفة .

تم حفظ عدد كبير من مؤلفات الشيخ محمد عثمان الميرغنى عند أتباعه و مريديه الختمية حتى اليوم . و بعض المؤلفات خضعت للدراسة لتوضيح أهميتها . و أثر أدب السيد محمد عثمان اليرغنى أثراً إيجابياً على حصيلة النثر العربى فى السودان و أضاف الكثير من الكتابات للمكتبة السودانية .

و كتب محمد بن عمر التونسى (١٢٠٤ــ ١٢٧٤) كتاب تشحيز الأذهان بسيرة العرب و السودان و أورد فى كتابة العادات و التقليد عند الفـــــــور و يصف نظم الحكم و السياسة . و إنتشار السحر بينهم و إيمانهم بالجن .

و يقول فى ذلك : (من أعجب ماسمعته بجبل مرة أن الجن ترعى مواشيهم فى الكلأ بدون راعى معهم ، و لقد أخبرنى عدة رجال ممن يظن صدقهم ، أن الأسن إذا مر بمواشيهم و رأى أن لا راعى لها ربما طمع فأخذ منها شاة أو بقرة أو غير ذلك . فإن ذبحها تلتصق يده بالسكين على نحرها و يعجز عن فكاكها حتى يأتى أرباب الماشية و قد تكرر على سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر مع إنى لا أصدقه .

أشرنا فى أماكن سابقة من البحث أن الكتب العلمية و المخطوطات الخاصة بهذه الفترة لم تجد حظها من النشر إلا أن الذى نشر أو إنتقل جزء منه بالسماع شكل حضوراً هاماً فى نشأة النثر العربى فى السودان .

الفصل الخامس

الخصائص الصوفية و أثرها الفنى على النثر العربى فى السودان

الفصل الخامس

الخصائص الصوفية و أثرها الفنى على النثر العربى فى السودان

خلال القرنين الأولين للهجرة ، إتخذ الناس التصوف كطريقة من طرق العبادة و يسمى المتصوف ، الفقير و العابد ، و الزاهد و الناسك . و تطور فى القرنين الثالث والرابع الهجريين بعد أن توسع مفهوم العبادة و الدين و إنتشر الدين الإسلامى فى كآفة المعمورة صار يعرف التصوف بعلم الباطن و تناول المتصوفة دراسة الشريعة فى العبادات من ناحية تأثيرها فى قلوب المتعبدين . و يختلف علم التصوف فى هذه الناحية عن علم الظاهر الذى درسه الفقهاء لغرض الظواهر المشاهدة كالعبادات و رسومها .

و أصبح فى القرن الخامس الهجرى طريقاً ذوقياً و منهجاً يوصل إلى المعرفة و يستعان به على تحقيق السعادة و تنقسم الشريعة عند المتصوفة إلى قسمين علم ظاهر و علم باطن ، و الصوفية أهل الباطن . و الحقائق الخفية و تميز الصوفية بهذه المعرفة الباطنية التى يتحكم فيها القلب و ذلك كما ذكره الشاعر الصوفى :

قلوب العاشقين لها عيون * ترى ما لايراه المبصرون

و أجنحة تطير بغير خفق * إلى ملكوت رب العالمين

ويقول النص أن المعرفة تأتى عن طريق الإعتبار و الإستبصار ، و إحتكم الصوفية إلى الضمير و مايوحيه من حكم على الفعل المعين بأنه خير أو شر .

حتى نقف على النثر العربى فى السودان و ندرس الأثر الذى و قع عليه من علماء الصوفية ، لابد من دراسة إنتاجهم النثري دراسة تحليلية . لأن معظم علماء الصوفية فى السودان كانوا كتاباً يجيدون اللغة و الكتابة ، و تجاوز النثر

عندهم الكلام العادى ، و النثر العلمى الذى يوصلون به المعلومة إلى محاولة التزويق و التزين لغة النثر . و ظهرت بعد بوادر الصنعة المتمثلة فى الجناس و الطباق و التمثيل والإقتباس و السجع و الترصيع والتشبية و الكتابة التصورية الجميلة .

و نقف على ذلك من خلال دراستنا لبعض لكتابات بعض الشيوخ المشهورين حتى نستطيع أن نعمم ما قلناه من صفات و خصائص على بعضهم الآخر . ومن هولاء الكتاب الذين أثروا الساحة الصوفية و الأدب السودانى بالكتب القيمة الشيخ أحمد الطيب البشير .

و يعد الشيخ أحمد الطيب البشير واحداً من الذين ساهموا فى نقل الكتابة النثرية فى السودان لمرحلة متطوره عن تلك المرحلة التى تمت كتابة الكتب و المنشورات الدينية و الصلوات و الوثائق بالدارجة و العامية .

و يصف درجات ولى الله بقوله (أدناها الولى أن يكشف الله له من الملكوت إلى الظلمة وهو الكشف عن عالم الملكوت و أوسطها الكشف عن عالم الجبروت و أعلاها الكشف عن عالم اللاهوت و قال فى ذلك ((توحيد الظاهر تقوية لتوحيد الباطن إن سلم صاحبه من دائه الكامن و نظر لله تعالى .

تنقسم الشريعه فى نظر الصوفية إلى قسمين علم ظاهر وعلم باطن .و إهتم الصوفية بالباطن . و بالحقائق والفقهاء هم أهل الظاهر . و إهتم الصوفية بالمعرفة الباطنية الحاصلة عن طريق القلب فى حين تقول النصوص الدينية المعرفة آتية عن طريق الإعتبار و الإستعبار ، و إحتكم الصوفية إلى الضمير ، و مايوجبه من حكم على هذا الفعل بأنه خير و على ذلك الفعل بأنه شر فى حين أن شريعة القرآن تقوم أفعال الناس حسب الظاهر . و تعاقب المسىء على إساءته و تثيب المحسن على إحسانه (١)

إنحاز الصوفية إلى الجانب العمـــلى ، و الجانب النظرى عندهم قليل ، و يصف أحمد يوسف هاشم فى كتابه فجر التصوف قائلاً (٢) ((إن طرق المواصلات إلى جانب إنحيازهم (أى العلماء) جميعاً فى مكان واحد هو مقر الملك سنار قد سبب فشلاً فى إنتشا العلم بين الناس فنسمع بأن عالماً فى المسيد و آخر فى بربر ، و ذلك فإنى أقرر فى غير هوادة أن التعليم قد إستمر فردياً منحصراً فى جهات معينة و قليلة ، و مابين البلدة و الأخرى فراغ غير محدود مغمور بجيوش الجهة))

يشير الكاتب هنا إلى مركزية العلم بحاضرة الدول الإسلامية وذلك بسبب سعى العلماء للتواجد فى بلاط الحكام . و هذا ماتسبب فى وجود هوة ساحقة بين العلم و الجهل و تسبب فى وجود فوارق كبيرة بين حاضرة الدولة و بين ريفها و قراها . ويتميز الأتباع بالنقل من رؤساء الصوفية دون تقيد و علم فيسمعون الأذكار و التعاليم و أساليب العبادة فينفذون مايتلقون دون أن يتعلموا أبعاد و مقاصد الثقافة الصوفية و لم يجتهد الرؤساء فى تعليمهم هذه المقاصد .

ورؤساء الطرق ذوى دراية بأهمية أسس التصوف و يدركون مقاصـــــده و لايتساوى كل الرؤساء فى ذلك ، فالجانب العملى فى الصوفية كان يوشك أن يكون هو إنتاج الأتباع الوحيد فى ذلك الحين ، أما الجانب العلمى و جانب المعرفة لنظريات التصوف فيتجلى عند بعض كبار الرؤساء الروحانيين و إذا تبعنا ثقافة هولاء الرؤساء و التى يمكن أن نجعلها مقياساً نقيس به عطائهم النثرى فى هذه الفترة و مدى إلتزامهم بها فنجد هم يتحدثون عن المجاهدات و الكشف و التصرف بالكرامات و الملامة و الشطح و غيرها .

---

(١) تاريخ العربية فى السودات ـ عبد المجيد عابدين

(٢) كتاب الفجر ص٥٣٦ ـ أحمد يوسف هاشم

و لكنه حديث سريع خاطف لا يكون فى جمله فلسفية صوفية إن صح التعبير ، ولا منهجاً شاملاً لحياة روحية فتحدثوا عن المجاهدات و هى كما يقول مؤرخوا الصوفية ، مايقوم به الصوفى من العبادة ، والإعتكاف و تقلب بين حالات و الخوف و الحب و الإنجذاب و الصحو .

و تحدثوا عن المكاشفة ، و تعنى إدراك الصوفى لحقيقة الصفات الربانية ،والعرش ،والكرسي والملائكة ، والوحي ، والنبوة والروح وحقيقة كل موجود وغائب اوشاهد وهذا الكشف يحصل للسائل نتيجة لجذبة نفسه من مجاهد وخلوة وذكر- فهناك ينكشف له الحجاب الحسي ، ويطلع على عالم امر الله اطلاعاً لا يستطيعه من لا يزال مقيداً بقيود الحس - وفي ذلك يقول ودضيف الله (١) في الطبقات نقلاً عن الشعراء ((كشف الأولياء إلى قسمين منهم من ينظر في اللوح فإنه لايتغير ولايتبدل كسيدى على الخواض ونحوة ، ومنهم من ينظر في الواح المحو و الائيات وعدتها ٣٦٠لوحاً ثلاثمائه وستين الولى بكلام ولم يقع فلا ينكر عليه بآن يقال كذب بل يحمل على أنه نظر الواح المحو والاثباث))

يشير الفقيه ودضيف الله إلى ان الكشف لايتم بطريقة واحدة وهذا مايجعل بعض الفوارق بين الشيوخ ومايقوم عليه قانون ترتيب الدرجات فهناك من يكشفون مباشرة وهناك من يتغير نظام الكشف لهم .

ويلتمس الشيخ العزر للمجموعة الثانية حينما لايصدق كشفها وذلك من باب المداومة على السعي لبلوغ المرتبة الأولى ويتم ذلك بالمداومة على المذاكرة والعبادة.

والكشف غاية يسعى لبلوغها كل صوفي وينقطع في العبادة والذكر واحياناً ينعزل من الناس حتى يشتهر ويعترف الناس بكشفة .

---

(١) الطبقات ج٢ ص ٣٨ ود ضيف الله

واشارة الكتاب إلى الصوفي الذي تحقق فيه وحدة المضمون والمعنى إي الشكل المضمون أي الجانب العملي إلى الجانب العلمي وقسموا هذا النوع لثلاثة درجات كبرى ووسطى ، وصغرى .

فالصغرى أن يطيروا في الهواء ، ويمشوا في الماء والوسطى ان يعطية الله الدرجات الكونية ((اذا قال للشئ كن فيكون)) والكبرى درجات القطبانية - م ظلال الاطلاع على اقوال اقطاب المشائخ الصوفية يمكن الوقوف على منهجهم العلمي مثل قول الشيخ اسماعيل الولى في سالك الطريق .

((ان محبته لشيخه تورثه الفناء في محبة الرسول صلى الله علية وسلم ، لان الشيخ هو الواسطة إلى حضرة الحق الرسول صلى الله علية وسلم ، والرسول هو الوساطة العظمى إلأى حضرة الحق جل جلاله وعلى عكس ذلك ، اشار الشيخ العبيد ود بدر إلى احتمال المريد على بعض ملا يرضاه في احوال الشيخ ، فمثل هذا المريد لا ينقص محنته ، فان نقصت من محبته بوجود رجالة رآق فهو كاذب لايصلح للطريق لان الشيخ لايعمل عملاً إلا على أصلة))

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني ((البيضه منا بالف والفرخ لايقوم)).

وهكذا تواطأ معظم علماء الصوفية على اهمية فناء المريدين الروحي في محبة شيوخهم وهي التي توصلهم لحب النبي علية السلام ومحبة النبي تكسبهم رضاء الله تعالى وتقربهم زلفى . يتم اعتناق الطريقة الصوفية عنى طريق المبايعة ولكل طريقة بعض العادات المتبعة في اجراء عملية المبايعة و المبايعة في القادرية تتم عن طريق الاتي .

اجلاس الشيخ وهو في طهارة كاملة ومتجه اتجاه القبلة . فيخشع ويتبيل لله تعالى والمريد كذلك حتى يلصق ركبته بالشيخ ويأخذ الشيخ بابهام المريد ويقرأ البسملة والفاتحة))

وهذه العادات المتبعه تظهر في الادب النثري خاصة حينما يذكر احد المريدين الطريقة طريقة مبايعته لشيخه واذا انتهينا منة دراسة هذه الحركات الحسيه للمريد وكيفية ترقيته لدرجة شيخ باجراء البيعة ، لابد من الوقوف على بقية الأسس والمقايس الخاصة بهؤلاء الشيوخ حتى يمارسوا دورهم الريادي في العمل الصوفي هو التعبد والتقرب لله عز وجل .

بعد اعتناق المتصوف للبيعة يقابل شيخه بعيداً ويعرف له حصته من الاوراد والاوراد تتمثل في بعض الادعية المآثورة التي ظل يردها الشيوخ وتبدأ من كلمة واحدة مثل (الله) وتستمر في ترديدها إلى أن تصل كتاباً كاملأ ، ولا يتم إعتناق إلا بآذن شيخ معترف به ذو مقدرة قوية على حماية مريديه من الشيوخ والجن لأن الجن يخاف من الآيات الحازمة فإذا قرأ المريد هذه الآيات ولم يكن على طهارة كاملة يجد الجن الفرصة المناسبة وينقض عليه ويكتم انفاسه احياناً .

أما الشيوخ الممثلين فبعضهم يغضب من المريد ويقابله بالدعاء فإذا لم يكن المريد متجرداً وتعدي لهذا الدعاء يسقط طريحاً ، باستجابه دعاء خصمه وهذا مايحفظ المريد ويجعله محافظاً على صحته ووضوء وعبادته دائماً .

وبما أن الاوراد والادعية والابتهالات قد تصل لكتب ، فلا بد ان يكون هنا مدخل مناسب لدراسة النثر والادب العربي والبحث عن الجوانب الفنية للاثر الصوفي على هذه التصوف من خلال دراستها .

والاوراد عبارة عن ادعية مؤلفة من الكلام المأثور للشيوخ ومزينة بايات من القران الكريم والحديث النبوي الشريف ، وتقرأ في الليل والنهار ، ولكل طريقة آورادها المعينة .

فالسمانية اورادها التي تقرأ في الظهر والعصر وعند الغروب ، يختموها بحذب الامام النووي واوراد المغرب بعدها اوراد العشاء واوراد السحر سته عشر ركعة ، يستمر المريد في الدعوات إلى ان يصلى الفجر .

ويختم صلاة الصبح بادعية ، وايات قرآنية وتتخلل هذه الادعية أيات مقتسبة من القران الكريم وبعض الاحاديث النبوية ويقرءون مولد البرزنجى ليلة الجمعة، ومولد السيد السمان ليلة الاثنين ، والدمدمة ، والدوران .

وكلا المولدين تتوفر فيهما خصائص الادب الصوفي ومساهمة الصوفية في بناء النثر العربي في السودان . وتمتاز بالوقع الموسيقي الجميل واهتم مريدي الطريقة التجانية بأورادهم وعباداتهم وقدموا على جميع أورادهم صلاة الفاتح التي ورد فيها .

((اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق وناصر الحق بالحق والهادي إلى صراتك المستقيم))

ويقول الشيخ احمد التجاني في صلاة الفاتح ((ان كل من أخذ هذا الورد وتركه تركاً كلياً ، او متهاوناً حلت عقوبة ويآتية للهلاك)).

حتى يستطيع الصوفي التأليف والعبارة والبعد من ضوضاء الحياة اشهر بدخول الخلوة ، ومدة دخول الخلوة أربعة وعشرين شهر ولها شروط لاتتم إلا بها ومنها النيه ، والاستئذان من الشيخ ، وصلاة ركعتين ، وتقديم الرجل اليمين ، ويديم الصيام ويقلل الجهر والاكل والشرب عدا الفطور ، ويحافظ على صلاة الجمعة ، والجماعة ضعفين للجماعة من يصلي معه بالقران من باب خلوته ، أما الجمعة فيدرك مع الآمام فيها تكبيرة الاحرام ، وينصرف من الجامع عقب السلام ويشغل وقته في الدخول والخروج بالذكر وتكون الخلوة مظلة .

واقترن انتشار الطرق الصوفية في السودان يكرامات الشيوخ واصبح الملوك يستشيرون الشيوخ حينما يعزمون على امر من الامور فالشيخ عجيب حينما اراد محاربة الفونج وحزره الشيخ ادريس ود الارباب وتنبأ له بالهذيمة .

وتظهر كرامات اهل السودان كما اوردها الامام القشيري في الاتي :

قد تكون إجابة الدعوه ، و قد تكون إظهار الطعام فى أوان فاقة ، من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمن عطش ، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قصيرة ، أو التخلص من عدو ، أو سماع من هاتف ، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة ، وهذه الكرامات ترمز إلى معانى نفسية ، و إجتماعية متصلة بحياة الفردأو المجتمع ، ، وعنده أن الشيخ إدريس ود الأرباب كان متعلقاً أشد التعليق بأولاده و أسرته معتنياَ بتنشئتهم تنشئة دينية على نهجه و تعليمه .

و الكرامات من خصائص الصوفية ووردت كثيراً فى الأدب ذو نفس الصوفى سواء كان نثراَ أو شعراً . و الكرامات جمع كرامة ، ووقوع الكرامات جائز عند أهل المعرفة ، و فائدتها معرفة الولى الصادق من المدعى الكاذب ، و أنكر المعتزلة الكرامات ، و قالوا إنها من البدع و قالوا لو جوزنا وقوعها على يد الأولياء عجز الناس من معرفةالفرق بينها و بين المعجزه و الجواب أن امعجزة تظهر مع الدعوة بخلاف الكرامة ، فإن صاحبها لا يتحدى بها ، ولو أظهرها و قت الدعوة كانت شعوزة .

ودليل جواز الكرامات ، قول صاحب سليمان :

((أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)) و قول عمرو رضى الله عنه فى خطبة الجمعة ((ياسارية الجبل ووصل صوته إلى سارية تلك الساعة حتى أخذ حذره من العدو الكامن فى الجبل سارية بأرض نهاوند ببلاد العجم))

درس شيوخ المتصوفة هذه الكرامات و صاروا يزينون بها نثرهم و دعواتهم و قراءة المولد و قصة أصحاب الكهف، و أصحاب الغار الذين دعوا الله بصالح أعمالهم ، فإنفرجت عنهم الصخرة التى لا يستطيع اخضر أن يزحزحها من فم الغار و كلام البقرة التى حمل عليها صاحب المتع ((إنى لم أخلق لهذا و إنما خلقت للحرث)) كما ورد فى الصحيحين . ومن ذلك أكل سيدنا أبوبكر مع

الضيوف فكلما أكل من القصعة يربوا من أسفلها أكثر منها حتى شبع الضيوف و هى أكثر مما كانت بثلاثة مرات .

و السر فى قلة الكرامات عند الصحابة هو أن الإيمان فى أمتهم كان خالصاً ، و كلما قل الإيمان كثرت الكرامات عند أوليائهم . و أوجبوا إحترام الأولياء و التقرب لهم ومن ذلك قول الشخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى العرائس القدسية :

((وقد إبتلى الله هذه الطائفة الشرفية بالخلق خصوصاً أهل الجدال فقل أن تجد منهم أحداً شرح الله صدره بالتصديق لأحد معين بل يقول لك أن لله أولياء أصفياء موجودين لكن أين هم ؟ فلا تذكر له أحداً إلا يأخذ و يدفع ويبر خصوصية الله له . و يطلق اللسان . بالإحتجاج على كونه ولى الله تعالى و غاب عنه أن الولى لا يعرف صفاته إلا الأولياء فمن أين لغير الولى فى الولاية عن إنسان))

و قالوا فى فضل الطريق الصوفى إن الفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريق القوم و ملاحظاتهم و مأخذهم فهو جاف من الفقهاء و العباد الترقى فى درجات الولاية وحمدوا على ما فهموا من ظواهر النقول و لم يتقيدوا إلى ماوضعة الشارع فى طيها من الزواجير و الروادع فلم يزدادوا بكثرة تلاوة القرآن زهداً فى الدنـــــيا ، و إقبالاً على ربهم ، و ماتوا و أحدهم يود لو كان عنده واديات من ذهب بل يود لو يزيد له رغيف آخر على حيزه))

وقال اليافعى رضى اتلله عنه ، مكثت نحو عشرة سنين و أنا بين خاطرين ، خاطر يدعونىإلى طريقة الفقهاء ، و آخر يدعونى إلى طريق الفقراء فإجتمعت بشيخ من أولياء اليمن فكاشفنى و عرف مابقلبى ، وقال لى ياولدى مبدأ الفقير نهاية الفقيه ـ و لأن مبدأ الفقير الفقر عند كل شىء و الإخلاص لله تعالى فى جميع عباداته و لايطلب منه عوضاً على عبادته ، وهذه نهاية الفقيه ـ ثم يترقى الفقير فى درجات القرب و المواهب ثم قال : إن أحببت أريك شيئاً من ثمرات العلم و الذى تريده ،

زمرة الفقر فعلت ذلك : فقال له نعم ، فأرسل شخص من أكابر العلماء أن يأتى ، و أمر جماعة أن يقوموا له ، ولا ولا يسعوا له . و جاء و لم يجد إلا موضع النعال ، و لم يلتفت أحد إليه فتكور و كاد أن يكفرهم . فقال له الشيخ يافقيه أجد فى نفسى منك سيئاً . فقال و أنا أيضاً فى نفسى منك شيئاً ، وقرن بين أصبعيه ، وولى ساخطاً يسب الشيخ و جماعته . فقال أنظر ثمرة هذا العلم الذى تطلبه . ثم أرسل أرسل إلى فقير من الفقراء فجاء ووقف و لم يجد موضعاً كالأول و سلم و لم يرد عليه أحد سوي و احد فضحك ووقف فى صف النعال و أدارها لهم فقال له الشيخ أنافى نفسى منك شيئاً ، فقال ياسيدى أنا أقول إستغفر الله ، وكشف رأسه فقال أنظر ثمرة طريق الفقراء . فلزمت طريق الفقراء . (١)

و قسم الصوفية الأولياء إلى أربعة منهم رجال الباطن و رجال الظاهر و ورجال الحد، ورجال المطلع . و هم الأكابر .

ورجال الباطن هم الذين لهم التصرف فى عالم الغيب و الملكوت فيستنزلون أرواح الكواكب فيما يريدون بقدر الحى الذى لايموت . أتحفهم الحق بفتح المغلق . باب باطن الكتب المنزلة و الصحف المطهرة المكملة ، و كلام العام فى الأرض و السماء ، ونظم الحروف من جهة معانيها ، و الأسماء و هم جلساء الحق و لهم المشورة فى مقعد صدق .

ورجال الظاهر هم الذين لهم التصرف فى عالم الملك و الشهادة الذين لا تلهيهم تجارة و لابيع عن ذكر الله و العبادة .

ورجال الحد هم الذين لهم التصرف فى عالم الأرواح النارية ، و عالم الجبروت و البرزخية ، وهم رجال الأعراف . أهل التشمير و التميز و الصلاح من صميم الأوصاف . و ألعراف سور حاجز بين الجنة ودار صور . و برزخ باطنه فيه الرحمة و ظاهرة من قبله العذاب ـ فهو حد بين السعداء و الأشقياء ، أهل المرية

---

(١) أزاهير الرياض ج١ ص٤٥ اليافعى

و الحجاب و هم أهل الرحمة التى وسعت كل شئ الكاملة الأوصاف ولهم فى كل حضرة دخول ، و إشراف ، و هم العارفون بالصفات . من الموجودات الحسية . و العقلية بقدر الواحد المصور .

ورجال المطلع و هم الذين لهم التصرف فى أسماء الله فيستنزلون بها ماشاء الله . و هذا ليس لغيرهم من العارفين و يستنزلون كل ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة المتقدمين . وهم أعظم رجال الصوفية و يسمون بالملامتية .

وذكر الشيخ محى الدين (٢) أن الأقطـــــاب أربعة منهم الأقطاب العيسويون ، و هم الذين جمع لهم الميراث ز أن الروحانى الذى يقع بين الأنفعال على مر الزمان ، و المحمدى الذى تقع به الرحمة على جميع الأنام و هم سرى حالهم مريدهم يضرب الصدور و الظهر و المعانقة و الإشارة لصلاح الأمر و أو بسط الثوب و يفرقون فيه بين الهوى ، و يأمرونه نعيمه إلى صوره فلم يسنى ما روى . كما وقع لسيد الأنام عليه و على آله و صحبه أفضل الصلاة و السلام فى عرفة من الهوى ثلاث غرفات و حطها فى ثوب إبى هريرة لما إشتكى له كثرة النسيان مع كثرة مجالستة و سماعة حديث سيد و لد عدنان . و أمره بضم الثوب الى صدره فما شئ بعد شيئاً من نهيه و أمره .

والأقطاب المصونون فى فنائن عين رب العالمين و هم الموسومون عند السادة الصوفية بالسادة القادة الملامتية . للوم الناس لهم على مايفعلون . وهم فى الباطن مع الله معمرون . و هم الذين صانهم و سترهم فى غاب صون الغير الألهية

و حين قال الله تعالى في سورة الرحمن الآية (١٧٣) : ((حور مقصورات فى الخيام))، فلا يعرفون بين العام لخرق العادات و لايوصفون بينهم بكثرة العبادات ، ولايشار إليهم بالصلاح الذى فى عرف العباد . مع كونهم محفوظين عما لايليق بعناية رب العلمين فهم

---

(١) الفتوحات الملكية ص٥٥ الشيخ محى الدين بنى عربى

الأمناء الأبرياء الكاتبين الصلحاء الأولياء المختارون الغامضون فى الناس و قال فيهم رب سيد الأسياد ((إن أغبط أوليائى عندى ، المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة ، يحسن عبادة ربه ، وطاعته فى السر و العلانية و كان غامضاً فى الناس

و ثالث الأقطاب أقطاب الإنابة و هم رجال مخصصون ذو سيادات ، وهم الذين يسمعون عن الله و يتكلمون بالله ، و يقلبون العادات عبادات ، فيأكلون بنية التقوى على طاعة الله ، و ينكحون لأجل الكف عن محارم الله و و ينامون فى القيلولة لأجل القيام فى حنادس الظلام ، و يلبسون أفخر الثياب أظهاراً لنعمة الملك العلام ، أولئك أهل المكارم و السكنات ، قلوبهم و أسرارهم متعلقة بالله رب العالمين من حيث معرفة نفوسهم . لا إجتماع لهم بالنهار مع الغافلين حركاتهم ليلاً نظرهم فى معرفة غيب رب العالمين و هم فى الرجال قليلون ، و كل الطوائف لمقماتهم متطلعون . و أكبر من كان منهم أبو بكر الصديق الأكبر و دونه كل مجزوب شفيق أعطر .

و رابع المقامات أقطاب الركبان و هم قسمين منهم من يركب بحب الهيم ومنهم من يركب بحب الأعمال و منهم أقطاب دائمة و أبدال ، و أوتار و منهم نجباء و رجبيون و أفراد فمن ركب نجب العزائم و الهمم لبسو جلباب الستر و الخفاء ، و كتبوا فى سجل القيان الشرفاء و دخلوا سرداقات الغيب ، و إستتروا بحجب العوائد و شربوا من عقار لزوم العبودية و الإفتقار الطارف منه و التالد.

وهم الكرام الأصفياء هجيرهم لا حول ولا قوة إلا بالله تبرأوا من الحـــول والقوة و نسبوها إلى الله . متأدبين بآداب الله لا يضيقون مالم يلق بالله لله على قول الخليل إبراهيم :

(الذى خلقنى فهو يهدينى ، و الذى يطعمنى و يسقنى ، و إذا مرضت فهو يشفين) فلم يقول الذى يمرضنى و يشفين لأن المرض قبيح .

و الركبانية العارفون . هم الذين جعل بأيديهم التدبير و التفصيل لجميع المخلوقات فلهم الإسم المدبر المفصل ، وهو القائل :

(يدبر الأمر يفصل الآيات)) وهم العرائس أهل المناصب سادات القوم العوام و الخواص . فلهم المعتاد و غير المعتاد من الآيات ، وهم العقلاء الناظرون فى لب الأمور و الباحثون عن بطون المعانى و الغير مكتفين بظهورها .

و هنالك مجموعة من الأقطاب تسمى أقطاب (ألم تري كيف) و هم الذين على مد الأوقات من شتاء أو صيف ، يتفكرون فى صفات المبدع لهذه المخلوقات و يجلونه بالنظر إلى ملكوت الأرضين و السموات مستغفرين فى شهور رب العالمين ليس لهم و جهة إلا الله و لايقع لهم نظر إلا عليه .

و الأقطاب الذين عليهم (صلنى فقد نويت وصالك) هم المعنيون بقوله (يحبهم و يحبونه) وقيل فيهم (فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان) و قال فيهم الله تعالى (فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) و قال الله تعالى فى شأنهم فى الحديث القدسى : (من تقرب إلى شبراً تقربت إليه زراع) و أقطاب الرموز هم الذين أطلعهم الله على تلك الكنوز من سرالحروف التى يعلمها و حفهم بمعنى لا إله إلا الله و مكنهم رب الأرض و السماء .

و إتفق معظم أقطاب الطرق الصوفية حول هذه السمات ، و أوشكوا أن يوحدوا المنهج الصوفى فى السودان ، و صاروا يتبارون فى بلوغ هذه المناصب و المراتب و التى غالباً مايشتهر بها الشيخ دون سواه .

و أثناء هذه المنافسة الدينية المحتدمة بين علماء الصوفية فى السودان ، ظهر بعض الإنتاج الأدبى و النثرى . و الذى أردناه من دراسة هذه الخصائص الوقوف تطبيقياً عليها فى داخل النصوص التى و صلت إلينا و تأتى أحياناً مباشرة وواضحة و يلمحوا لها بالقول أحياناً أخرى .

و إستطاع أقطاب الصوفية ة علمائها أن يؤثروا فى كل أنواع الحياة العامة و الخاصة و صارت الممالك تسير بتوجهاتهم و بركاتهم و دعواتهم وفى ظل هذا التنافس المحتدم من أجل بلوغ المقامات العليا و التى ظهرت للعامة كأنها خلاف و تنافس يمكن أن يفضى لتفكك الدولة و إضعافها و يمكن أن يؤدى لتفرق المسلمين . خاصة و بعض الزنادقة و المدعين حاولوا و لوج هذا المجال فكثرت الفتاوى فى غير موضعها و كثر تكرار الكلام و بدأ الإنزار بالخطر .

وطرح الإمام المهدى وسط هذا الذخم خطابه الذى أعلن فيه الثورة المهدية و أشار لذلك كتاب الفتوحات الملكية (١) و مؤلفة محى الدين إبن عربى من كبار علماء المتصوفة وهو من الذين وضحوا فكرة الوجود و كان متبحراً فى آراء الشيعة و نقلها للتصوف و نظم دولة الأولياء و التى تقوم على القطـــــب و الأوتاد ، و الأبدال و غيرهم و أخذ الفكرة عن الإسماعيلية و عرضها للمهدية و فصلها و رتبها و ألف فيها كتابه (عنقاء مغرب) و ضمن كتاب الفتوحات الملكية كثيراً من آراء الشيعة على صورة صوفية .

وتأثر الإمام المهدى بآرائه لدرجة بعيدة و نحا على نحو الذى تصـورة و تعرض إلى شروطه الشيخان حسين الزهراء و حسن العبادى فى عرض كلاهما للمهدية و قارن بين صفاتة و تلك الصفات .

وهذه الدراسة تجعلنا نقول أن المهدية عبارة عن تطور حقيقى للطرق الصوفية و جمع لتعليم أقطابها المختلفة فى قانون واحد .

والإمام المهدى لم يكن بعيداً عن المتصوفة مولداً و نشأة و تربية و علم و هذا ما جعلنا نجد النزاعات الصوفية و الخصائص التى ذكرناها قبل قليل ذات أثر فعال فى منشوراته و بياناته فهو يؤمن بالشياخة و القطبية و يعرف المكاشفة و علم الباطن و علم الأسرار و يؤمن بالحضرة و يصفها فى معظم كتاباته .

---

(١) الفتوحات الملكية ص٦٠ ـ محى الدين بن عربى

حتى يقف الباحث على الأثر الصوفى فى النثر العربى فى دراستة وتحليله لبعض النصوص النثرية التى وردت إلينا من معظم الأقطاب رأى البحث أن يقف علي هذه الخصائص و يعددها و يوضحها للقارئ .

و تظهر هذه الخصائص بصفة واضحة فى النثر العربى للمتصوفة فى الورد اليومى أو فى المولد النبوى أو فى الصلوات المختلفة و هذه الخصائص تمثل محور الصراع الذى يتمنى كل مريد أن يبلغ الذروة فى العبادة و حتى يصل لرتبة القطبية . وهذا الصراع ساعد فى إنتاج أدب صوفى جيد و لم يبلغ هذا الأدب الصفة الكاملة حتى يصفة الكاتب أو القارئ بأنه نثر و لكنه كان خطوة و اللبنة الأولى التى إتكأ عليها الكتاب السودانيون لا حقاً .

و معظم الكتاب اللآحقين إستفادوا من هذه التجارب و إستوحوا منها أدبهم الذى يعد النثر واحد من أقسامه و ألفوا فى النثر للقصة و الأقصوصة و الرواية وحتى نقف على الدراسة التطبيقية لهذه الخصائص داخل الإنتاج النثري للأقطاب المتصوفة فى السودان و نحلل ما نجده من نثر فى صلواتهم و دعواتهم و مولد النبى صلي الله عليه وسلم الذى ألفوه ـ لابد من دراسة عينات مختارة و لابد أن يقع الإختيالر على أكثر العلماء شهرة و ذيوعاً و من كل فترة أو مملكة نقف على عالم منها .

و قفنا فى دراسة تاريخ دخول المتصوفة و العرب المسلمين السودان على بعض الحقائق المتمثلة فى الجهات التى دخل بها الإسلام و التصوف و العربية السودان و الأماكن التى دانت للإسلام و لم تجد العربية حظها من الإنتشار فيها و الأماكن التى لم يستطيع العرب و المسلمين الدخول إليها و هى المناطق المقفولة فى جنوب السودان و بعض أجزاء جبال النوبة .

ولابد أن شيوع الأنتاج النثرى فى هذه الجهة و فقاً لهذه المؤثرات . و هنالك إنتاج أدبى كبير متمثل فى الكتب و التى أشرنا إليها فى مقدمة البحث منها

، مجموعة الكتب التى ألفها الشيخ أحمد الطيب البشير وهى كتب ذات وجود فكري و فلسفى و أدبى فى الساحة الصوفية العالمية و السودانية . و مجموعة كتب السيد محمد عثمان الميرغنى و نالت حظها من الطباعة و الحفظ و النشر فى مصر و السودان . ومجموعة الكتب التى ألفها الشيخ إسماعيل الولى و هى من الكتب النادرة التى ألفت فى مجال الدعوة و التصوف و الزهد .

و إهتم مريدوا و أتباع الشيخ إسماعيل الولى بهذه الكتب و أعادوا نشرها و طباعتها . ومجموعة كتب الإمام المهدى و خطاباته و منشوراته وخاطباته تمثل مخذون كبير من النثر العربى فى السودان .

سبق و أن أخذنا أمثالاً حية لأنواع النثر العربى فى السودان من هذه الكتابات و المناشير و هذا لايمنع من دراستها فى هذا الباب دراسة تحليلية من أجل الوقوف على خصائص الصوفية الكامنة فيها .

والخصائص الصوفية تكاد تكون هى الإطار أو القالب الذى صب فيه هؤلاء العلماء أفكارهم فأصبحت كلها تحترم المتصوفة .

و حتى الإمام المهدى الذى أراد إبتلاع الحركات الصوفية القائمة تحت لوائه و يجرها تحت عباءة دولة المهدية لم يستطع الفكاك من قيود الصوفية القائمة و تعاليمها ـ و أصبح الأمام المهدى ذو منهج جامع لأفكار الصوفية .

ولم يعكر أتباعه و مريدوه الأنصار فهم فى تواصل مع الطرق الصوفية للآن و نتناول فيما يلى دراسة مفصلة لهذه الخصائص من خلال الوقوف على كتابات العلماء و المتصوفة .

وقال : ((أنت مع الوجود مادمت تشهد له معك وجوداً فإن إصطفاك و هناك حزبك و أدناك و غيبك عن إياك)) وقال : ورد الواردات و إظهار الكشوفات ، و جلب الخليقات ، و النظر فى لوح المحو و الأثبات . يقال أنها

درجات ، و عند أهل الدرجات لست بدرجات ، و إنما هى عطلات و بطلات من وقف معها حجب عن المطلوب و طرد معن حضرة المحجوب .

و كان رضى الله عنه يحث تلاميذه على تلاوة القرآن صباح مساء . مما أثر فى جزالة لغته و تكلم عن لبسملة ، و له كتاب أسمه خواص الأسماء و به رسالة فى علم الكيمياء وله مؤلف يتعلق بالبروج الإثنى عشر و أحزابه رضى الله عنه أربعة حفظ الأمان المشهور بين الناس تلاوة و فهماً .

وصلاته إثنى عشر سر الأسرار و صفتة سرالأسرار ، و اللاهوتيـــــة و الفطمية و العيرشية و النووية ، و النورانية ، و الأوصاف و مفتاح القلوب ، و الكمالية ، و الرحية ، و الجمالية .

ونقف على صلواته رضى الله عنه لنفهم الأثر الصوفى عند هذا الشيخ و نقوم بتحليل هذه القطع النثرية و معرفة سر جمالها و السبب الذى جعلها سهلة التناول و الحفظ بين أتباعه و مريديه و كآفة الدارسين للأدب الصوفى و البحثين عن خصائصة الفنية و تأثيرها فى النثر العربى و حتى تسهل معرفة ذلك نقف على مجموعة من الصلوات و الدعوات التى ألفها الشيخ أحمد الطيب البشير قال رضى الله عنه ((اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى و رزقتنى ، و أنا عبدك و أنا على عهدك ووعدك ما إستطعت ، أعوذبك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على و أبوء بذنبى فأغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت إستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم . و أتوب إليه . بسم الله الذى لا يضر مع أسمه شئ فى الأرض و لا فى السماء وهو السميع العليم ـ اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك و ملائكتك و جميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت و حدك لاشـــــريك لك و أن سيدنا محمد عبدك و رسولك سبحان الله و بحمده و سبحان الله العظيم و بحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبنا الله و نعم الوكيل ، و أتوب إليه رضيت بالله تعالى رباً و بالإسلام ديناً ، و بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

نبياً ورسولاً ، اللهم إنى أعوذ بك من المكر و الإستدراج من حيث لا أشعر يا أرحم الراحمين ، أللهم صلى على سيدنا محمد و أهدنى من عندك ، وأفض على من فضلك و أنشر على رحمتك ، و أنزل على من بركاتك ، اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى و خذ إلى الخير بناصيتى و أجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقونى و إنى ذليل فأعزنى ، و إنى فقير فأغننى برحمتك ياأرحم الراحمين ، اللهم إنى أعوذ بإسمك و كلماتك التامة من شر السامة و الهامة و أعوذ بإسمك و كلماتك التامة ، من شر الشيطان الرجيم ، اللهم إنى أسألك أن تصلى على نبيك محمد و على آله و أسألك خير ما تعطـــى و من خير ماتخفى و تبدى ، اللهم إنى أعوذ بك بإسمك و كلماتك التامة من شر مايجري به النهار و إن ربى الله الذى لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم من شر ماجاء به الليل ((فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم * بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله عو وجل ، ماشاء الله لا حول ولاقوة إلا بالله عز وجل لدنياى * حسبى الله الكريم لما أهمنى * حسبى الله الحكيم القوى لمن نصب على *حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء *حسبى الله الرحيم عند الموت * حسبى الله الرؤوف عند المسئلة فى القبر * حسبى الله الكريم عند الإحسان * حسبى الله اللطيف عند الميزان * حسبى الله القدير عند السراط * حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم لا إله إلا هو الله أكبر * سبحان الله وبحمده و لا حول و لاقوة إلا بالله ، و إستغفر الله الأول و الآخر و الظاهر و الباطن له الملك و له الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير)) بدأ الشيخ دعاءه بإعترافه بربه و بأنه هو الذى خلقه ، و بالعاء و الإستغفار و بدأ بكثير من ذكر الآيات المنجيات و بكثير من التعويزات و يعلن توبته و فقره و ضعفه لله رب العالمين ، و يعوذ بالله من أن يكون ماكراً أو مستدرجاً لذلك ،

ويذكر كلمات الله التامات و سأل الله أن يصلى على نبيه و سأل الله بخير مايظهر و يخفى و يعلن كون الخير كله بيد ربه وهو محتاج لإعانته ، و الملاحظ فى هذا الدعاء أن الشيخ أحمد الطيب البشير أكثر من ذكر آيات و إقتباس آية كاملة و يضعها فى تضاعيف كلامه . وهو مهتم بالإسلوب و الآيات المقتبسة تشير فى الجو العام انثره معنى و شكل ، و إهتم الشيخ باللغة النثرية و عمل على إختيار الكلمات ذات الجرس و الإيقاع الصوتى الجميل .

ويبدأ الشيخ بالدعاء تمهيداً للدخول فى لصلاة و يمتاز هذا الدعاء بسلاسة الإسلوب و اللغة المهذبة و يتخلله الكثير من أدوات الصنعه فى اللغة كالجناس و الطباق و و المقابلة و فيه وصف للوحدانية و تجرد لله عز وجل و الدعوات الصالحات و الصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم .

و يقول الشيخ أحمد الطيب فى الصلاة على النبى : -

((اللهم إنى نويت الصلاة على نبيك و صفيك و حبيبك و رسولك محمد النبى الأمى الطاهر المطهر الذكى صلى الله عليه و سلم ، قاصداً لوجهك ، وممثلاً لأمرك ومحبة فى نبيك ، و تعظيماً له و شوقاً إليه صلى الله عليه و سلم وأجزه عنا ماهو هله خيراً الحمد لله الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد ، الطيب المطيب الرسول المقرب المنذل علية ((**يا أيها الناس إتقو ربكم و أخشوا يوماً لا يجزى والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً**)) و الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد خاتم النبيين و إمام المتقين المنذل عليه ((**بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الناس إتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئٌ عظيم**))

الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد النبى الأمى التقى الذكى المكى

المدنى العربى القرشى الهشمى الأبطحى الزمزمى ، المنذل عليه ((إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما)) الحمد لله و الصلاة و السلام عى سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المسلمين و المنزل علـــيه ((وأنيبوا إلى ربكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)) الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المؤمنين المنذل عليه ((فآمنوا بالله ورسوله و النور الذى أنزلنا و الله بما تعلمون خبير)) الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمدسيد المتقين المنذل عليه((بسم الله الرحمن الرحيم ۞ يا أيها النبى إتقى الله و لاتطع الكافرين و المنافقين إن الله كان عليماً حكيماً)) الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد الحسنين المنذل عليـــــه ((وإن الله مع الذين إتقوو الذين هم محسنون)) الحمد لله و الصـــــلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المنزرين المنذل عليـــــه ((وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالظالمين من حميم و لاشفيع يطاع يعلم خائنة الأعين ، و ماتخفى الصدور و الله يقضى بالحق و الذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ إت الله هو السميع العليم))

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المجاهدين ذوى الأنوار المنذل عليه :

((لقد تاب الله على النبى و المهجرين و الأنصار)) الحمد لله و الصلاة و السلام على آل سيدنا محمد و أصحابه الطيبين المنذل عليه ((والذين جاءوا من هم يقولون ربنا غفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالايمان و لاتجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك روفٌ رحيم))

يكثر الشيخ أحمد الطيب من الصلاة على النبى معدد صفاته و خصاله الكريمة و يأتى فى نص صلاتة بآيات قرآنية معروفة فى الدعاء و يرددها الناس بعد صلواتهم و أيضاً يستمر فى الإقتباس و المزاوجة بين القرآن الكريم و مايقوله من نثر و يحاول أن يتم الحديث على نسق القرآن الكريم . و يكثر من التضرع و طلب المغفرة و الضعف أمام الله تعالى . وهذا مايعنى ألتزام الشيخ بالأدب الصوفى و خصائصة و الصلاة على النبى نوع من أنواع العبادة و الذكر عند معظم المتصوفة فى السودان . وحفظ أتباع الشيخ أحمد الطيب هذا الدعاء المسمى بالصلاة على النبى عن ظهر قلب و جاء فيها : ((الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد رسول رب العالمين (وما أرسلنالك إلا كآفة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لايعلمون) الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد سيد العابدين المذل عليه ((يأيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد الحامدين المنذل عليه ((يأيها الناس أنتم الفقرلء إلى الله و

الله هو الغنى الحميد)) و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المحمودين المنذل عليه ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفآ و طمعآ و مما رزقناهم ينفقون)) الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله سيد المحسنين المنذل عليه في سورة الزمز الآية (٧٥) ((و ترى الملائكة حافيين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و قضى بينهم بالحق و قيل الحمد لله رب العالمين)) و الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المحبوبين المنذل عليه ((ودعواهم فيها سبحانك اللهم ❀ و تحيتهم فيها سلامٌ ❀ و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)) الحمد الله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد سيد الطاهرين و النذل عليه في سورة التوبة ((لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الله يحب المتطهرين)) و الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد المتطهرين المنذل عليه ((إن الله يحب التوابين ، و يحب المتطهرين)) الحمد لله والصلاة و لسلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد الذاكرين المنذل عليه ((وأذكر الله كثيراً لعلكم تفلحون)) الحمد لله وصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد الذاهدين المنذل عليه ((قال ياليت قومي يعلمون بماغفر لي ربي و جعلني من المكرمين)) و الحمد لله و صلاة و السلام و على سيدنا محمد

و على آل سيدنا محمد سيد السائحين النذل عليه ((فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر و أعلموا أنكم غير معجزى الله ، إن الله مخذى الكافرين)) الحمد لله و صلاة و السلام على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد سيد التالين المنذل عليه ((أتل ما أوحى إليك من الكتاب و أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ولذكر الله أكبر و ا)) الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد سيد المتبتلين و على سيدنا محمد المنذل عليه ((ونبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين)) .

يستدل الشيخ أحمد الطيب البشير على كل كلام يريد أن يقوله بالقرآن الكريم و كأنما هو يتكلم بالقرآن الكريم ، فيقول جملة من عنده و يأتى بآية تطابقها فى المعنى أو تعزز معناها و ذكر الشيخ أحمد الطيب هذه الآيات التى عرفت عند معظم الذاكرين و الآيات التى تصف الوحدانية للذات الإلهية و التجلى فى علم الغيب و تصف الملائكة و هم يسيبحون الله و يحفون العرش و يذكر الآيات الأمرة بالتلاوة و التعبد و المداومة على الذكر .

و كذلك يمثل الشيخ للبلاء و العذاب و أن الذي يحيط به هو بلوى من الله سبحانه و تعالى و إمتحان يصبر عليه . و هذه الدعوات و الصلوات التى تعبد بها الشيخ حفظت فى هذه المخطوطات و صلر الناس يتعبدون بها و يذكرونها آناء الليل و أطراف النهار . وليس هنالك خلل فى سبك سياق الصلاة بل تم سياق الآيات المقتبسة سبكاً جميلاً . و تكلم بالقرآن الكريم فى هذه الصلاة .

و يستمر رضى الله عنه على هذا النسق و منها كتاب الحمة المسمى بالنفس الرحمانى فى الطور الإنسانى و شرحة الجوهرة الفريدة فعلم الوحدة و التوحيد .

وأساس الطريقة السمانية الإستغفار و الصلاة على النبى و لا إله إلا الله و ياالله وذكر فيها العجب العجاب من الكلام الذى يدهش السامع . ويقول الشيخ فى فضل صلاته الا لهوتية و أعلم أنها للناظر إليها و التالى لها و إذا أردت درجات الكمال و الإتصال بحضرة الرب الفعال أقرئها نهاراً على عدد لفظ الوصال .

يذكر الشيخ فى هذه الصلاة بعض الصفات المعروفة فى الأدب الصوفى و يقول إذا أردت درجات الكمال أى أنه من الأقطاب الذين يبحثون عن درجات الكمال و الصفات العليا و أن تتصل بالرب الفعال أى أن العبد الذى يكثر من عبادة الله تعالى تتكشف له بعض الحقائق و يتم الإتصال بالرب عن طريق الحضرة و سبقت الإشارة للحضرة كواحدة من الخصائص التى عرفها المتصوفة فى الإسلام وو ردت كثيراً فى ذكرهم و عباداتهم .

ويقول رضى الله عنه فى صلاة العظمة ((فقد حدثنى من أثق به عن الشيخ رضى الله عنه قال : دخلت مدة الحضرة فرأيت رجلاً أعرفه وهو أقرب الأولياء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى تلك الحضرة فحصلت لى منه غبطة وردت على قلبى هذه الصلاة و أنا بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم فلما جئت عند قولى (حتى أتصل به بحضرتك) حصلت لى غيبة فلم أشعر إلا و أنا أقرب إلى النبى صلى الله عليه و سلم من ذلك الرجل و من كل قريب و قد رأيت بعض ترغيبه فى هذه الصلاة)) يصف الشيخ هذه فى الصلاة الحالة التى و صل إليها من الغيبوبة و الفناء الروحى و حضرته بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم و الشيخ يظهر فى أدبه أهم و آخر الخصال و الصفات التى يمكن أن يصلها المتصوفون فى الفناء الروحى .

اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد لاهوت الوصال ،وعين الكمال ــ ومشهد الآسرار ، ومنبع الآنوار وقرة عيون المقربين والأبرار ، وعلى آله

وصحبه وسلم عدد علمك كانت او قد كان اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد سراج القلوب السالكين وجنة مشهد المحبين واحة قلوب المحبوبين ، ولواء تاج العارفين ، منشأ علم العالمين ، وجلال جمال الهائمين وعلى آله وصحبه وسلم عدد انفاس المخلوقين ، اللهم صلي على سيدنا محمد مفتاح باب الملكوت وسرآسرار الأخريات ونور انوار الاهوت وخزائن رحمة العقار . وعين عناية الاخياروعلى آله وصحبه وسلم عدد ماودعت في قلوب العارفين من حكم واسرار اللهم صلي على سيدنا محمد بدر التمام ومصباح الظلام الشفيع المشفع فينا يوم الرجفة و الإزدحام و النبى الذى هيئته نور فوق نور ورائحته مسك وند و عنبر و كافور و ريقة شفاء لكل عليلة و معلول ـ صلاة تشوقنا إليه و تهيمنا عليه ـ صلى اللهم و سلم عليه كما تحب أن يصلى عليه و سلم عليه كما تحب أن يسلم عليه ـ أللهم أفتنا فى محبته و عشقه و أسقنا من كاسات خمرته و أرزقنا يامولانا فى الدارين صحبته ، و أحينا على إتباع سنته و إمتنا على ملتـــــــه و أجعلنا من رفقائه و شفعه فينا كما تحب أن يشفع فينا و أجعلنا من خيار لمصلين و المسلمين عليه و الحمد لله رب العالمين اللهم أبلغ روح سيدنا محمد منا التحية و السلام)) .

ويذكر فى هذه الصلاة وهو فى حالة فناء روحى و لحظة الفناء لاتطول فدعى فى طياتها أن يفنى فى حب الإله و تمنى أن يكون قريباً من الرسول صلى الله عليه و سلم فى الحياة و الممات .

أما فى صلاة العظمة فيقول رضى الله عنه ((اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك و نبيك و حبيبك و رسولك ، سيدنا محمد النور الأعظم الباهر جوهر الجواهر نور الأنوار سر الأسرار حلو المقال جلال كل جلال ، جمال كل جمال ، كمال كل كمال ، شاهد الكبير المتعال بيت الأحدية ، سراج الوحدانية ، شمس المعارف ، ضياء العوارف النور الموجود ، سبب الوجود ، قريب الذات ،

المتجلى منها بأعظم التحليلات ، وطلسم الطلاسم المنه البحر المسجور قبل بحر الطور من سجدت له فى آدم الأملاك لعظمة نور الذات . المحبوب الأعظم لاهوت القدم من إصطفيته على بنى حواء و آدم الوسيلة العظمة لمن توسل به إليك ولا للخلق لاسماع حتى إتصل به إلى حضرتك و أن تتولى أمرى بجاهه عندك فى كل أمر يهمنى ياالله ياولى ألأمر كله و سلم تسليماً كثيراً و الحمد لله .

يصف النبى صلى الله عليه و سلم بسر الأسرار و الأسرار من الصفات الصوفية و كذلك المعراج الذى تم للنبى صلو قصة المعراج من القصص المتعارف عليها فى الأدب الصوفى . وكذلك المحبوب الأعظم للاهوتالقدم ، و علم اللاهوت من علم الخواص و يصف الطلاسم و الطلاسم من الصفات التى يختص بها المتصوفة و سأل الله أن يتولاه و يحميه و يرعاه .

أما صلاة فى العظمة فيقول رضى الله عنه ((اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد عبدك و نبيك و حبيك و رسولك سيدنا محمد النور الأعظم الباهر جوهر الجواهر نور الأزهار سر الأسرار، حلو المقال جلال كل جلال ، جمال كل جمال ، كمال كل كمال شاهد الكبير المتعال بيت الأحدية ، سراج الوحدانية ، شمس المعارف ، ضيا العوارف النور الموجود ، سبب الوجود ، قريب الذات ، المتحلى منها بأعظم التحليلات طلسم الطلاسم ، المنبه البحر المسجور قبل بحر الطور ، من سجدت له فى آدم الأملاك لعظمة نور الذات ، المحبوب الأعظم لا هوت القدم من إصطفيته على بنى آدم وحواء الوسيلة العظيمة لمن توسل به أليك ياالله ياالله اللهم بسره لديك و بجاهه عندك وبسره فى عروجه أليك أن ترزقنى عملاً بلا فترة ولا أبتداع ولاميل للدنيا ولا للخلق ولا سماع حتى أتصل به إلى حضرتك و أن تتولى أمرى بجاهه عندك فى كل أمر يهمنى))

و لـه رضـى الله عنـه صـلوات قصيرة بجانـب هذه الصـلوات الطـوال ، قال رضـى الله عنه ((اللهم صلى على سيدنا محمد مفتاح المعـارف و علـى آلـــه و أصحابه عدد حسنات كل عارف و غارف))

و قوله ((اللهم صلى على سيدنا محمد السيد الكامل و الفاتح الخاتم نـور أنوار المعرف و سر أسرار العوارف و صفوة خلقك و سر علمك و مرآة ذاتك، و مشهد صفاتك ، النبى الذى سما و نما و أتخذ المعراج سلما ، و أنقذ أمتـه من النار و هـى صـلاة تكون لك رضـاء و لحقة آداء و اعطـه اللهم الوسيلة الكبرى وسلم تسليماً كثيراً عدد مـافى العرش و مـا تحت الثرى يـالله يـالله إنـك علـى كل شئ قدير)).

من الكتاب الذين أثروا ساحة النثر العربى فـى السودان فـى هذه الفترة السـيد محمـد عثمـان الميرغنـى و يعـرف لنـا بـالميرغنى الكبيـر و هـو مؤسـس الطريقة الختمية و ولد بالطائف سنة (١٢٠٧ـ ١٢٧٠) ه و تتلمذ علـى يد الشيخ أحمد بن إدريس الفاسـى و من نصوصـه النثرية المتعارف عليها عند الصوفية عامة و طائفة الختمية خاصة حزب الفتح و يقول فيه ((إستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحيى القيوم بديع السموات و الأرض و مابينهما من جميع جرمـى و ظامى و ماجنيته على نفسى يالله ياواحد يـا أحد و ياجواد يـا موجود أنفحنـى منك بنفحة خيراتك على كل شئ قدير ، أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح و مـاتوفيقى ألا بالله عليه توكلت و أليه أنيب سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم و بحمده ، إستغفر الله و ماخلقت الإنس و اللجن إلا ليعبدون و ما أريد منهم مـــن رزق و ما أريد أن يطعمون هو الرزاق ذو القوة المتين ، و مـامن دابـة فـى الأرض إلا علـى الله رزقهـا ويعلـم مستقرها و مستودعها كلٌ فـى كتـاب مبين ، اللهم إنـى أسألك يامن سواه لا يسأل ، و يامن إذا وهب أجذل و إذا من بالحكمـة لا يبخـل ، يـامن عطـاه ورضـاه أجـل و أجمـل ، إن تفتح لـى يافتـاح يـارزاق أبـواب خيـر

لايقلل ، و أن ترزقنى روقاً و بسطاً به على أهل الضيق أتطول فضـــــلاً منك وجوداً بحقق فى جنابك الأمل))

يبدأ الشيخ الميرغنى هذه الصلاة بالإستغفار و الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و يظهر ضعفه والتذلل لله رب العالمين و يعترف بخطايـــاه و يطلب المغفرة و الرضا ويتذكر و حدانية الله و صمدانيته وتمكنه من تسير الكون وعن العطاء الوافر و يذكر فضل الله تعالى الذى يمهل العذاب و لايتعجله

يبدأ الشيخ الميرغنى هذا الدعاء بهذا الأدب و الخشوع و يسير على نهج الصوفية السابقين و يقتبس من آيات القرآن الكريم و يجرى حديثة عى وزنها حتى ينتظم تماماً مع خياله وتصوره ـ وتأثير القرآن الكريم واضح إذ تسير نقماته وحروفه وجرسه اللفظي على نفس الجرس الذي تسير عليه الآيات المقتبسة .

ويقول الميرغني((اللهم ياغني يامغني يارحمن يارحيم ويافتاح يا خلاق ياوهاب وياكريم ياباسط ويـاودود يـاعظيم ياكـافي المهمـات والملمـات يـاحليم وياحكيم ياوسع وياذو الفضل العظيم ياقديم الاحسان والامتنان الجسيم اسألك بذاتك المقدسة التي جلت عن كل فهم سليم وصفاتك التي كل عن نعتها لسان بيان ويراع ورقيم واسمائك العظيمة الاسعاد العميمة الامداد الواترة التهيم وبالاسم العظيم منها وببسم الله الرحمن الرحيم ان تفتح لي ابواب جودك الذي به المهيون تهيم وسير حملة عرشك الذين على حمله تقدر وتستقيم اللهم ياسائق النعم ، ويادافع النغم يسر نون والقلم ، وما بين الكاف والنون من حكم ، يسر الانوار والظلم ، وما اودعت الآيات من سير وحكم ان تفرد وتفتح لي العطاء الاضخم ، ان تثبت لى فيه القدم كيما أصرفه في مصارفه ولا تلقنم .

يذكر صفات الله سبحانه وتعالى ويعدها ويقول ان الله هو الغني وهذا مايغني انه هو الفقير لله ويطلب من هذا الغنى .

وان الله هو الذي يعطي الخلق ويرزقهم وهو الذي يكفهم شر الملمات وهو الذي يفرق الفضل والاحسان ويذكر ان صفات الله تعالى عجز عن عدها المحصون .

ويتطرق لذكر السر والاسرار ويذكر احياناً بعض الحروف الموجودة في القران الكريم ، ويتجه بذلك إلى علم أهل الباطن لان سر هذه الحروف غير معروف لكل العلماء .

وهذا ما يميز الادب الصوفي عن غيره من الادب ويذكر سر الانوار وهي تكشف له وتطرقنا إلى علم المكاشفة الذي ذكره المثير من علماء الصوفية . وقالوا أنهم قد تكشفت لهم الأنوار الربانية و القطعة النثرية أيضاً تم سبكها فى قالب الأدب الإسلامى الرصين ة اللغة السهلة السهلة السليمة و تجنب حوشى الكلام و ضخامة الفظ و يكثر من إستخدام الحروف الشفوية ذات الصفبر و الجرس المقبول بالكلام و يبتعد عن الحروف الحلقية الصعبة الإخراج و كأنه يريد بذلك أن يخفف على أتباعه الذين يساهرون الليل و أطراف النهار فى ترديد هذا لدعاء و العبادة و التبتل و التنسك .

يتنكر للتلعثم فى ذكر الله و يطلب من الله أن يتنبه على ذلك .و يستهل حديث بالصلاة على النبى ويذكر صفات الله العلى العظيم المتقدرة ، ويتجه بعد ذلك غلى ذكر المسجد الاقصى في اشارة لمعراجم النبي صلى الله عليه وسلم . وسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون من المحبوبين إليه في ليلة التقريب .

وسأل الله ان يعطية فرصة الانطلاق الروحاني وان يخلف في السموات العليا بروحه وهنا يشير إلى الجذب الالهي الكشف والمكاشفة . سأل اله ان يقك الرباط المحكم على عقله حتى يتمكن من التفكر في عظمة الله ومخلوقاته ويهتدي بعقله للايمان

وسأل الله ان يبقيه على الفناء الروحي والاستغراق في ذات الله سبحانه وتعالى .

وسأل الله سبحانه وتعالى ان يسر امره وان ينور بحره حتى يحوم ويجول في السوح الالهية .

استمر الشيخ في المناجاة والذكر والعبادة وورث اتباعه هذه الدعوات التي يعتبرونها من الدعوات المباركات .

وسأل الله سبحانه وتعالى ان يكثر من اتباعه ومريديه وذلك بتسخير القلوب المقبلة عليه ولعله يشير إلى حب الناس الذي يكسبه حب الله عز وجل .

وهذه القلوب الذائره والمولهة به تنال املها من محبتها له بعد ان يجليها بذكر الله ويصل بها إلى حد الفناء الروحي في عظمته وملكوته الالهي .

ويقول اللهم يامن مواهبه لاتحصى وجوازبه القربى لا تستقصى ، وعواطفه البرية لابعدها ، وعواطفه الخيرية شمو على الرمل والحصى تحفت في جامع اللهم باتحافات امدادية ترد من المطالب استقصى ، وتصد عن ضر من اقترب الازية ، وعصى، واشهرني من المنهج الملكي ، في الحرم الملكي ، والنفخ السوي في المسجد النبوي والفتح الانسى في المسجد القدس المسمى بالاقصى . وسهل على النصر ووسعه بالعصى ، اجعلني ممن له الحبيب ليلة التقريب بحسن الاخلاق اوحي اللهم يا مذهب الفاقات ، وياواهب الافاقات وياقاضي الحاجات ، وماضي الارادات حال المناجاة ، ويامنزل البركات ومجذل الرحمات المباركات، يامولى ضروب المعروف ويامجلي كروب الملهوف ، يامدر نهل الارزاق ويامريد أهل الافاق ، يامتفضل وباخلاق حد علينا بالانطلاق في عوالم الاطلاق وفك اذهاننا من الوثاق وهون علينا بعوائد فوائد الينا سابق ، واصرف عنا مالا تطيق ولايطاق واغننا بك غني لافقر بعده إلا إليك باخلاق وابقناعلى الفناء بك بقاء يغني عن الانمحاق . وياتي باوسع الارزاق اللهم تحنن بتيسير العسير

فتسيره عليك يسير . واشرح صدورنا وارق حضورنا على قصورنا واغل عصورنا ويسر امورنا ونور بحورنا لنسرح في ميادين الصفاء ونمرح مع المنادين يطرق الوفا . واطلق منا معتقل الحواس واشرف علينا شموس الاقتباس واقبل بالقلوب المقبلة علينا لتنال امالها وماترجوه لدينا . ويقول

((اللهم ياغني يامغني يامولي ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك وافتح لي سائر الابواب لادراك رؤية خصوصيته تنض الاشراك وانفحني نفحة خير يارب الاملاك ، ويامدير الافلاك ويامن اعجز عن معرفته عين الادراك اللهم يامغني ويامدني عبداً هجر الغير ولك بك تقرب وتحبب ، أسألك نضاك الاوحد ودنوك ممن تقرب سراً ولك قصد ان تغنني غنى الابد بسر سرك الامجد وبنور نورك القديم الذي فيضه يتجدد ، وما احتوت عليه سورة قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ومُن على يامنان ياحنان ياولى ياعلى بالتصرف في العوالم العينية والغيبية وارشد وأمد واسعد بهدايتك ، ورعايتك وحمايتك وكفايتك فنه لاحول ولاقوة إلا بك ياقوي يامتين ، ياخير الناصرين ويامعين من لا له معين اللهم ياذا الفضل والمن ويارب الارباب ويامسهل الصفاب واسالك بالحبيب والمجيب المجاب والطيب والمتين القريب من القريب الوهاب ، المصطفى المرتضى المجتبى باب الابواب ، ولباب كل لباب ، وبآله الانجاب الفائذين بشرف الانساب ، ومنيف الانتساب ، المطهريب من الرجس بنص الكتاب وسائر الاصحاب ، نجوم القياب الشامخة ، و الاطناب ولاسيما خلفاؤه الاقطاب ، ابو بكر الصديق المهاب ، وعمر المجاب ، وعثمان ذو النورين جامع الكتاب وعلى بن عم النبي من هو الباب خيالهم من شموس ليس لها غياب وبحور ليس يشبههم بحر ينساب وجميع الاتباع حماة الشرع الماوي على العجب العجاب ، ولولده الختم صاحب الامر الحتم المبلغ الاداب ان تفتح لي فتحاً مبنا وما عليه حجاب ، انك انت الله القادر

القاهر المطي بلاعد ولاحساب اللهم انـي أسألك باسمك العظيم الاعظم الذي اذا دعيت به اجبت ، ةاذا سئلت به اعطيت ووهبت ان تسير لى ماتعسر من المطالب التي لنيلها كتبت وقربها من ليمتلئ بها رني واترك لنوري ماعنه حجيبت وصلى اللهم على سيدنا نبي غالب ، وعلى آله واصحابه المعطرين من المثالب المبلغين بالاقتفاء آثر الامين سائر المطالب وصلى الله وسلم على الروح عيسى المخلص من رجال سالب وياجوح غالب من له يغالب . وامددنا يمددهم اجمعين واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولمشايخنا والمحببين وارحم لمنك جميع المسلمين الاحياء منهم والميتين . والحمد لله رب العالمين ما اشعت دائرة انعام على العالمين امين)) .

تسير هذه الصلاة على نمط التناقم والوزن الذي ينهي اخر كل فقرين بحرفين متشابهين اضافة إلى ذكر صفات الوحدانية لله رب العالمين واور فيها جميع رتب القطبانية حيث جعل كل خليفة على رآس قطب من الاقطاب .

وتساوى بعض القصص القرانية المشهورة عند عامة المتصوفه مثل قصة الدجال ، وعيسى بن مريم وقصة الاسراء والمعراج وياجوج وماجوج .

وتكرر طلبه للقصور العاليه في اللجنه والتقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء لله تعالى ويطلب التوفيق حتى يصل للغناء الروحي .

والف السيد / محمد عثمان الميرغني إلى جانب الصلوات الاحذاب ومنها حذب النصر الذي قال فيه

((يخص لطف الله بلطف صنع الله ، بجميل سر الله دخلت في كنف الله ، تشفعت برسول الله بدوام ملك الله بلا حول ولاقوة إلا بالله حجبت نفسي في حجب الله ، وخصتها بايات الله ، وبالايات البينات بحق ذكر من يحيى العظام وهي رميم جبريل عن يمنى ، واسرافيل عن شمالى وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حوم امامي وعصا موسى في يدي ، من رآف هابني وخاتم سليمان على لساني ، فمن تكلمت معه قضى حاجتي ، ونور يوسف على وجهي من راني احنيت

، والله من ورائهم محيط ، وهو المستعان به على الاعداء لاإله إلا الله الكبير المتعال . ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة وسيد الآمة ، وكاشف الغمة وشفيع الامم وعلى آله وصحبة وسلم))

ويصور الميرغني في هذا الحذب مشهد حضرته مع النبي صلى الله عليه وسلم ويصف الجلسة امام النبي وبجنبه الملائكة ويذكر كل القصص القرآنيه ومعجزات الرسل السابقين ويقول أنه آخذ من كل نبي معجزة او صفة خارقة او صفة مميزة .

وقوفه على القصص القرآنية والتقص فيه بدل على إلمامه الكامل بعلوم التفسير و وقوفه على ادق اسرار القرآن العظيم ، واستوحى من ذلك هذه الكتابان الكاملان في جمالهما وبهائهما . والمحفوظان عند اتباعه ومريديه .

ويقول في هذا الحزب ((بسم الله الرحمن الرحيم احتجبت بنور ورحمة الله الكامل وتحصنت بحصن الله القوي الشامل ورميت من ارض علت بسهم الله ، وسبق القاتل ـ اللهم ياغالب على أمره ، ويا قائما على خلقه و ياحائلاً بين المرأ و قلبه و بين الشيطان و نزغة حل بينى و بين من لا طاقة لى به من خلقك ، و كيف عن السنتهم ونمل ايديهم وارجلهم ، واجعل بيني وبينهم سداً من نور عظمتك . وحجاباً من قوتك وحبذا من سلطانك فانك حى عزيز قادر ، اللهم أعمي عني ابصار الظالمين حتى ارد الموارد واغشى عنى ابصار الناظرين حتى لا أبلى من ابصارهم يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الليل والنهار إن في ذلك يصبرة لآولى الابصار كلما أضاءلهم مشو فيه ، واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على شيئ قدير))

بسأل الله سبحانه وتعالى ان يحيطه بعلمه وعظمته ويحول بينه وبين الآعدء ويسأل الله ان يغمره بنوره وان يعمي عنه ابصار الاعداء ويذكر الايات التي تدل على قدرة الله الواحد القهار .

ويعود صفات الله تعالى ويذكر منها الحياة الابدية وكونه حائلاً بين الانسان وقلبه وذلك بالقدرة الله يقدر كل شيئ وحبل لكل أجل كتاب .

سيتسلم الشيخ لامر لله وقدره تماماً ويعتمد على ذلك في نصرته عدد الاخرين .

وذكر المهدي انه قد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم في حضرة بهذه الصلاة التي حياء فيها

((بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى وسلم على فاتح الوجودات الكونية السابق في ضمن قبضة الازلية عين كنوز الماء في حضرة الشهود اللامقصود الرتق قبل ضتق الوجود ، روح حياة الاهون ومكنون سر الناسوت يمين القبضة حضرة الحق في علم السيف والخلق ، أصل دقائق الملكوت ورياض . دقائق الجيروت منه مدد الاشياخ وعنه قوت الارواح - سطوة سلطان الانس وعروس ديوان القدس ، برنامج القلوب ومشكاة القيوب ، القائد جيوش أهل الوصال إلى فضاء شهود الجمال ، صلاة آذلية الكمال ديمومية الوصال ، تليق بحمال الاقدس ، وتحيط بذانه الاطلس ، اللهم ازقنا لذة شهوده ، وعرفنا طريق سلوكه حتى نتخلص من عقال الاطبقة ونتفك من روابط الاهوية ، استخرجنا من لذة ملاحظة سؤال ، إلى مشاهدة جمال علاك وهب لى من نور جمالك هيبة ، وازرقني من سر جلالك سطوة ، اتصرف في جميع الارواح ، واتمكن بها من جذب القلوب والاشباح - واجعل اللهم نصرتي بتوحيدك . واستهلكني في فناء شهودك وافضى على من روحانية الختم الاكرم ضيفاً متصلاً بنوال استاذه الاعظم مع بقائ في شهود حبيبك المصطفى ونبيك المجتبى . اللهم صلى عنه وعلى اله وصحبه خذائن اسرار حضرته ، ومطابع انوار طلعته وسلم تسليماً إلى يوم الدين ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (١) .

يصلى الميرغني على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر ان هذه الصلاة تمت في حضرته النبوية . وتخلى له وجه النبي صلى الله علية وسلم وصار بعضة .

ونلاحظ تدقيقه في الوصف وكما هو يرى النبي صلى الله عليه وسلم جهازاً نهاراً حقيقة الحضرة النبوية كما ذكرناها سابقاً هي المكاسفه والقرب من الرسول ورؤية حرجهم صلى الله عليه وسلم .

ويذكر الكثير من أسماء الله الحسنى في هذا الدعاء وكذلك يتعرض النور الرياني . ويذكر فيها الحضرة النبوية . وذكر الحضرة تعارف عليه معظم علماء الصوفيه في هذه الفترة في السودان ـ ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم قابلهم ـ وامرهم بما يكتبون .

ويذكر السيد الميرغني ان هذه الصلاة تمت كتابتها في حضرة النبي صلى الله عليه وكذلك بين العبد ونفسه ، ولكن هذا الحوار في قالب التآدب والاحترم والدعاء ـ واذا بحثنا عن شخوص هذا الحوار نجد البعد يبتعد ويقترب من الذات الالهيه . لايستمر في الاقتراب لان الانوار الربانية تشع عليه .

وجمع مريدي الميرغني هذه الاذكار ووضعوها في كتب . وهي تدل على نمط متقدم لكتابه النثر العربي في السودان ولكنه نثر من نثر تأثيراً كاملأ بتعاليم الصوفيه ويتضح للقائ انه وضع بقصد التعبد به ولم يوضح لآجل دراسة جماله وفنونه .

إضافه لهذه الصلوات والاحذاب الف الميرغني كتاب المولد النبوي الشريف، الذي ذكر فيه بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وعدد صفاته واقواله وآفعاله .

وذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم صارت مناسبة متعارف عليها في انحاء السودان وموسم لغرض الثقافة الاسلامية ونثر كافة انواع الاداب والفنون النثرية المتعبد بها كافة الطرق الصوفية في السودان .

وتنصب السرادق والخيم في مجمع واحد وتقوم كل طريقة بتلاوة القرآن وقراءة مؤلفات شيوخها التي حضروا بها التعبد والتبتل والدعاء وذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم ويقدارها وابراز معجزات نبوته واظهار قوته وسطوته وانتصاره على اعدائه .

وتم تأليف عدد كبير من الكتب التي تهتم بالمولد النبوى الشريف واشهر هذه المؤلفات كتاب المولد الذي الفه الشيخ اسماعيل الولى وسمى بالمولد الاسماعيلى والمولد الذي الفه الشيخ محمد عثمان الميرغني وسمى بالمولد الميرغني .

و المولد الميرغنى تم نشرة فى داخل وخارج السودان و لم تقتصر دراسته و قراءته فى أيام مولد نبى صلى الله عليه و سلم عند طائفة الختمية بل صارت تتلوه و تتدارسة طرق صوفية أخرى و وحفظ الختمية هذا المولد وصاروا يتلونه و يتدارسونه و ساعدهم فى ذلك أسلوبه الجميل و سرده القصصى الرصين .وقال الميرغنى فى المولد : ((و لما جاء شهر ولادته و التى هى أعظم عطيه من الملك الحق المتفضل بتلك الهدية ، أخذت آمنة فى اتعاب الولادة ، و لم تزل و هى فى ذلك تتراكم عليها الأعراف العطرية ، و تزداد بشرى بقرب ظهور منور سائر البلدان ، و حضرها فى ليلة الولادة بعض من الحور العينية ــ و كذلك من النساء آسية و مريم إبنة عمران . فإشتد بها الطلق لتمام المدة فى ليلة الأثنين المطلية بأنوار و أسرار و حكم ورحمة و رأفة و غفران . و كانت اذ ذاك حاضرة عندها أم عثمان بن أبى العاص ذات الحظوظ الهنية و الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف سيد أهل الشكران فإشتد بها الطلق ، فوضعته صلى الله عليه و سلم مختوناً حكمة ربانية ، شاخصاً ببصره إلى السماء فنسالك اللهم سر الداران))

يصف مجلس و لادته صلى الله عليه و سلم وحضور معظم النساء الصالحات اللاتى ذكرن فى القرآن الكريم و لم يقف عند ذلك بل أن هنالك مجموعة من الحور العينية قد حضرت هذا الميلاد .

و الميرغنى لم يحضر ميلاد النبى صلى الله عليه و سلم و لكنه قرأ فى كتب السيرة النبوية الشريفة ، أة تكشف له هذا المشهد فى إحدى تجلياته الربانية ، و ذكر من النساء اللاتى حضرن ميلاده ، و فى مقدمتهن الشفة أم عبد الرحمن بن عوف ة و كأنه يريد أن يقول أنه مستقبله فى الإسلام كائن مقترناً بإسم إبنها البطل الهمام .

و بعد وصفه لحظة الولادة و البركات التى عمت فيها يقول الميرغنى و اصفاً المشاهد الأخرى و معدداً المعجزات التى ظهرت ، و دلت عند بعض العارفين أنه نبى بقوله (و قد حكت امه عن ذلك أموراً نورانية و خروج نور معه سطع فى الآفاق ، وقالت أم عثمان تدلت النجوم ، و لم تنظر عند ولادته ألا أنوار عمومية ، و ذلك أنها عمت في سائر الكيان و قالت أم عبد الرحمن لما سقط على يدى و إستهل علية الصلاة و السلام ، مقرونتان بالذكرية سمعت قائلاً يقول رحمك الله فيا هنيئاً لها بتلك المجلسان . و أضاء لها ما بين المشرق و المغرب من أنواره العظموتية حتى إذا نظرت إلى قصور الروم و كنعان .

وصف السيد محمد عثمان الميرغنى مولد النبى عليه الصلاة و السلام و صفاً دقيقاً و هذا مايدل على إطلاعه على كتب السيرة ، و إلمامه بكل كبيرة و صغيرة و الذى يقرأ مضمون التصوير يظن أن الكاتب حضر ليلة المولد و و لكن رضى الله عنه لم يكتفى بجمال مضمون الموضوع وورود كافة المعلومات المتعلقة بميلاد النبى صلى الله عليه و سلم وورد ذلك فى بناء نثرى جميل إهتم فيه بالصناعة اللفظية و أورد فيه بعض الكلمات لتستقيم مع وزن كلامه كالعظموتية و غيرها و أورد كرامات الرسول صلى الله عليه و سلم عندما كان عند حليمة السعدية .

و إستمر الكاتب فى رصد حياة النبى صلى الله عليه و سلم ليلة ميلاده موضحاً للأشياء الخارقة التى صاحبت هذه الليلة و سرد كل مرحلة فى سرد

منفصل حتى يكتمل عنده التصوير الفنى الدقيق و هذا الوصف المتسع الخيال أسهل الحفظ للقارئيين و قرب المعنى للباحثين .

و عند حليمة مع أخيه كان يرعى الغنم المسمنه فكان يظلله الغمام ، و قد صح ذلك فى غير مكان و جاءه ذات يوم و هو يرعى الغنم ، عصبة ملكية قيل ثلاثة و قال بعضهم إثنان و فى يد أحدهم طست من الأنوار الذهبية وهو مملوء ثلج بغير زيغ و لابهتان فشقا صدره الشريف ، و إستخرجا منه المضغة القلبية ثم شقا قلبه فأخرجا منه علقة سوداء فطرحاها من ثم ليطهران . ثم غسلا بطنه بذلك الثلج حتى تركا تلك المضغة منقية . فختماها بخاتم النور فملآها حكمة و إيمان ، ثم قال جبريل قلبٌ و كيعٌ شهادة من الحقيقة أى شديدٌ و قيمة يا بنى عينان تبصران فما هو إلا أن و لياً عنه فصار الأمر معاينة عيان))

يصف الطريقة التى تم بها تحضير قلبة صلى الله عليه و سلم للرسالة المحمدية ، فتم غسل قلبه بطريقة كانت أمام ناظرين فى طست فيه ثلج و هذه الحادثة تزكرهاجميع كتب السيرة .

و قصة خاتم النبوة من الأشياء المعروفة فى الأدب الصوفى شعراً و نثراً ، و تيمن الناس بذلك بل صاروا يبحثون عنه و يقولون أنها علامة فى ظهور أبنائهم و يقولون أنها خاتم النبوة .

و يستمر الميرغنى فى وصف ميلاده صلى الله عليه و سلم ويقـــــــول : ((و كان له كما صح أذنان للوقائع تسمعان . ثم قال له أذنة بعشرة من أمته الحشرية فوزنه فرجح بهم و وهيهات أن يذنه الكونان ، ثم قال له ذنه بمائة من أمته الأخرون فوزنه فرجح بهم كما صححه الحيران . ثم قال وذنه بألف منهم لتتم من الله و الخلق الشهادة العدلية فوذنه فرجح فقال له صاحبه لو وذنته بأمته لوزنها مرجح الميزان و ثم ضموه الى صدورهم و قبلوا رأسه و قالوا لن يراع ياسيد جماعة النبوة الرسلية))

و يمكن أن يكون الثقل المقصود ثقلاً معنوياً و يمكن أن يكون ثقلاً حسياً و يصف المباركة بوضع اليد على رأس النبى صلى الله عليه و سلم وهذه العادة مازال أقطاب الطرق الصوفية يفعلونها .

و هذه القصة مأخوذه من السيرة النبوية و تظهر فى قالب جميل لكنه لم يستوفى شروط القصة و لكن القارئ لهذا الكتاب يطمئن و يعرف أن الكتابة صارت تسير إتجاه القصة التى عرفها السودان فى العصر الحديث .

و يقول الميرغنى فى هجرة النبى صلى الله عليه و سلم و رقيقه رضى الله عنه : ((ثم لم يزل صابراً صلى الله عليه و سلم على الخبائث الصادرة له من فئة الكافرين و يدعو لهم من حسن خلقه بالهدى و الهدايات فهدى الله من هدى بعنايته و أمره ليتم له بالهجرة النبوية فخرج هو و الصديق ، و تخبيا فى غار ثور و ظل الكفار لهما ليقتلان . فأتوا إلى الغار و قد أمر الله الحمام و العنكبوت تنسج تلك المغارة المحصونية فقال أبو بكر هولاء هم فقال من ملأ الله قلبه بالسكينة و الإطمئنان ، يا أبا بكر ما بالك بإثنين الله ثالثهم . فأنزل الله سكينته النصرية و مضو الى المدينة فأدركهم فى الطريق سراقة فساخت قوائم فرسه فنادى الأمان فحمله النبى صلى الله عليه و سلم فرجع ورد الكفار عنه ، ودخل النبى صلى الله عليه إلى الديار الحرمة . و نزل عند خواله فى دار بنى النجار أهل الرسخان و نى المسجد وحضر الجيش هو و الدئرة و الأصحاب و أقام الدين حتى أتاه اليقين خواص مولاه بإحسان . و إستأذنه ملك الموت ولم يستأذن أحداَ من قبله من الأنبياء القبليه فأذن له و أعظم المصائب علينا وفاته فالحكم للمنان . و دفن صلى الله عليه و سلم فى حجرة عائشة زوجته التى نزلت فيها الآيات التبريئيه و عند رجليه أبو بكر الصديق و عمر الفاروق مدفونان ، و صلت عليه الملائكة و عزت أهله مع الخضر ذو العلوم اللدنية ثم صلى عليه الرجال بوصايته و النساء و الصبيان و عمت ملته فى جميع الأرض و بركته شئ من الأكوان))

إلى أن وصل إلى لحظة و فاته و كانت بطريقة مخالفة لجميع الوفيات فأخذ ملك الموت رأيه و دفن فى البقيع إلى جانب أصحابه أبو بكر و عمر .. ولحظة و فاة النبى صلى عليه و سلم ظهرت الشخصية التى ذكرها النثر العربى كثيراً ووقف عندها المتصوفة فى كل آدابهم و هى شخصية نبى الله خضر . و معظم الصوفية متشبثين بذكره ، و إعتباره روحاً حيه مشاركة لهم فى كافة مناسباتهم وإحتفالاتهم و يلاقيه السعداء من الناس ، و إنه لا ظل له . و هكذا صور السيد الميرغنى هذه القصة الشيقة فى مولد النبى صلي الله عليه و سلم .

ومن العارفين بالله الذين تركوا نثراً عربياً صوفياً هو الشيخ أحمد التجانى مؤسس الطريقة التجانية و كان رضى الله عنه مداوماً على قراءة القرآن و يقول ((أقل مايجزى قارئ القرآن فى اليوم حزبان أى يختم القران فى كل شهر مرة و أفضل كلمة فى القرآن لا إله إلا الله و وفى الحديث (أفضل الذكرلااله الا الله) و له أذكار مشهورة و منها حزب البحر الذى جاء فيه ((ياعلى ياعظيم ياحليم ياعظيم أنت ربى و عملك حسبى ، فنعم الرب ربى و نعم الحسب حسبى ،تعز من تشاء و أنت العزيز الرحيم نسألك العصمة فى الحركات و السكنات و الكلـــــمات و الإرادات و الخطرات ، من الشكوك و الظنون ، و الأوهام السائرة للقلوب عن مطالعة القبوب ، فقد إبتلى الؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديد ،و إذا يقول المنافقون الذين فى قلوبهم مرض وما وعدنا الله ورسوله إلا قرورا ، فثبتنا و أنصرنا و سخر لنا كما سخرت البحر لموسى و الحديد لداؤود ، وسخرت الشياطين و اللجن و الإنس لسليمان و سخرت الثقلين لمحمد عليه الصلاة و السلام سخر لنا كل سحر هو لك فى الأرض و السماء و الملك و الملكوت ، و بحر الدنيا و بحر الآخرة و سخر لنا كل شئ ـ يامن بيده ملكوت كل شئ))

أنصرنا فأنت خير الناصرين و أفتح لنا فإنك خير الفاتحين ، و أغفر لنا فإنك خير الغافرين ، و أرحمنا فإنك خير الراحمين و أرزقنا فإنك خير الرازقين

و أهدنا و نجنا من القوم الظالمين ، و هب لنا ريحاً طيبة كما هى فى علمك ، و أنثر علينا من خزائن رحمتك و أحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة و العافية فى الدين و الدنيا و الآخرة إنك على كل شئ قدير))

ترد فى هذا الذكر بعض الحروف المتقطعة و بعض الأسماء المهمة و هذا من خصائص الأدب الصوفى و يقول ((اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، و أستغفرك من كل ما وعتدك به من نفسى ثم لم أوف لك به . و أستغفرك من كل عمل ما أردت به و جهك فخاطبنى بها غيرك ، و أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فإستعنت بها على معصيتك و أستغفرك يا عالم الغيب و الشهادة من كل ذنب أذنبته فى ضياء و شروق أو سواد الليل فى ملاءِ أو خلاءِ أو سرِ ياحليم)) و سلك الشيخ أحمد التجانى مسلك الصوفية الآخرين فى الإقتباس من القرآن الكريم و ذكر بعض القصص فى دعائه لتقريب المعنى .

و أشرنا فى مقدمة البحث أن الثورة لمهدية تعتبر إمتداداً طبيعياً للفترة التى سادت فيها الطرق الصوفية فى السودان ، و أن الأمام المهدى ثقافته صوفية و درس على يد متصوفة و نال تعاليمهم و تمسك بكل الخصائص المميزة للأدب الصوفى فى خطاباته و مناشيره و دعواته و راتبه .

و يتضح ذلك فى منشور المهدية الأول الذى جاء فيه :

((الحمد لله الوالى الكريم و الصلاة على سيدنا محمد بن عبد الله والى أحبابه فى الله المؤمنين بالله و كتابه .و لا يخفى عزيز علمكم فناء الدنيا و أن من تجرد لله تعبداً و صدق فى دينه و إمتثل لأمر الله لا يلاحظ جاهاً و لامالاً ، لا، الله من كان باللخ و الله لا ينظر إلى ذلك فإذا نظر إلى ذلك حجب عند الله و طرد من حضرته وواقعه الله فى نار الهموم و الأتعاب . و لعذاب الآخرة أشد و من أخرج من مال أو جاه لله عوضه الله خيراً منه و كان مقرباً عند الله تعالى و لذلك قال الله تعالى

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا و إتقو ا لكفرنا عنهم سيئاتهم . و لأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوارة و الإنجيل و ما أنزل إليهم من ريهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم) فمعلوم أن من كان لله كان الله له وورد عنه صلى الله عليه و سلم (أنك لن تجد فقد شئ تركته لله) أى لا تجد له ألماً و لاهماً ، فقد فتح الله بالأنبياء باب الإقتداء . فسليمان عليع السلام لما شغلته الخيول عن الله أقبل يقطع سوقها و رقابها و تجرد منها لله حقو فيه الريح غدوها شهراً ورواحها شهراً .

و نبينا محمد صلى الله عليه و سلم لماخرج أهله و هاجر من ديارة عوضه الله مالا يخفى و الصحابه كذلك وهو لم يجري الى غير ذلك من الأنبياء و الصالحين ، فيا أيها الأحباب إن هذا الزمان معلوم الحال و الطباع اشرق بعضها بعضاً . ولا مخلص إلا بالهجرة و فى ذلك مالا يخفى من الأدلة كتاباً و سنة .

و قد أمرنى سيد الوجود صلى الله عليه و سلم بمكاتبة المسلمين و دعوتهم إلى الهجرة معاً غلى محل يكون فيه قوام الدين و إصلاح أمر الدارين))

و بعد هذه المقدمة الطويلة و تقليل شأن الدنيا و عدم الركون بهـــــــــا و الإستشهاد بالأنبياء و السابقين . و ما لا قوة من خير أوغير بعد ان تحللوا من قيود الدنيا تم تسخير الرياح لسليمان و تم تسخير الحديد لداؤود .

و أراد بذلك أن يهئ أصحابه للهجرة التى حدد وجهتها و فائدتها و مضى يقول : ((و مثلكم لازم أن يحث على هذا الأمر ، و يكون من أول المقومين و التابعين ،و معاذ الله أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم . و هذا الأمر لا شك فيه فمن صدق به و إتبع كان من المقربين و من كذب و صد عنه فعليه إثمه و أثم من إتبعه . فأن مات قبل ظهوره فيعاقبه الله على ترك الأمر ، و صد من يهاجر فى سبيل الله و رسوله لتقويم السنة النبوية . و معلوم أن من لم يتبع فى هذا الأمر ينخذل فى الدارين و ذلك بأشارة أعلمنى بها سيد الوجود صلى الله عليه و سلم و على الحضرات التى أيدنى بالمهدية فيها))

يذكر الأمام المهدى أن أمر مهديته ماضى و أن كل من خالفه يحاســـب و أن النبى صلى الله عليه و سلم عاهده عليها وتم ذلك فى الحضرة النبوية)) شهد جمع من الفقراء الأتقياء الذين لا يعبؤوا بهم و مقاماتهم عندالله و رسوله صلى الله عليه و سلم و أحبهم إلى الله و لو أقسم أحدهم على الله لأبره كما ورد و كذلك جمع من المشايخ . و معلوم أن الأمور تجري على علم الله و علم العباد لا يزيد فى علم الله نقطة بالنسبة إلى بحار الدنيا ، و لله المثل الأعلى كما قال الخضر لموسى عليه السلام ، و لاسيما و علم المهدى كعلم الساعة و النبى صلى الله عليه و سلم لم يوقت و لم يعين .

و قال صلى الله عليه و سلم (كذب الوقاتون) و فيما ذكره محى الدين بن عربى فى تفسيرة فى هذا المعنى كفاية ، وقال الشيخ أحمد بن إدريس كذبت فى المهدى أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله و قال (سيخرج من جهة لا يعرفونها و على حالة ينكرونها . و إنى لايعلم بهذا الأمر حتى هجم على من الله و رسوله من غير إستحقاق لى بذلك فأمرة مطاع ، وهو يفعل مايشاء و يختار))

و حكم نبيه صلى الله عليه و سلم كحكمه . و لما تكثرت منه الأوامر و البشائر لى فى هذا المعنى إمتثلت قياماً بأمر الله ، و قد كنت قبل ذلك ساع فى إحياء الدين و تقويم السنة ، و لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . و ليكن معلوم عندكم أنى من نسل رسول الله صلى الله عليه و سلم فأبى حسن من أبيه ، و أمه و أمى كذلك من جهة أمها و أبوها عباسى و لى نسبة إلى الحسين و الله أعلم . وقد حصلت لى بشائر من سيد الوجود صلى الله عليه و سلم بتأيد من الملائكة الكرام العشرة و غيرهم و بتأيد آلاف من الأولياء . و لقيمات أصحابى بعد تغسيلهم من الدرن . و الهم مائتان و أربعون ألفاً ، و مثلكم تكفيه الإشارة و التلويح فضلاً عن التصريح ، و معلوم أن المهدى و اجبة طاعته على كل مسلم من أحبه و من كرهه و لقد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه و سلم و أشار لى بمكاتبة المسلمين و

دعوتهم إلى الهجرة معنا فهى مطلوبة جداً و من الأوامر لى لايجوز مخالفتها ، ولا يلتفت فى ذلك إلى أحد فإن إتبع الأهل فيها و إلا فالصحابه تركوا الأهلهم للهجرة مع الرسول صلى الله عليه و سلم و السلام))

و هذا الخطاب يعد الخطاب الأول الذى أوضح فيه الإمام المهدى مهديته، و إحتوى على الكثير من مرتكزات المتصوفة فأكثر فيه من ذكر النبى عليه السلام و بدأ بالتعويذ و الإستغفار و و أورد فيه أسماء الكبار من علماء الصوفية ، إبن عربى و أحمد بن إدريس و تحدث فيه عن المقامات و الولاية و الكرامه . و موضوع المهدية نفسه من المواضيع المتداولة عند علماء الصوفية ـ و أورد فيه ذكر الحضرة النبوية و هى من السمات المميزة للأدب الصوفى و لم يهاجم فية متصوف بل طلب منهم أن يتبعوا دعوته و يناصرونه لأنهم مؤيدين فى الحضرة النبوية بالمد الإلهى و مكانتهم حسب ما ورد فى مقدمة هذا الباب أنهم يدركون مهديته .

و أثر هذا الخطاب فى الكثير من السامعين له و إتبعه الكثير من العلماء الصوفية مثل الشيخ أحمد المجذوب و الشيخ الطيب و مشائخ الجوامعة و البديرية و غيرهم فى كردفان و أنكره بعض أقطاب المتصوفة ومنهم الشيخ محمد عثمان الميرغني فكتب لهم منشور محزراً لهم ومطلقاً عليهم اسم علماء السوء .

ياعلماء السوء لتصومون وتصلون وتدرسون مالا تفعلون . فما سوء ماتحكمون تتوبوبالقول والأماني ، وتعملون بالهدى ومايغني عنكم ان تتقوا جلودكم وقلوبكم آسنة بحق اقول لكم لاتكونوا كالمتخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة . كذلك انتم تخرجون الحكم من اقواهكم ، يبقى الفعل في صدوركم ، ياعلماء السوء كيف يدرك الاخرة من لاتنقضي من الدنيا شهوته ولاتنقطع عنها رغبته بحق اقولكم ، افسدتم اخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الاخره ، فأي الناس افسد منكم لوتعلمون ويلكم حين تصفون الطريق

للمرجلين ، وتقمون في محلات المبحرين كالنكر تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم . مهلاً مهلاً .

ورد في هذا الخطاب الترقيب والترهيب للعلماء داعياً لهم ان يتبعوه ولم يحمل عليهم والدليل على ذلك انه لم ييأس من العلماء .

والقى الامام المهدي المذاهب والتفاسير والحواش ـ ونادى بالرجوع للكتاب والسنه ويظهر ذلك في رسالة كتبها إلى الشريف محمد الامين الهندى في شوال ١٩٢٩.

وسبب هذا الكلام صراعاً فكرياًبينه وبين العلماء اضف إلى هذا ان اغلب العلماء المشهورين كانوا ضده وشككوا في اقواله ومناشره ونشروا بعض حكمدار السودان في ذلك وانقلب هذا العداء إلى عداء سياسي .

وسبق ذكرهذه المساجلات في باب انواع النثر في السودان ولابد ان يقودنا الخلاف الفكري إلى خلاف في مادة العرض هي النثر الذي عرفت به .

وبعد الدراسة الدقيقة والقارنه بين النثر الذي كتبه الامام المهدي سواء كان في المنشورات او الراتب الشريف او الرسائل المختلفة ، على الرقم من ان النفس الصوفى وخصائصه موجوده في جميع الكتابات إلا ان النثر عند الامام المهدي اكثر تطوراً من النثر الذي تمت كتابته في دولة الفونج مثل الوثائق والادب الشعبي وغيره .

وهنالك تطور واضح في النثر في عهد الدولة المهدية في جانب الشيخ والكتابه والطباعه واستطاع المهدي ان يؤلف كتباً اعتمد عليها المؤرخون والكتاب ووضعوها في كتب كبيرة ومجلدات .

واهم ما جاء في مؤلفات الامام المهدي راتبه الذي قال فيه الدكتور ابوسليم ((ان الراتب سيتحق ان يدرس دراسة علميه تخرج به من حيز التعبد الصرف الذي عليه آنصار المهدي مع احترامنا العميق لمشاعرهم الدينية ، إلى

رحاب العلم الواسع حيث يعد الراتب غذاء فكرياً للمثقف مثلما هو غذاء روحي للمتعبد))

وتستحق معاني الراتب واشاراته الظاهره والخفية ، وسائر نصوصه البليغة ان تدرس دراسة علمية تضيف إلى ابعاده ابعاداً جديدة منتطبقة منه ، وبعض الباحثين حاولوا التمكن من استقصاء مكنوناته العظيمة ، فإن المرء اذا تأمل هذه المكنونات ووقف متدبراً لتفاصيل ومقاطع واشارات الراتب المختلفه ، ايقن ان كثيراً منها يصلح كل منه على حدة وفيه امكانية ذاخرة لبحث علمى مستفيض .

وعرف د/ ابوسليم الراتب بانه " مؤلف ديني عظيم عبر فيه المهدي عن وجدان ديني عميق وقد سما فيه اسلوباً وغايه " .

ومع دور الراتب المعروف إلا ان قراءته صارت محصوره في نطاق اتباع الامام المهدي بل واخشى ان اقول المتمسكين من هؤلاء فقط ولم اشعر قط ان المثقفين اهتموا بالنظر فيه وهم في الغالب لايلتفتون لمثل هذا اللون من التآليف وحتى اولئك الذين ينتظمون منهم في الطريقة على نفس بانن بالرقم من اشقالي بأثار المهدي لما يزيد على ربع قرن ـ لم اقرأ الراتب القراءة التي اريدها إلا بعد ان بدآت هذه الدراسة على عزم نشر الراتب مع آثار المهدي الاخرى .

وكآني آرى في هذا صدقاً لتحسر الدكتور زكي مبارك عند ما يلاحظ ان قراءة الاوراد والرواتب ظلت محصورة في نطاق العامية مع ما فيها من السمو الروحي ، ودقة التعبير عنه وجاء راتب الامام المهدي خالياً من اي وجه من اوجه السياسة ، او الارتباط بمذهب معين ،وليس في فقراته ماهو مرتبط بزمن معين او موقوت بعمد ويمكن لآي قارئ ان يقرآه ويردده تقرباً إلى الله دون ان يرتبط بعقيدة بعيتها او مذهب . وقال البروفسير عبد الله الطيب عن ال راتب (و إته كلام صالح من وحى الله عز وجل و أحاديث النبى صلى الله عليه و سلم ، و آثار الصالحين و ال وكان مبروراً بالذكر و مختوماً به ، القرآن و الصلاة و ذكر

العبادات ذكر وما يأمر الله به من أمر ذكر و أعمال البر و تختم بالذكر ، وراتب الأمام المهدى مرتب على على همية الذكر . و ضرورته من بدايته الى خاتمته ، ومبدوء بالذكر و مختوم به ذلك الفضل المبين (١)

للألهام دور كبير فى تاليف راتب الإمام المهدى ورد دور الإلهام فى قول الصوفية قال فى ذلك أبو العباس المرسى ((لى أربعون سنة ماحجبت عن الرسول الله صلى الله عليه و سلم و لو حجبت عنه طرفة عين ماعدت نفسى من جملة المسلمين ، أما الخضر عليه السلام فهو حى و صافحته بكفى هذه و تحدث معى))

و يقول الأمام الغزالى فى إحياء علوم الدين ((فإن القلب تتفجر منها ينابيع الحكمة من القلب أما الكتب و التعليم فلا تفى بذلك بل الحكمة الخارجية عن الحصر . و البعد إنما تتفتح بذلك بالمجاهدة و المراقبة ، ومباشرة الأعمال الظاهرة و الباطنية و الجلوس مع الإله عز وجل فى الخلوة مح حضور القلب سعياً فى الفكرة و الإنقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام و منبع الكشف فكم من متعلم طال تعليمه و لم يقدر على مجاوزة مسموعة بكلمة و كم من مقتصر على الهمم في التعلم، ومتوفر على العمل ، ومراقبة القلب فتح الله عليه من لطائف الحكمة ماتحارضة عقول ذوى الالباب ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم))

ويقول الحسن بن سعد العبادي في روية اولياء الله للنبي صلى الله عليه وسلم حقاً

ودراستنا لراتب الامام المهدي دراسة ادبية ونقدية تبحث فيها عن جمال النثر ولغته والاثر الصوفي عليه وقفنا في استفتاحية هذا الباب على نصوص نثرية لبعض علماء الصوفيه واضحاً وهذه النصوص بالاضافة للاستفادة منها للتعبد والتبتل إلا انها اخفضت في باطنها صورة جميلة للنثر العربي وراتب الامام المهدي كتابة نثرية يكثر فيه الدعاء وترد فيه الايات القرآنية المقتبسة . وقال فيه الدكتور ابو سليم ((الدعاء من باب التأليف الدين وقد يرى الامام المهدي فيه إجاد

وهو مكثرمن الدعاء بقدر ملفت ، ولو احصينا ادعيته لبغلت قدراً كبيراً ، ثم انه نوع فيه ضمن الدعاء لمن يخاطب في مراسلاته ومنه ما يقبل به على الله في حالات التعبد ومنه مايقال عند القتال واقلب دعائه ان من ادب الدعاء في الاسلام وماته ومن اليسير ان ترد بعضه إلى اصول من التراث ، خصوصاً ماكان من االرسول والانبياء والصحابه ، ولكن المهدي يبرز بكثره معلقة بالدعاء و إكثارة من ألوانه ، وسبكه القوى لبنائه ، وله ميزه خاصة من العامه و ليس فى مقدورهم حفظ النصوص المطوله . و لهذا لجأ للإختصار و التبسيط و يحتوى راتب الإمام المهدى على(١٤٥)آية من القرآن الكريم و يقول الدكتور أبو سليم فى إختيار المهدى لهذه الآيات الموقع العظيم الذى يحتله القرآن الكريم فى نفس الإمام المهدى فهو يحفظه غيباً و يقرأه متأملاً ويسترشد به فى أفعاله و يحتكم إليه فى أحكامه و يجرى به لسانه إذا تكلم و قلمه إذا كتب و قد فسر بعض آياته شارحاً المعنى و مبيناً الغايات وقد إختار المهدى الآيات بعنايه و دقه يذكر بقدرة الله و سعة و إطلاق ملكه و لبيان و حدانيته و صمديته فأورد الآيات القرانية فى مواضع مختلفة فى الراتب و كل ذلك يشير غلى عظم إجلال الإمام المهدى للقرآن (١)

و إنتهى الإمام الغزالى فى كتابه جواهر القرآن إلى (٧٦٣) آية و قد يصادف واحدة فلا يمكن تقطيعها فتنظر إلى الأغلب من معانيها فالشطر الأول من الفاتحه من الجواهر و الشطر الثانى من الورد و لذلك قال تعالى ((قسمت الفاتحة بينى و بين عبدى))

والمقصود من سلك الجواهر إقتباس أنوار المعرفه فقط والمقصود من الدرر هو الإستقامة على سولى الطريق بالعمل . فالاول علمي والثاني علمي وامثل الايمان العلم والعمل))

هذه الاقوال التي وردت في راتب الامام المهدي يدل على عظمته واضافه اهتمام العامة به وحفظه عن ظهر قلب ويرد في صباح ومساء يومياً في حلقة باقي

الناس على اطرف الحلقة مستعين ماذكره هؤلاء العلماء لابد من دراسته دراسه موجزه .

وذلك الوقف على الاسلوب واللفظ والمعنى الذي ورد فيه ومعرفة مدى تأثيره بالمتصوفه اقوالأ وافعالأ وحصر خصائص الصوفيه الوارده فيه .

قال الامام المهدي في فاتحه الراتب ((الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . هو الذي خقلكم من طين ثم قضى اجل واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون . وهو الله في السموات والارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون))

يحفظ فاتحة الراتب الكثير من اتباع الامام المهدي ويطلقون عليها اسم تكسبون وهي عبارة عن دعاء افتتاحي ممزوج بايات قرآنية تؤكد قدرة الله تعالى ورادته .

ويقول ((الله يا مذكوراً بكل لسان ويا مقصوداً في كل آن ، ومالكاً لكل جرح وعرض وزمان أسآلك بما توليت به الاولياء المقربين الذين لهم عندك شأن ، ان تصلى وتسلم و تبارك على سيدنا محمد ، و على آله عدد ما يكون و ما كان ، و أن تصيب قلوبنا بنور الضمان و أن لا تغفلنا عنك و أنت القريب فلا تنسنا قربك يارحمن . و أجعل قلوبنا و اعية بك عارفة بما أسديته من الإحسان ، و لاتجعلنا فى ذكرك غافلين عنك و ياملك ياقاهر ياظاهر البرهان . و أورثنا الأدب معك . و قد تأدب للملوك المعت هو الذى هو كالحيوان . لما من أياد قاصرة لم يكن لها قيام من الباطن و لاتعلم منه كل شأن و لاتعترف لاحد منهم له إلا بمقدرتك و أنت تعلم منهم مالا يعلمون من الباطن و ظا هر الأركان .))

يوكد الأمام المهدى ذكر الله على لسان من ألسنة الإنس و اللجن و أن . وحضرة الله بتأدب لها كل انسان وحيوان . ويسأل الله ان يجعل قلبه واعياً بعظمة الله

وادركنا في دراتنا في الابواب السابقة ان المتصوفه قالباً ما تحرك قلوبهم قبل العقول وانهم محبوبون لله تعالى . وبسأل الله ان يجعله مداوماً على ذكره .

والملاحظ ان الامام المهدي كتب هذا الراتب وهو يصور جلسة وحضرة بنوبة ويؤكد ان كل انسان ينال حظه من هذه الحياة بمقدار وتطرق لآهم خواص التصوف في هذه الجزئية وهي علم الظاهر الباطن .

ومعظم علماء الصوفيه يهتمون بعلوم الباطن التي يعرفها العالم المتصوف بالكشف الألهي او في الحضرة النبوية .

ويقول الامام المهدي :

((فسبحانك لا ألـه إلا انت اني كنت من الظلمين ، فلم يكن لي قول إلا ان أقر بظلمي ، واطلب منك المغفرة والتوبه والتوقيف ، والتولية في كل شأن ، فأغفرني وتب على ، ووفقنى وتولني يامن تولى كل رئ ولاية ، فلم يكن له من نفسه مكان وليس له غيرك حال في الازمات ، فكما اوجدتنا يارب من غير يد منا وهديتنا إلى الايمان فتولي حالنا في كل ذكر من التدين بالقرآن والحفظ في حالٍ وشأن امين))

ويعترف الامام المهدي بظلمه وذلك تمهيداً لعرض نفسه لتفسل من هذا الظلم بطلب المغفرة والتوبه والتوقيف ـ ويسأل الله الذي اوجده من غير يد منه ان يتولى حاله وشانه ويهدية ويرشده .

ويقول الامام المهدي((نتوسل اليك اسم بحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع السلام ـ وبآله واصحابه الكرم ـ ان تهب لنا حلاوة ذكرك ـ وهيبة حضرتك . ومعرفة عظمتك ، وخوف سطوتك ورجاء رحمتك ، والطمع فيما عندك ، والشوق وإليك ، وشدة الحب فيك ، ويثار في كل حال والنظر إلى قدسك وحمالك والجلال . واذل من قلوبنا الفضله عنك ، والالتفات إلى شيئ دونك وامح عنا جميع الاقترار والضلال ، وجنبنا عدم المبالاة بوعدك ، ووعيدك ، واجعلنا بفضلك على

ماتحب وترضى ، وقربنا منك في كل حال ولاتجعل في قلوبنا ركوناً لشئ من الدنيا يا أرحم الراحمين))

يناجي الامام المهدي ربه ويتوسل اليه النبي صلى عليه وسلم برجاء الرحمة والطمع فيما عند الله . وتردهنا عبارة النظر لجمال وجلال الله . وايضاً يطلب تنقية القلب ونظافته من ارجاس الحياة ـ ويتمنى ان يسر في حياته بهدى الله ولايضيف الدنيا ويركن لها و سأل الله أن يقويه على الذكر فى قوله ((و أمنحنا التبتل إليك ، و قيام الليل ، و قيام الليل لمناجاتك و الأنس بك و التلذذ بتلاوة كتبك يا أرحم الراحمين و يارب العالمين . و يا ربنا ورب كل شئ و يامبئاً برحمته قبل سؤال السائلين . أجعلنا من أعظم المتفكرين و هب لنا تفكر أعظم المقربين على سن سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم))

يسأل الله أن يقويه على الخشوع و قيام الليل فى الذكر عبادة و العبادة و المنجاة و يقول :

((إلهى أجعل ذكرك قمرى فى الليالي و شمسي فى ظلمة الأهوال وأجعل التفكر فى عظمتك والإكتفاء بك و النظر إليك نصب عينى فى جميع ساعات الليل و النهاروأعطنا الشكر لنعمتك وهب لنا دوام قربك و عظيم خشيتك ووقر قلوبنا بهيبتك وأجعل الخشية منك كما هو مطلوب عندك على حاله الكمال . ولا تجعلنا ممن يفضل عنك و قتاً من الأوقات و أبعدنا من جميع أحوال الجهال فإن رحمتك كثيرة متواترة بالليل و النهارولكن الجهل بك و القفلة عن تراكم نعمتك أورثتنا الخبال فأرجنا يارب منهاوهب لنا كمال معرفتك و ذكرنا بك و بقربك فى كل حال))

يسأل الله أن يقويه بالعبادة و الخشوع و ذلك فى تصوير بليغ للقمر وهو ينور لياليه و الشمس تضئ له الطريق . و يسأل الله أن يتجهه على الذكر و لايغفل عن ذلك لحظة .

و يذكر أن رحمة الله متواترة لكن القفلة و عدم التذكر و الخشوع أورثــة و من معه الخبال ، ويقول الإمام المهدى ((و نبهنا لكثرة نعمك و أرنا أسرار عظمتك ياذالجلال و لاتخلنا طرفة توليك و حفظك و مراعــاتك ـ والنا بمـــــددك و أجعل وروده علينا كوابل الأمطار ياحنان يامنان و أرنا من عظمتك ما أطلعت عليه خواص المقربين أها التصوف و الأيقان يارب العالمين و ياقائماً بالكـــونين و يا رازقاً للثقلين . فثبت لنا الايمان ومدنا باسرار ذكرك والقرآن .

ويسر اللهم لنا الاكثار من ذكرك ، والادمان لشكرك ، وهون لنا طول مناجاتك والقيام في صلواتك واملا يواطننا من نورك وحتى نقوى على شهودك إنك انت اللطيف القدير . وزوقنا يارب حلاوة الايمان بك ، وصف سرائرنا حتى ندرك حلاوة القرآن . إنك انت الله الحليم التواب الحنان ، ياحنان يامنان يامتعطف يارؤوف ، يارحيم ، فليس لنا من نقبل علية ، وتلتجئ اليه سوال ياولي يارحمن فتحن علينا برحتك ، يا آرحم الراحمين ـ واصرفنا عن كل مالا يرضيك ، واجعلنا راضين ومرضين بالاحسان ولا تسئمنا من العمل لم يرضيك ولا تبعدنا من قربك ، انك على كل شئ قدير ، واهدنا يارب الصراط المستقيم ، ولاتجعل لنا قلباً من الاقبال عليك سقيما ، ولا تبتلينا بالبعد عنك يارب العرش العظيم ، فانا نعوذ بك من سخطك ، ومن الشيطان الرجيم ، ونعوذ بك من بعدك ومن الجهل ياآقرب معاذ وبا خير ملاذ يارب ياقادر عليم ـ فلك الحمد جمداً كثيراً ولك الشكر شكراً كبيراً))

يناجي الامام المهدي عليه السلام الله كي يجعله دوماًعلى الصراط المستقم ويسأل الله سبحانه وتعالى ان يشفى قلبه من الامراض بشفاء الايمان والحب الالهي ويقول ان الشكر كله والحمد كله لله رب العالمين .

ونسبحك بكرةً واصيلا ، فبحمدك نبهنا وبشكرك هيئنا وبلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حققناً . ولتسبيحك عرفنا فيا عليم علمنا ويارقيب قربنا ، ويانور بالتقوى نورنا ، والهمنا رشدك الذي الهمت به الاصفياء والمقربين ،

وانك قادرٌ على ذلك نحن مضطرون لما هنالك . فيقظنا قدير وبالاجابه جدير وصلى على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم))

والتأمل في الايات الثلاثة التى فتح بها الامام المهدي الراتب من سورة الانعام يدرك تناسقاً وتطابقاً في المعنى لايخطئه حس بعيد والتناسق بين التركيب والالفاظ وبين عميق المعاني التوحيدية واضح جلى تلمحة عين العقل المبصرة وسيتسيقة الزوق السليم[1] ويقول صاحب ضوة التفاسير في هذه الايات التي افتتح بها الامام المهدي الراتب ((جمع الله تعالى ضحيا الظلمات لان شعب الضلالة مقدرة ومسالكة متنوعة ، وافرد النورلان مصورة واحد هو منور الاكوان[2] وفي نصف الدعاء يتوسل الامام المهدي عليه السلام با الأولياء وبعد الولاية اقصى مراتب التصوف قرباً من استجابة الدعاة ، ويناجي الله تعالى يقوله ، وانت قريب يقصد لاستجابه هذا الدعاء ويقول الامام الغزالى لاتجعلنا في ذكرك غافلين)[3] حقية الطريق امران ، الملازمة والمخالفة يشقل عن الله ـ وهذا هو السفر اليه وبس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه فانها معاً ((نحن اقرب إليه من حبل الوريد)) وسأل الله عز وجل ان يهبه التأدب في الحضرة ويعترف النص بظمة ((فلم يكن لى قول إلا أن آقر بظلمي)) وقال الرازي في ذلك وشرط من يلجئ إلى الله ان يبدأ بالتوحيد ثم يآتي بعده بالتسبيح . ثم الاعتراف والاستقفار والاعتزار.

وبعد الاستغفار التوبه طلب الامام المهدي التوفيق والتوليه في كل شأن ((كما تولى الانبياء والرسل والاولياء الصالحين واحاطهم بالعنايه وقوله يامن تولى كل ذي ولاية فيه اشاره إلى ولاية العبد لله والرسل والذين امنوا وقوله ((فتول لنا)) فيه

[1] سياحة وتبصر في راتب الامام المهدي ص. ٢٥ د. موسى عبد الله حامد
[2] صوفوة التفاسير ج١ ص٣٧٨ محمد على الصابونبى
٣ جواهر القران ص١٣ الإمام الغزالى

طلب الارفع والاعلى من الولايتين . ووصف الدكتور موسى عبدالله حامد قول الامام المهدي .

((أن تهنئ لنا حلاوة ذكرك . وهيبة حضرتك ومعرفة عظمتك ، وخوف سطونك ورجاء رحمتك بانه دقيق في التعبير عن ما يريد وموفق في اختيار الالفاظ التي تبنى عليها آركان المعاني ـ فانظر إلى هذا الجمع الفريد بين نوافر الكلمات ولطائف المعاني متانه التعبير ،وحلاوة الموسيقى المنبعثة من هذا السبك القوي الاخاذ .

ويذكر الامام المهدي الحضرة الالهية في قوله ((وهيبة حضرتك)) وهيبة الحضرة الالهية هي مناط الذكر ومداره ومركز الثقل فيه خمس ذكر الله حق وذكره ، وتحقق لذلك ملكت عليه هيبة الحضرة ، وآوشك ان يدرك العظمة ـ وتظهر المكاشفة في قوله والنظر إلى قدسك وجمالك والحلال ، وهذه تعني وثيقة الصلة ـ فاذا نظرنا إليها من زاوية التعبد في الحياة الدنيا فهي تعني ماتعارف عليه اهل التصوف بالغناء عن الغناء وتعني الشهود والمشاهدة والصعود من عالم لغنى الذيادة مطابقاً لقوله تعالى ((الذين احسنوا الحسنى وزيادة)) .

وطلب الامام المهدي الشوق إلى الله وشدة الحب والمحبة عن الصوفية غاية قصوى من المقامات والزروة العليا من الدرجات ويقول ابن القيم ((فان المحبة لاتظهر عن المحب بلفظه وانما تظهر عليه بشمائله ونحوله ولايفهم حقتها من المحب سوى المحبوب لموضع اقتراح السر من القلوب ، وذكر الله تعالى المحبة في القران الكريم قائلاً في سورة المائدة الآية (٥٤) ((يايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم))

وقال انس بن مالك ، ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه إلا الله ، وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يغذفه في النار .

ويذكر الامام المهدي عليه السلام الجمال الالهي في قوله ((النظر إلى قدسك وجمالل والجلال)) العبارة عقد نظيم من اللآلى والدرر والمعنى سمو روحي هائل يجل عن الوصف . والجمال ساطع ما حار في كنهه العارفون ، والجمال هو الحسن كما هو معلوم- والله تعالى منعوت بصفات الجمال المتصف بها منها الحليم، والغفار والرحمن ، الرحيم وغيرها من صفات الرحمة والرآقة والعطف - أما الجلال فهو عظمته تعالى وقال ابن القيم ((من اعز انواع المعرفة خواص الخلق وكلهم عرفة بصفة من صفات واتتهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شئ في سائر صفاته - ويكفي في جماله انه لو كشف الحجاب عن وجهه لاحرفت سبحانه ماانتهى اليه بصبرة من خلقة ويكفر في جماله ان كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والاخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الحجاب)[1]

وقال الامام المهدي وجنبا عدم المبالاة بوعدك ووعيدك - قرب واختصاص بلا اين وكيف وافرغ قلبه مما سوى الله الذي لايصلح ادباً وزوقاً ان يطلب القرب من في قلبه سوى الله . ومايؤكد تجرده وتقسفه قوله ((ولاتجعل في قلوبنا ركوناً لشئ من الدنيا يآرحم الرحمين)) وفيه غاية التبرء من الدنيا ونعيمها الزائف وبريقها الخلاب ، وهو صعود لاعتاب الوصل الالهي ويقول الامام المهدي في المناجاة ((وامنحنا التبتل اليك وقيام الليالي لمناجاتك - والانس بك - والتلذذ بتلاوة كتابك يارحم الراحمين ويارب العالمين - يطلب من ربه في الحاج العبد الضارع المنكسر ان يهبه التفرغ والقدرة والانقطاع للذكر والعبادة وكثرة الصلوات في جوف الليل امتثالاً لاوامر القرآن واقتداء بسيد المرسلين .

[1] طريق الهجرتين وباب السعدتين – ص ٥٤٩ تحقيق عبد الله ابراهيم الانصاري

مناهج البحث

إستخدم هذا البحث معظم مناهج البحث المعمول بها فى البحث الأدبى و السبب فى ذلك تعدد الأبواب والفصول وتباين المقصود منها .

وأول المناهج المتبعة فى البحث النهج التاريخى لتتبع البحث الفترة المعنية تتبعاً تاريخياً من أوائل الفونج إلى أواخر المهدية و إلتزم سرد كل أحداث هذه الفترة سرداً تاريخياً.

و أستخدم البحث النهج الوصفى ـ وتم ذلك بالوصف الدقيق لمقتضيات هذه المرحلة وتوصيف ما حدث فيها .

المنهج التحليلى قام الباحث بتحليل النصوص النثرية التى وقف عليها و إستبان بعض الحقائق التى لم يقف عليها الدارسون من قبل .

المنهج الفلسفى و إتضح ذلك فى تفاصيل بعض النماذج و إطلعنا على العلاقة الوطيدة بين الأدب الصوفى و الفلسفة و إستخدام هذا المنهج واضحاً فى تضاعيف البحث.

المنهج الإستنباطى الإستقرائى و هذين المنهجين متلازمين و إستخدم الباحث كلاهما حيث قام بتحليل كل الظواهر الموجودة وتوصل للحقائق على نهج النهج الإستنباطى و جمع بعض مفردات الموضوع وتوصل لبعض الحقائق منه وذلك على نهج المنهج الإستنباطى .

ويتم فى الفصل الواحد أحياناً إستخدام كل مناهج البحث المذكورة ، و أحياناً أخرى يستخدم منهج أو منهجين .

و إذا إستعرضنا هذه المناهج فإستخدام المنهج التاريخى أكبر و يليه التحليلى ثم الإستنباطى و الإستقرائ .

❋ ❋ ❋

توصيات الباحث

بعد السياحة الروحية للباحث حول الأدب الصوفى فى السودان و تأثيره فى النثر العربى فى السودان ، إتضح أن هنالك ندرة فى مراجع الجانبين فى المكتبة السودانية . ونوصى بتجميع كافة الكتب الموجودة فى أيدى الناس وتجميع المخطوطات النادرة وذلك بتفعيل آلية تتولى هذا العمل .

وتناول البحث بعض الجزئيات و هى تصلح لتكون رؤوس مواضيع لبحوث كاملة تؤهل لنيل درجتى الماجستير والدكتورا ة. ولم يتعمق الباحث فيها لأنها لم تكن مواداً أساسية فى البحث بل أتى بهما الباحث لغرض التوضيح . نوصى الباحثين و طلاب العلم بالإطلاع على البحث و تدقيق النظر فيه ومواصلة بحثهم فى معانيه.

يجد القارئ إسم وعنوان الباحث بالبحث و بما أن العلم بحرٌ واسع لا حد له وقال تعالى في يوسف الآية (٧٦) (إلا أن يشاء الله نرفع درجات من يشاء وفوق كل ذي علم عليم) فقلوبنا مفتوحة لإستقبال كافة التوجيهات و التوضيحات وذلك تمهيداً لإعادة الرسالة فى كتاب ذو أجزاء موسعة فى المستقبل لأهمية مثل هذه العلوم للأجيال و خوفاً من إندثارها و نسيانها .

ووضع هذا البحث فى أكثر من مكتبة جامعية سودانية يمكن الباحثين من الإطلاع عليه و يصبح صدقة جارية ينال صاحبها الحسنات كلما أقدم عليها قارئ و بذلك أوصى كل مقتدر على توزيع أكبر قدر منها بعد مشاورتى فى هذا الأمر وتوافقى معه .

❋❋❋

الخاتمة

يعد هذا البحث سياحة روحية فى عالم التصوف الإسلامى فى السودان من أوائل دولة الفونج إلى أواخر الدولة المهدية . وهذا مايطابق الأدب الأسلامى فى الجزيرة العربية فدرس الباحث هذه الفترة و إستفاد من معطيات البيئة المصاحبة لإنتاج النثر العربى فى السودان منذ دخول العرب السودان إلى أن إستقر نظام الدويلات فى عهد الفونج و الفور و المهدية .

على الرغم من التطرق للكثير من النصوص النثرية إلا أن الباحث لم يجد نثرا عربيا فنيا جادا بالمواصفات التى وضعها النقاد العرب للنثر و هنالك مصادر للنثر العربى فى السودان ، و لماكانت الفترة المعنية تطابق الفترة الإسلامية ، فلا تختلف مصادر النثر فى فترة الدويلات الإسلامية عن فترة صدر الإسلام .

وتتمثل مصادر النثر فى القرآن الكريم و السنة النبوية و القصص و الأحاجى و الخرافة و الأساطير و الشعر و صارت هذه المصادر تتأرجح كلما إقتربنا من فترة صدر الإسلام فأختفت الأسطورة و الخرافة فى صدر الإسلام وصار القرآن الكريم و الحديث النبوى الشريف مصدران أساسيان للنثر العربى .

ومعظم النثر فى صدر الإسلام تمت كتابته بواسطة الخلفاء الراشدين و رجال الدين . أما ف عهد الدول الإسلامية فى السودان تمت كتابة النثر بواسطة الملوك و الكتاب الذين ظلوا سنين عديدة ببلاط الملك و بعض الكتاب المحترفين ووقفنا فى تضاعيف هذا البحث إلى أن مصادر النثر العربى فى السودان تتمثل فى القرآن و السنه و الأساطير و الخرافة و الشعر الصوفى أيضا ودرسنا ذلك ووقفنا عليه فى تضاعيف بحثنا . و بعض المصادر تأخذ فى التلاشى كلما قويت شوكت الدين و إقتربنا من عهد الدولة الإسلامية الحديثة فى السودان

فالخرافة و الشعوذه و الدجل تتناسب تناسباً عكسيا مع قوة الإسلام و شدته و سطوته و تأخذ فى الإضمحلال كلما إبتعدنا من بداية عهد الدويلات الإسلامية و إقتربنا من عهد الدولة المهدية .

وكتاب النثر فى الدويلات الإسلامية يشابهون كتاب النثر فى فى صدر الإسلام فكلهم فقهاء و حافظين لكتاب الله تعالى و لأوامر نبيه .

وظهر الكتاب الذين كتبوا نثر فى البلاط فى عهد الدويلات الإسلامية فى السودان و شابهوا أولائك و الذين كتبو النثر فى صدر الإسلام .

وهنالك مواضيع للنثر العربى فى هذه الفترة مثل الخطابة السياسية و الموافد و الهبات . وظهرت فى هذه الفترة كتابة الوثائق ، و الكتب الدينية و التعبد و الأوراد و المولد النبوى و غيره و هنالك مواضيع جديدة ظهرت فى النثر العربى لم تكن موجودة فى عصر صدر الإسلام .

و ظهر التصوف فى هذه الفترة ولم يكن موجوداً فى عصر صدر الإسلام و إن وجدت بعض الصفات التى تدل عليها . لم تكن مقصودة و لكنها وجدت عن طريق الصدفة .

و تطرق البحث لتوضيح الخصائص الصوفية و البحث عنها فى النصوص النثرية المتاحة وعلى الرقم من أهمية الإستقصاء فى مثل هذه المواضيع لإثبات أكبر قدر من البراهين إلا أن هذه الخصائص ظاهرة فى كل الكتابات النثرية فى هذا العصر و عمد الكاتب لتحليل النثر الذى صاحب هذه الفترة و أثبت الكثير من خصائص الأدب الصوفى التى وجدت طريقها إلى الكتابة النثرية التى جاءت فيها عن طريق القصد أو الصدفة .

ولم يقفل الباحث عن ذكر دراسة بعض الخصائص الفنية التى صادفت هذه الحقبة من خصائص لغوية و فنية و تصويرية ، إلا أن الخصائص الصوفية قلبت على نثر هذه الفترة .

وتم جمع عدد كبير من النصوص النثرية التى وجدت حظها من النثر فى هذه المرحلة ووقفنا عند النثر الذى كتبه الشيخ أحمد الطيب و الشيخ أحمد التجانى و الشيخ المير غنى الكبير و ما تم جمعه من آثار الإمام المهدى .

و تمت دراسة هذا الكم الهائل من النثر دراسة تحليلية وقف الباحث عند عناصر الجمال ومواضع التأثر بالأدب الصوفى فى النثر العربى فى السودان فى هذه الفترة .

❋ ❋ ❋

المراجع والمصادر

الرقم	المرجع	المؤلف
١	بحوث في تاريخ السودان ط دار الجيل ١٩٩٢ صفحة ٢٠	د / محمد إبراهيم ابو سليم
٢	مقدمة التاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ــ ١٨٢١م	أ / د. يوسف فضل حسن
٣	المرجع السابق صفحة ١١ ــ١٢	أ/ د. يوسف فضل حسن
٤	المرجع السابق صفحة ٢٠	محمد إبراهيم ابو سليم
٥	الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا قديماً وحديثاً المؤتر العالمي للدعوة الاسلامية ١٩٨١م	عمر جاهـ
٦	الفكر الصوفي في السودان العربي ١٩٦٨ــ ١٩٦٩	عبدالقادر محمود عبدالمجيد عابدين
٧	الدعوة المهدية مشروع رؤية جديدة الفاربي للنشر الخرطوم ١٩٨٧ صفحة ١٩	عبدالعزيز عمر الصاوي
٨	مصدر سابق صفحة ١٢	يوسف فضل ادم
٩	جغرافية وتاريخ السودان صفحة ٩٧ــ٩٨	نعوم شقير
١٠	جغرافية وتاريخ تحقيق تقديم محمد إبراهيم ابوسليم دار الجيل بيرود صفحة ٩٧ــ٩٨	نعوم شقير
١١	الطبقات صفحة ٤٠	ود ضيف الله
١٢	تاريخ التعليم الديني في السودان صفحة ٢٧ط دار الجيل بيرود ١٩٨٧	يحيى محمد إبراهيم
١٣	الطبقات صفحة ٣ــ٤	ود ضيف الله
١٤	المسيد صفحة ٧٥ــــ٧٦	الطيب محمد الطيب
١٥	مصدر سابق صفحة ١٠٧ــــ١١٠	نعوم شقير
١٦	تاريخ التعليم الديني في السودان ٢٣٥ــــ٢٣٦	يحيى محمد إبراهيم

١٧	يسألونك عن المهدية صفحة ١٢٦	الصادق المهدي
١٨	مصدر سابق صفحة ٧٧	يوسف ضفل حسن
١٩	الدعوة الاسلامية في افريقيا المؤتمر العالمي للدعوة الاسلامية ١٩٨١م	عون الشريف قاسم
٢٠	مصدر سابق ٩٢ـــ٩٣	يوسف فضل حسن
٢١	مصدر سابق ٩٤	يوسف فضل حسن
٢٢	مصدر السابق صفحة ٢٤	محمد إبراهيم ابوسليم
٢٣	بحوث في تاريخ السودان ط دار الجيل بيروت ١٩٩٢م صفحة ٢	محمد إبراهيم ابوسليم
٢٤	مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ـ ١٨٢١ الخرطوم	أ/د. يوسف فضل آدم
٢٥	المصدر السابق صفحة ١---٢	أ/ د. يوسف فضل آدم
٢٦	المصدر السابق صفحة ٢	محمد إبراهيم ابو سليم
٢٧	الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا قديناَ وحديثاَ المؤتمر العالمي للدعوة الاسلامية الخرطوم ١٩٨١م	عمر جاهـ
٢٨	الفكر الصوفي في السودان العربي صفحة ٣١من ١٩٦٨-١٩٦٩م	عبدالقادر محمود
٢٩	الدعوة الي الآسلام صفحة ٣١	حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين
٣٠	الدعوة المهدية مشروع رؤية جديدة ط الفارابي للنشر الخرطوم ١٩٦٧ صفحة ١٧	عبدالعزيز حسن الهادي
٣١	جغرافياتاريخ السودان	نعوم شقير ٩٧---٩٨
٣٢	تاريخ تحقيق محمد إبراهيم آبوسليم دار الجيل بيروت ٩٧--٩٨-	نعوم شقير
٣٣	الطباقات صفحة ٤٠	ودضيف الله
٣٤	تاريخ التعليم الديني في السودان ط دارالجيل بيروت ١٩٩٧ صفحة ٢٧- ٢٨	يحيى محمد إبراهيم
٣٥	الطبقات صفحة ٣- ٤	ودضيف الله
٣٦	المسيد صفحة ٧٥--- ٧٦	الطيب محمد الطيب
٣٧	مصدر سابق صفحة ١٠٧--- ٢٣٦	نعوم شقير

٣٨	مصدر سابق صفحة ٢٣٥---٢٣٦	يحيى محمد إبراهيم
٣٩	سيألونك عن المهدية صفحة ١٢٦	الصادق المهدي
٤٠	مصدرسابق صفحة ٧٨	يوسف فضل حسن
٤١	الدعوة الاسلامية في افريقيا	عون الشريف قام
٤٢	مصدر سابق صفحة ٩٢ـــ٩٣	يوسف فضل حسن
٤٣	مصدر سابق صفحة ٩٤	يوسف فضل حسن
٤٤	مصدر سابق صفحة ٢٤	محمد إبراهيم أبو سليم
٤٥	المنقذ من الضلال وكمياء السعادة والقواعد الشرة والادب في الدين بيروت صفحة ٢٤	ابو حامد الغزالي
٤٦	الموسوعة الميسرة للاديان المعاصرة الرياض ١٩٩٢ صفحة ٣٤٨	الندوة العالمية للشباب الاسلامي
٤٧	تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص٦٥	عبد المجيد عابدين
٤٨	الطبقات ص ٦٥ـ٦٩	ود ضيف الله
٤٩	كتاب الفجر ص٥٣٦	أحمد يوسف هاشم
٥٠	الشيخ عمر عبد الرحمن ص٧	الشيخ عمر عبد الرحمن
٥١	على حازم ص٤٣	على حازم
٥٢	أزاهير الرياض ص٩٦	عبد المحمود نور الدائم
٥٣	الشيخ عمر عبد الرحمن محاضرات ص٦٤	الشيخ عمر عبد الرحمن
٥٤	منهج الصوفية فى التربية و الدعوة إلى الله دار الجيل بيروت ـ ١٩٦٠م	أ. د. حسن الفاتح قريب الله
٥٥	أزاهير الرياض ص١٣٣	عبد المحمود نورالدائم
٥٦	منشورات المهدى ٣٢٨	محمد أبراهيم أبو سليم
٥٧	الأسرار الربانية راجعه عبد السلام الليثى	محمد عثمان الميرغنى
٥٨	كتاب الأوراد ـدار االجامع الكبير	أحمد بن إدريس
٥٩	الأحزاب و الأوراد حققه السيد محمد حافظ التجانى ١٤٢٤	الشيخ أحمد التجانى
٦٠	مجموع الأوراد الكبير ط الباب الحلبى و أولاده ـ مصر ـ ١٩٣٩م	محمد عثمان الميرغنى
٦١	الأسرار الربانية فى مولد النبى راجعه محمد عبد السلام الليثى	محمد عثمان الميرغنى
٦٢	الآثار الكاملة للإمام المهدى ج٦ ص٣٤	د. محمد إبراهيم أبو سليم

٦٣	تبصرة وذكرى سياحة روحية فى راتب الإمام المهدى	د. موسى عبدالله حامد
٦٤	عقود الدرر فى راتب الإمام المهدى المنتظر	محمد على بشير الإحيمر
٦٥	مقدمة كتاب تبصرة وذكرة ص٢٥	د. الطيب عبد الله
٦٦	إحياء علوم الدين ج١-٤ص١٢	الإمام أبو حامد الغزالى
٦٧	جواهر القرآن ص٢٠	الإمام الغزالى
٦٨	صفوت التفاسير	محمد على الصابونابى
٦٩	طريق الهجرتين و باب السعادتين	تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصارى